عدد ممتاز

كتابي

١٠ قروش

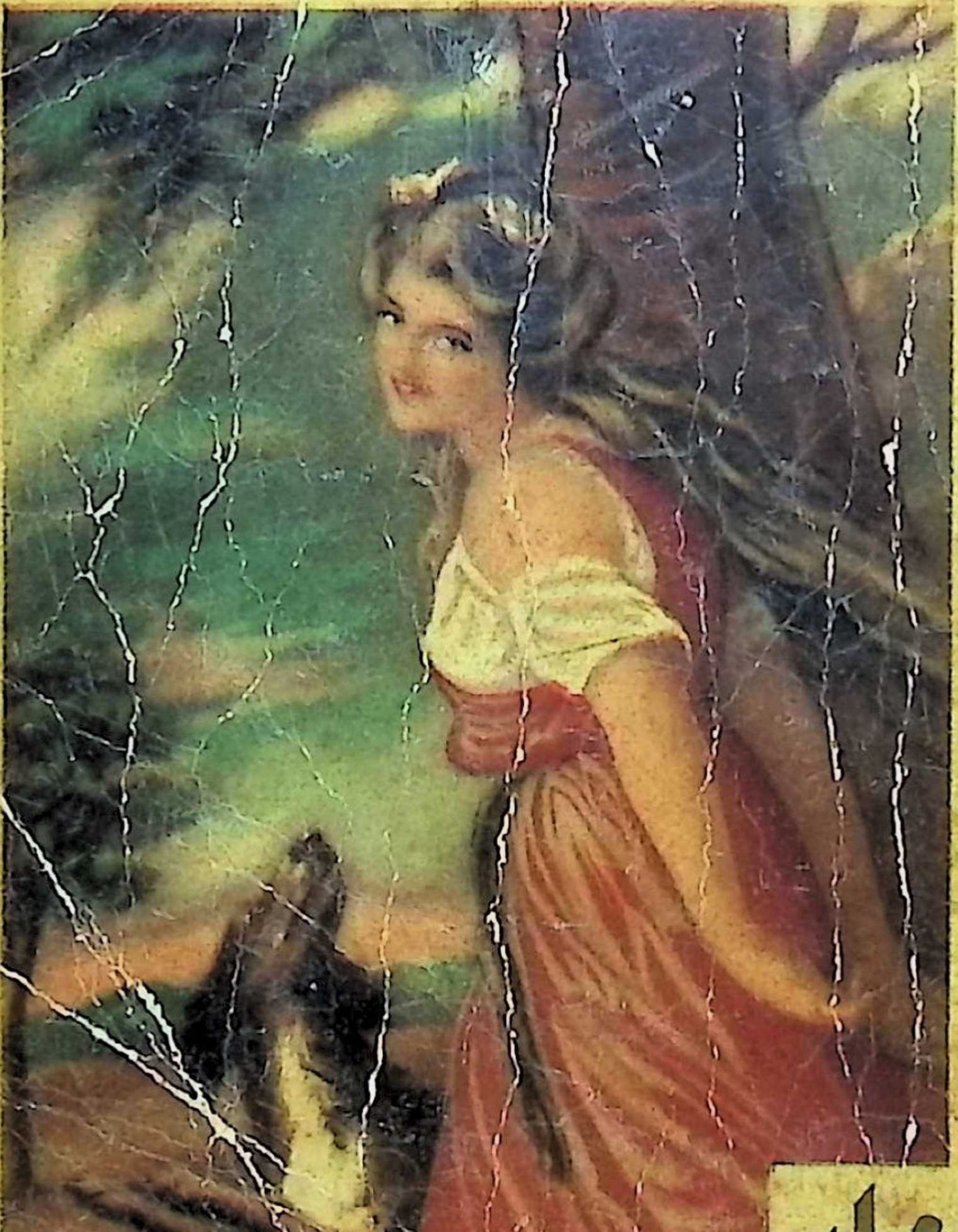

لمي مراد

ليدي هاملتون .. للرسام "رومني"

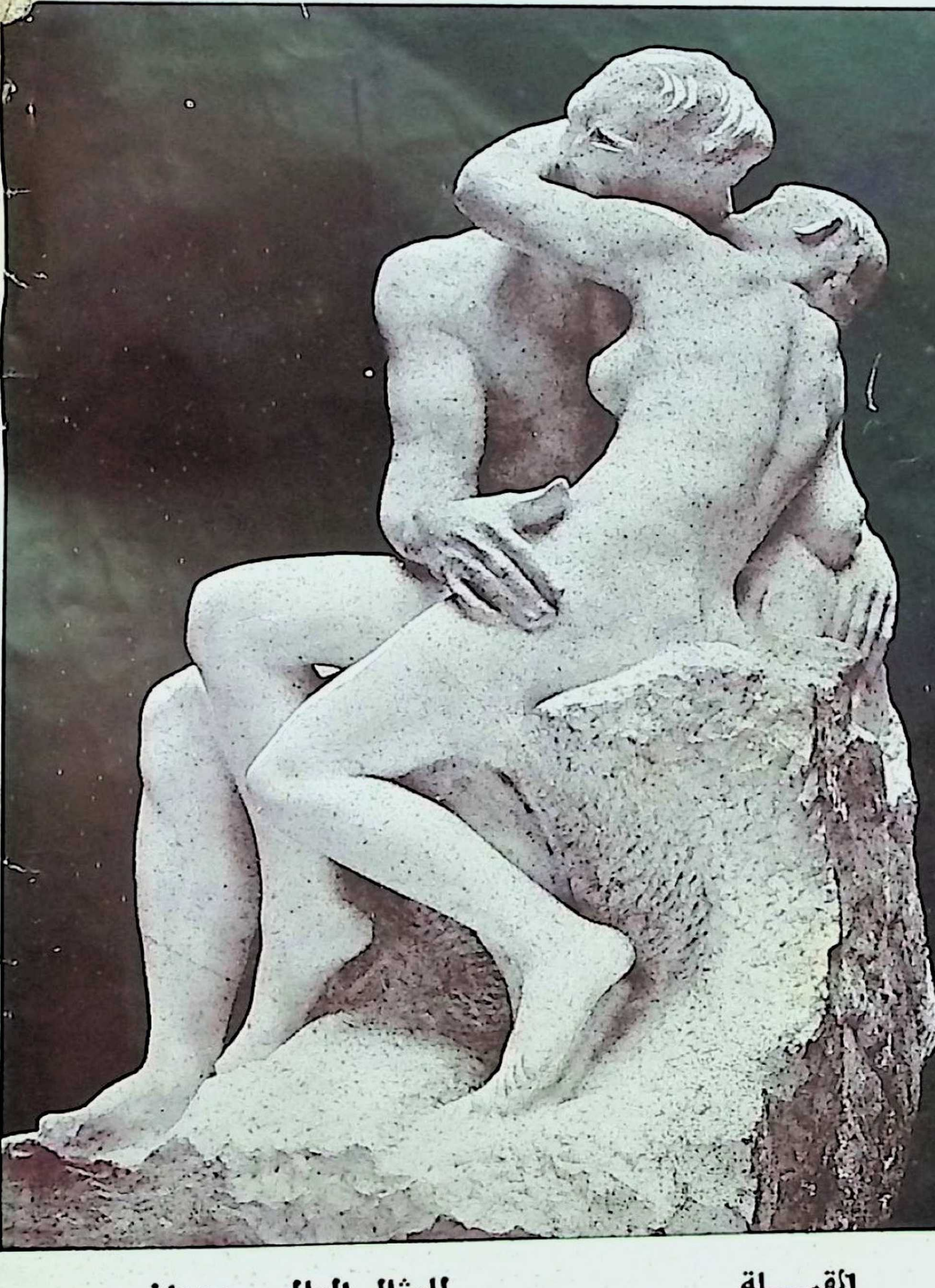

القبــــلة

للمثال العالمى « رودان »

(اقرا المقال صفحة ١٣٥)

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السادس عشر (السنة الثانية) : يونية ١٩٥٣

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : وقرأ التفصيلات بالداخل

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين – مصر الجديدة

تليفون ٦٥٦٠٨

عزيزى القارئ ..

تشهد مصر فى هذه الايام نهضة « فنية » ملحوظة ، تحظى من الدولة - لاول مرة ! - برعاية وتشجيع « شبه رسميين » ، بفضل حسن تفهم زعماء العهد الجديد لمقومات نهضة الشعوب على حقيقتها .. وادراكهم السليم لاهمية الفن وللدور الكبير الذى يساهم به فى تهذيب النفوس ، وتربية الذوق العام ، وارهاف الحواس .. بعد أن عشنا دهرا محكومين بزعامات ذات عقلية رجعية ، تخجل من تشجيع الفن - بل تحتقره ! - اعتقادا من أصحابها ان السياسى « الوقور » ينبغى أن لايفكر الا فى السياسة ، أو يجاهر برأى الا فى الخلافات الحزبية ، والدساتير ، والانتخابات .. أو تطأ قدمه الكريمة غير قصر الملك ، وقصر الزعفران ، ودار الرياسة أو دار البرلمان !.. أما زيارة المتاحف والمعارض ، والمؤسسات الثقافية والفنية ، فكانت فى نظر حكامنا الرجعيين عارا كبيرا لايتفق ومقاماتهم الرفيعة بحال !

أقول ان مصر تشهد فى هذه الايام نهضة ملحوظة فى عالم الفن ، كان من آخر مظاهرها افتتاح سلسلة من المعارض الفنية التى أقامتها فى الاسابيع الماضية هيئات مثابرة ، وفنانون مكافحون جديرون بكل اعجاب .. ولما كانت رسالة « كتابى » هى نشر الثقافة الرفيعة بشتى الوانها - المكتوبة والمرسومة - لقد رايت ان انتهز فرصة هذا العدد الممتاز الثانى الذى بين يديك ، فانقل جوانب من تلك المعارض الفنية الى بيتك ومكتبتك ، لتبقى فيها طوع ناظريك دائما .. بعد ان تنفض المعارض وتعود لوحاتها الجميلة فتتفرق فى دور أصحابها ..

وقد اخترت لك اللوحات التى تراها بين دفتى هذا العدد ، من معرض « صالون القاهرة الثلاثينى » ، ومعرض جمعية هواة التصوير الفوتوغرافى ، الذى ماتزال أبوابه مفتوحة للزائرين فى سراى الفنون بأرض الجمعية الزراعية بالجزيرة ..

ولمناسبة ذكرى مرور ربع قرن على اقامة تمثال «نهضة مصر» ، فى ٢١ مايو الماضى ، رايت أن أساهم فى الاحتفال بذكرى صانعه فنان مصر الخالد «مختار» ، بنشر ترجمة وافية لحياته ، مع صورتين لتمثال آخر من أبدع آياته ، هو تمثال « عروس النيل » .

أما فى باب الثقافة « المكتوبة » ، فان « كتابى » يوالى فى هذا العدد سيره على نهجه المرسوم ، ليقدم لك كتابا من اقدم كتب العالم واخلدها - هو « أوديسة » هوميروس - الى جانب كتاب من احدث كتب العالم واروعها ، هو قصة « مراهق » للروائى الايطالى المعاصر « البرتو مورافيا » ، الذى يسرنى ان اقدمه اليك اليوم باللغة العربية ، لاول مرة ..

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

كتابى

مجموعة الاعداد السابقة

كتابى الاول	«خطايا الحب»	وكتب اخرى		مارس ١٩٥٢
كتابى الثانى	«قلب عذراء»	»	»	ابريل «
كتابى الثالث	«الهاربة من الجنة»	»	»	مايو «
كتابى الرابع	«حواء الجديدة»	»	»	يونية «
كتابى الخامس	«احدب نوتردام»	»	»	يولية «
كتابى السادس	«جريمة حب»	»	»	اغسطس «
كتابى السابع	«عشيقة نابليون»	»	»	سبتمبر «
كتابى الثامن	«مذكرات كيوبيد»	»	»	اكتوبر «
كتابى التاسع :	«صنم تحطم»	»	»	نوفمبر «
كتابى العاشر :	«حديقة الله»	»	»	ديسمبر «
كتابى الحادى عشر :	«عندما تحقد المرأة»	»	»	يناير ١٩٥٣
كتابى الثانى عشر :	«لعبة الحب والموت»	»	»	فبراير «
كتابى الثالث عشر:	«توبة خاطئة»	»	»	مارس «
كتابى الرابع عشر :	«ايها الربيع ترفق»	»	»	ابريل «
كتابى السادس عشر:	« الشيطان على الارض »	»	»	مايو «

◆ وتطلب من صاحب كتابى (١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة) ، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ، ماعدا العددين الثالث والسادس فثمن كل منهما عشرون قرشا (تحديدا للطلبات ، نظرا لقرب نفادهما وعدم امكان اعادة طبعهما) .. وماعدا العدد الثانى الذى نفد ، والعدد الثالث عشر (الممتاز) وثمنه بالبريد ١٢ قرشا

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER ، ولا تقبل العملة الاجنبية او اذونات البريد الخارجية .

الاشتراكات

◆ وتشمل ضمنا الاعداد الممتازة ايضا - وترسل جميع الاعداد الى المشتركين فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة

◆ قيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٠٠ قرش وعن نصف سنة (٦ اعداد) ٥٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد MONEY ORDER وتحتسب القيمة بما يوازى ١١٠ قروش (عن سنة) و ٦٠ قرشا (عن نصف سنة) - أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت أو للمكتبة العصرية بسوق السراى ببغداد

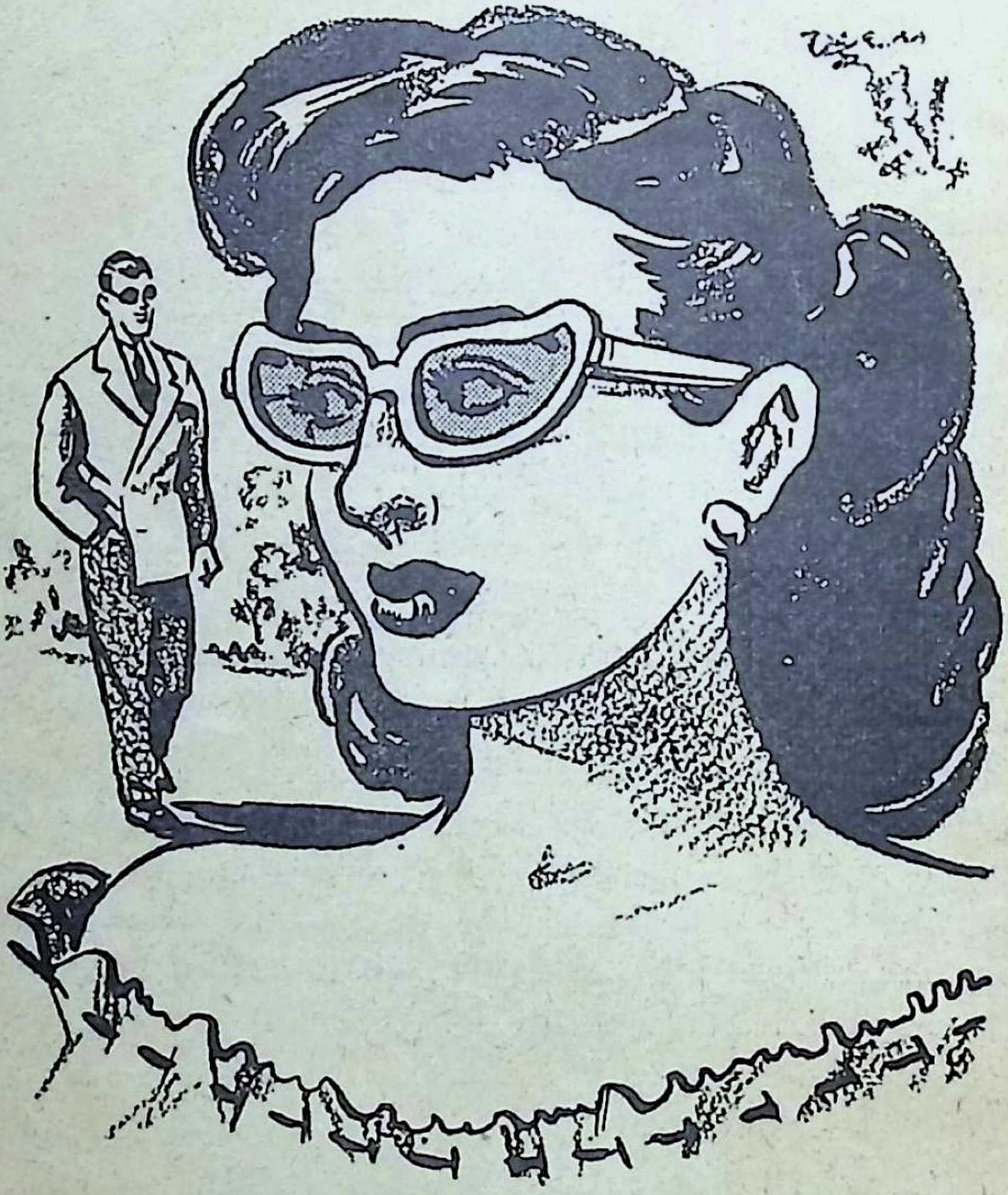

أبو الهول.. امرأة!

قصة مصرية : للمحرر

- ١ -

◆ **كنا** نتحدث فى أغرب أطوار النساء ، وكنت قد رويت للاطباء الثلاثة قصة(١) للكاتب الانجليزى(أوسكاروايلد) بطلتها امرأة أولعت باحاطة نفسها بجو من الغموض والتخفى ، لا لسر يستحق الاخفاء ، وانما لكى تثير حولها غبارا من الشك ‥ والغيرة ‥ والفضول ‥ ولتوهم نفسها أنها بطلة من بطلات المآسى المثيرة والاقاصيص !

وتحمس أحدنا ـ وهو طبيب شرعى ـ للفكرة الساخرة ، فراح يعززها بسيل من الشواهد والادلة المستمدة سواء من ذكرياته الخاصة أو من اختباراته الطويلة ـ بحكم عمله المتصل بدراسة الطبائع البشرية ـ ثم لخص رأيه قائلا ان المرأة مجموعة من « الغرائز » البدائية ، يسهل على من يفهمها أن يفسر على ضوئها ما يبدو لصاحب النظرة السطحية أنه من أطوار النساء الغريبـــة !

فاعترض ثالثنا ـ الذى كان طبيبا للامراض النفســية والعصبية ـ على هذا الرأى ، فى اطلاقه ، متحمسا بدوره للقول بأن مرد الامر كله الى علم النفس ، الذى لا يستعصى عليه حل أعوص الالغاز !

وكان رابعنا طبيبا بيطريا من الاسكندرية، فرأيته يبتسم وهو ينصت لنظريات زميليه، ابتسامة ذات معنى ! ‥ فلما فرغا اعتدل فى جلسته ، كمن يتأهب لحديث طويل ، ثم قال : « اذن فلعل أحدكما يتفضل على بحل هذا اللغز :

---

(١) هى قصة A Sphinx Without A Secret التى تقرأ ترجمتها فى صفحات (٢٠ ـ ٢٦) من هذا العدد

- ٢ -

◆ « **حدث** ذلك فى الاسكندرية فى أوائل صيف ١٩٤٤ ، وكنت قد اعتدت تناول الشاى وقضاء ساعة الاصيل من كل يوم فى حديقة فندق (البوريفاج) بالرمل ، حيث كانت أعصابى المرهقة تجد زادها فى الهدوء الذى يضفى جوه على المكان ..

« **وهناك رايت لاول مرة : « شهرزاد » !**

« **لم يكن جمالها وحده الذى لفت اليها بصرى - ثم غير البصر من حواسى ! - فقد كان المكان مليئا بالجميلات، والكورنيش فى الخارج يعج بمواكبهن .. وانما كان الفضل للمصادفة البحتة ، أو ما حسبت يومئذ انه مصادفة !**

« كنت قد لمحتها مرارا فى الايام المتوالية السابقة ، جالسة مع امراة أخرى فى ركن من الحديقة ، وقد أخفت عينيها وراء نظارة أنيقة كالتى تلبسها المجندات الامريكيات، فلم أكن ألقى الى أيهما بالا .. الى أن كان يوم كنت أهم فيه بدخول الحديقة ، فرأيتها مقبلة من بعيد فى طريقها الى الباب .. ثم توسط بيننا أناس حجبوا كلانا عن الآخر لحظات ، فلما انحرفوا وجدتنى فجأة أمامها وجها لوجه ، وهى تهم باشة بمصافحتى .. ثم تجفل فى آخر لحظة مرتبكة وتبادرنى فى صوت رقيق : « معذرة ، حسبتك زوجى ، أقصد شخصا آخر .. فلكم أنت تشبهه من بعيد!» .. وكانت بادية الصدق فى لهجتها، وفى حمرة الخجل التى لونت وجهها الخمرى الفاتن.. ثم ودعتنى بتمتمة خافتة وخرجت مسرعة !

« وطبيعى اننى حرصت فى اليوم التالى على التبكير فى الذهاب الى (محلى المختار) .. ولم ألبث أن رأيتها وصاحبتها تدخلان ، وتجلسان ، ولكن دون أن يبدو على الاولى أن بصرها

قد وقع على من قبل !٠٠ ففسرت ذلك بحذرها ، أو رغبتها فى نسيان ما جرى ، لا سيما وان مظهرها كان يوحى بأنها من شاباتنا المحصنات ، والمترفات ٠ وفيما أنا أتأملها ، بنظرات غير ملحوظة ، سطعت الشمس على خاتم ماسى فى أصبعها يخطف الابصار ، وعلى (دبلة) الزواج !

❖

« **وصرت** أراها كثيرا ، فى معظم الايام ، دون أن أعبأ بمراقبة حركاتها ، أو أفكر فى تلك المصادفة التافهة التى جمعت بيننا بضع لحظات ٠ وذات مغرب حانت منى نظرة الى مائدتها ، حيث كانت جالسة بمفردها قبل هنيهة ، فاذا المائدة خالية٠ وفى تلك اللحظة طرأ ما شغلنى عنها كلية، فقد أقبل الساقى يدعونى الى داخل الفندق على عجل ، واذا بمديره يرجونى الاسراع الى غرفة فى الطابق الثانى لعلاج حالة مغص حادة ٠٠ ثم فتح لى باب الغرفة ، وتركنى على عتبته ٠٠ مبهوتا !

« كانت صاحبتنا متمددة على (ديفان) كبير ، يغلف بدنها المشنوق (روب) خمرى شفاف، فى لون بشرتها ، وقد أغمضت عينيها ، ونسيت على شفتيها ابتسامة حالمة ٠٠ ويظهر أنها حسبتنى مدير الفندق ، فلم تكد تفتح عينيها وترانى ، حتى فوجئت !٠٠ ثم تمالكت نفسها وقالت بصوت ذابل : « أهو

أنت ؟ ٠٠ انى أحس ٠٠ » ثم قطعت كلامها صيحة مكتومة ندت منها وهى تتلوى ، وبدنها يختلج بحركات ناعمة ، كأنها حية ترقص على الفراش !٠٠ ثم أردفت لاهثة : «اسعفنى يادكتور٠٠ فانى أخشى أن يكون مصرانى الاعور قد التهب » ٠٠ وعادت تتأوه وتزوى مابين عينيها – كأنما من فرط الالم ! – حتى لم أعد أطيق٠٠ وذكرت اننى دخلت الغرفة كطبيب، وأنه ليس من اللائق أن تطول غيبتى فيها ! وخشيت فى الوقت نفسه أن أفقد توازنى٠٠ فأردت حسم الموقف بأسرع ما يمكن ٠ قلت فى تهكم خفى : « عفوا يا هانم ٠٠ ولكن يظهر ان فى الامر لبسا ، فاننى طبيب ٠٠ بيطرى ! » وضغطت الجرس ، فلما أقبل الخادم قلت له جادا : « اسعف الهانم ٠٠ بكأس من الكونياك ! » ثم حييتها وخرجت أنتزع أقدامى انتزاعا ، نحو سيارتى ٠٠

« ٠٠ على أنه كان فوق طاقتى أن أنسى ما حدث ، وما كان عساه أن يحدث ! وأشفقت أن تكون تلك نهاية القصة ٠٠ فلم يجىء عصر اليوم التالى حتى كنت أسرع الى الفندق ، فأستفسر من مديره عن صحة مريضة الامس ، متوقعا أن يجيبنى بأى جواب ، الا الذى فاجأنى به حين هز رأسه علامة الجهل التام ، ثم قال انها قد غادرت الفندق فجأة بعد خروجى ، كما حلت به فجأة فى صباح نفس اليوم ٠٠ فلم تقض فيه أكثر من سحابة النهـــار !

« واضطربت موازين الاشياء فى رأسى ٠٠ لم أستطع فهم السر فى تكلفها كل هذه المشقة وتدبير تلك الحيلة « الساذجة » ، للوصول الى ما تصل اليه غيرها بنظرة !٠٠ ودارت الارض بى ، وتملكتنى رغبة جارفة فى أن أسترد المرأة بأى ثمن ! فجلست أفكر فى أمرى ، وأنا شبه محموم ٠٠ واذا بى لا أصدق عينى : رأيتها تدخل الحديقة ، وتجلس فى ركنها المعتاد!٠٠ فتقدمت نحوها متكلفا هـدوء طبيب الامس، وبادرتهـا بالسؤال عـن

٠٠ صحتها ! ولدهشتى رأيتها تشكرنى بابتسامة ماتزال « ودية » ٠٠ على أنها سرعان ما قالت فى اضطراب ظاهر : « أعذرنى اذا لم أدعك للجلوس ، فانى أخشى أن يرانا أحد! »

فوجدتنى أجيبها دون أن أعى : « اذن سأنتظرك فى سيارتى فى الساعة الثامنة ٠٠ »

❖

◆ « **وخرجت** الى فى الميعاد ٠٠ وكان الظلام قد هبط ، والكورنيش قد خلا من مواكب المصطافين ، فانطلقت بالسيارة فى الطريق الساكن المظلم ٠٠ واذا مرافقتى تجنح فى جلستها متحاشية الاقتراب منى ، ثم تتشاغل عنى بالنظر الى البحر !

أدهشنى منها هذا التهيب ، الذى لا يتفق مع ما سبق من مقدمات ! وازداد عجبى للتناقض الصارخ بين مظهرها و « تصرفاتها » حين عرضت عليها أن نذهب الى مشرب معين، فقالت على الفور : « كلا ، لا أستطيع الجلوس فى مكان ٠ فلنمض بالسيارة قليلا » ٠٠ ثم عادت الى الصمت والوجوم ، والتحديق فى البحر بنظرات شاردة !

وتبادلنا بضعة أحاديث قصيرة ، لم تفض الا الى يقينى بأننى أمام مغامرة شاذة! ٠٠ وخيل الى ان المسكينة فى صراع مع نفسها، وان عوامل كثيرة - أجهلها - لا بد تتنازعها وتوقعها فى حيرة مرة ! ٠٠ وكنا قد بلغنا (محطة الرمل) فقلت لها أخيرا وأنا أتوقع جميع الاحتمالات : « اعرف ما يلزمك : جلسة فى مكان منعزل، نستطيع فيها أن نتفاهم، فى جو لا يعكره خوف أو قلق ٠ تعالى معى يا ٠٠؟ » **فقالت على الفور ، كمن وجدت فى سؤالى عن اسمها خلاصا من حيرتها بين رفض اقتراحى ، وبين الجراة على قبوله : « تستطيع أن تسمينى شهر زاد ! » ثم لاذت**

بالصمت ٠٠ حتى أوقفت السيارة أمام منزلى ، ونزلنا ، فسارت معى صامتة ٠٠ وصعدت السلم صامتة ٠٠ ثم دخلت مسكنى ، وتهالكت على أحد مقاعد الصالون ، وهى صامتة ما تزال !

« وخطر لى أن أبدد جو الوحشة الذى يسود بيت الاعزب ، والذى قد يزيد من تهيبها ، فأدرت مفتاح الراديو للتسرية عنها بموسيقاه ٠٠ واذا هى ترجونى ألا أفعل ، معتذرة بصداع مؤلم! وكان صوتها متعبا ، مشربا بالانفعال المكتوم ٠٠ فاستأذنت فى التغيب عنها لحظات ، وقصدت الى غرفة المائدة لأحضر لها شرابا ينعشها ٠٠ ثم عدت به بعد قليل وأنا أقول كلاما فى امتداحه ٠٠ لكنى لم أكد أدخل الصالون حتى ماتت بقية الكلمات على شفتى ، فقد كانت الغرفة ٠٠ خالية !

❖

◆ « **وكان** ذلك أكثر مما أحتمل ٠٠ ولم يخفف من لوعتى الا عثورى بحقيبة يدها على منضدة الراديو ، مما جعلنى أعتقد أنها لابد ستعود لاستردادها ٠٠

« ٠٠ ولكن ليس بالسرعة التى عادت بها !

« لم يكن قد مضى على «فرارها» أكثر من نصف ساعة ، حين سمعت طرقا خفيفا على الباب ، فاذا بالطارق هى ! ٠٠ أو قل مخلوقة أخرى ، يشع وجهها الباسم اشراقا ، وقوامها المائس اغراء ، وهى مستندة بظهرها فى تراخ ودلال على زاوية الباب

المفتوح ٠٠ وكأنها مستلقية على ارجوحة ، لا تقوى على النهوض ٠٠ وانما تقوى على أن تقول فى لهجة فاترة ، والكلمات تتكسر على لسانها، والابتسامة الخلابة ترف على شفتيها وتلمع فى عينيها:

ـ « ألا تدعونى للدخول ؟٠٠ أم انى أزعجك ؟ »

فقلت كالخائر : « تزعجينني ؟٠٠ حاشاك ٠ وانما أعترف أنك ربيت فى قلبى الرجفة ، من توالى مفاجآتك ! »

فندت عن صدرها ضحكة كخرير الماء ، وقالت فى لهجة اعتذار ناعمة : « أوه٠ كم كنت حمقاء ٠ تصور اننى خفت ٠٠ ها ها٠٠ »

فوجدتنى أسألها « والآن ؟ » ٠٠ **فلم تتردد وأجابت فى لهجة حازمة : «لم أعد أخافك!» وثبتت عينيها فى ناظرى ، فى تحد ظاهر ، استشعرت منه أنها تستفز رجولتى ٠٠ وانها تريد الوصول الى غايتها من أقصر طريق !**

« ٠٠ وفى طرفة عين كنت قد احتويتها بين ذراعى ٠٠ وللحال أدركت سر اختفائها ، والتبدل الذى أصابها واستنهض جرأتها ، فقد كانت تفوح منها الآن رائحة ٠٠ الخمر !

❖

◆ « ٠٠ **وصارت** تجيئنى كل مساء ، ثملة لا تكاد تعى ٠٠ وحين تفيق تنهض فى اجفال ، متجنبة أن يلتقى بصرانا ، فتشرع فى اصلاح زينتها ٠٠ ثم تأخذ سمتها الى الباب متلصصة ، دون أن تنبس بحرف !

وانقضت ثلاثة أسابيع على هذا المنوال ، لم تشذ فيها ليلة ـ فيما عدا أيام الجمعة ، التى كانت تنقطع عن الحضور فيها ، متعللة بأعذار مختلفة واهية ٠٠ !

وذات مساء ٠٠ لم تكد تحضر حتى اعتذرت بأنهـــا تحس دوارا ، رغم كونها قد بدت لى أكثر مرحا وانشراحا من المعتاد ،

ثم انصرفت بعد قليل ·· وفيما هى تجتاز الباب استدارت الى ، وتوقفت برهة ـ وعلى فمها ابتسامة غامضة ـ ثم مضت دون أن تزيد شيئا !

« وماكنت لاعلق أهمية على غموضها يومئذ ، لولا أن ذاك كان آخر عهدى بها ·· فلم أرها مرة أخرى !

❖

◆ « ·· **وعبثا** حاولت الاهتداء اليها ، أو معرفة من هى ، أو تعليل اختفائها المفاجىء ! ـ رغم تقليبى الامر على شتى وجوهه ·· الى حد ان شككت يوما فى أنها قد ماتت ، لولا ان ذكرت وقفتها الاخيرة عند الباب ، فأدركت انها كانت تودعنى ·· وانها خرجت وهى تعلم انها لن تعود !

« ·· كما انى عبثا حاولت فهم سر اقتحامها حياتى من البداية !

·· كل ما أوصلتنى اليه استنتاجاتى ـ من الموضوع كله ـ ان « زوجها » كان يوافيها فى عطلة الاسبوع فيقضى معها يومى الخميس والجمعة ، ثم يعود الى مقر عمله المجهول ·· **كما أدركت ـ من سذاجة حيلها ، ولجوئها الى الخمر ـ انها حديثة عهد بحياة الغواية ، وانها قد تورطت فى هذه المغامرة على كره منها ، مدفوعة بدافع خفى ، ليس هو الحب ·· ولا اللذة ·· ولا الانتقام من زوج خائن ، والا لكانت تكون أكثر جرأة ، وامعن تلذذا بالتشفى وهى فى كامل وعيها ، وليست مخمورة !**

« وهكذا لم أترك احتمالا الا قتلته بحثا ودرسا ، حتى كدت أصاب بالخبل من فرط تفكيرى فى أمرها ، وشوقى الدافق اليها ·· فلقد أحببتها بجماع قلبى ، وما زلت أحبها ·· ولن أنساها ! ·· آه لو صادفتها مرة ، وعرفت منها سرها !؟ »

◆ **وسكت** محدثنا ، منهيا قصته ٠٠ ولم يعلق أحدنا بكلمة ، فقد استنفد الراوى مجال كل تعليق٠ وفيما هو يهم بالانصراف، لمحت في عينيه أطيافا من الظلال ، هى بعض انعكاسات الرغبة المجنونة التى أيقظتها الذكرى فى أعماقه ٠٠

❖

كان ذلك فى الشتاء الماضى ، ولم أر الدكتور بهجت منذ ذلك التاريخ ٠٠ حتى صادفته منذ أيام عائدا من احدى حفلات المؤتمر الطبى ، فجلسنا فى شرفة أحد الفنادق ٠٠ وفيما نحن نتحدث، مرقت من باب الفندق الدائرى حسناء مصرية تضع على عينيها نظارة أمريكية أنيقة لفتت انتباه صاحبى ، فقلت أمازحه : « ماذا ٠٠ أما زلت تبحث عن حسنائك الغامضة ٠٠ ربيبة أبى الهول ؟ » ٠٠ فقال فى لهجة فاترة ساخرة ـ كأنما من نفسه : « تعنى شهر زاد ؟ ٠٠ لو تعلم ما حدث ، لآمنت معى بأن حواء قد فاقت أبا الهول فى غموضها : كنت أزور طبيبا من أصدقائى منذ شهور فى مقر عمله بأحد مستشفيات القاهرة ، حين دخل (تمورجى) يرجوه موافاة مدام (٠٠٠ بك) فى الردهة كى تودعه وتشكره قبل مغادرتها المستشفى ٠٠ فخف الطبيب الى خارج الغرفة ، تاركا الباب مفتوحا وراءه ، واذا أنا أتبين فى (مدام ٠٠٠) « شهرزاد » ، بلحمها ودمها !

« لم أشعر الا وأنا أقفز من مقعدى هارعا اليها ، على غير وعى منى ! ٠٠ لكنها لم تكن بمفردها ، كان الى جوارها رجل رجحت أنه زوجها ، فتداركت موقفى ٠٠ لكنها رأتنى ، فاصفر وجهها بغتة حتى خيل الى ان قواها كانت ستخور ٠٠ لولا ان استحثها زوجها على الخروج ، مشفقا عليها من التعب ٠٠ فمضت معه٠٠ متظاهرة بأنها لا تعرفنى !

« .. وآثرت اخفاء الامر عن صديقى ، واستدراجه حتى يحدثنى عنها ! لكنه لم يحوجنى الى استدراج ، فقد ابتدرنى من تلقاء نفسه بمجرد أن عاد من توديعها : « مسكينة هذه السيدة! منذ سنوات وهى تتحرق شوقا الى النسل ، حتى لأذكر أنها جاءت تستشيرنى فى هذا الشأن مرات عديدة ، آخرها منذ عام، حين طفرت الدموع من عينيها وهى تصارحنى بأن زوجها لا يفتأ يهددها بالطلاق ان لم تنجب له نسلا .. فأكدت لها ان العائق ليس منها ، بل منه هو .. ولكن يظهر انى كنت مخطئا ، فقد فوجئت بدخولها المستشفى منذ أسبوعين للوضع ! .. ولكن الله ضن عليها بأملها فى آخر لحظة ، فقد تعسرت ولادتها .. فولد الطفل ميتا ! »

وتنهد صديقى الطبيب المولد فى حسرة ثم قال : « أظنك رأيتها مع زوجها .. وعلىفكرة ، ألم تلحظ انه شديد الشبه بك ؟ » .. ووخزتنى العبارة ـ فقد وثبت الى ذهنى فجأة كلماتها المماثلة عند لقائنا الاول ! ـ فلم أملك نفسى من التساؤل، وما فتئت : « ترى هل كان هذا الشبه مفتاح السر كله فى المغامرة ؟ »

❖

◆ ووجم الدكتور بهجت لحظة ، ثم أردف في شرود : « حقا ان كيدهن عظيم ! »

فقلت وأنا أتمثل نهاية المأساة : « نعم ، ولكن كيد الاقدار أعظم ! »

- ١ -

◆ **ذات** مساء ، كنت جالسا على رصيف مقهى (كافيه دى لابيه) بباريس ، أجرع كأسا من شراب (الفرموت) ، وأستعرض موكب الحياة الباريسية الذى يمر أمامى، مأخوذا بما اختلط فيه من مظاهر السناء والرثاثة ، والعزة والفقر ٠٠ حين سمعت صوتا ينادينى ، فتلفت لأرى أمامى : لورد مورشيسون

لم نكن قد التقينا منذ كنا زميلين فى الجامعة ـ منذ قرابة عشرة أعوام ـ فسرنى أن ألقاه ليلتها ، وتصافحنا بحرارة ، وأنا أذكر كيف كنا فى « اكسفورد » صديقين حميمين لا نكاد نفترق ٠٠ وكيف كنت ورفاقى نعجب به ونحبه لاناقته وشهامته ، وصراحته الفائقة ٠٠ حتى لقد اعتدنا أن نقول ان عيبه الوحيد هو حرصه على قول الصدق دائما !!

٠٠ لكنى وجدته قد تغير ٠ بدا قلقا حائرا ، كأنما هو فريسة شك قاس ٠٠ فأحسست أن السبب لا يمكن أن يكون الا امرأة ، وسألته : هل تزوج ؟

– كلا ، فلست أفهم النساء فهما كافيا !

– ياعزيزى جيرالد، ان النساء قد خلقن لنحببهن لا لنفهمهن!

– لا أستطيع أن أحب ، ما لم أثق فيمن أحب ٠٠!

– أعتقد أن فى حياتك سرا غامضا يا جيرالد٠ حدثنى عنه٠٠

فقال بعد تردد : « لنذهب فى نزهة الى الغابة ، فالمكان هنا

مزدحم . كلا .. لن أركب عربة صفراء ! اختر أى لون آخر.. هذه العربة الخضراء مثلا .. »

وبعد لحظات كانت العربة تنحدر بنا فى اتجاه (المادلين) ، فقلت أستحثه : « هيا ، قص على أمرك » .. فتناول من جيبه أيقونة مراكشية من الفضة، وأعطانيها ، ففتحتها.. واذا بداخلها صورة امرأة : طويلة ، نحيفة ، تبهر الناظر بعينيها الواسعتين، الغامضتين – حتى لتبدو كاحدى قارئات الغيب ! – وقد تدثرت بفراء ثمين ، تهدل عليه شعرها المرسل الطويل ..

وقال يسألنى : « ما رأيك فى هذا الوجـــه ؟ هل ينم عن اخلاص ؟» .. فعدت أفحص الصورة بعناية: **بدا لى كأن صاحبتها تخفى سرا ! ولكن هل هو سر خبيث أو برىء ؟ لم أستطع أن أحدد .. فلقد كان جمالها أشبه بمزيج من عدة غوامض ! وكانت البسمة التى على شفتيها لا تسفر ، الى حد يغض من عذوبتها ..** فقلت لصديقى : « انها (الجيوكندا) فى معطف من الفراء ! دعنى أعرف عنها كل شىء .. » فقال : « ليس الآن .. بعد الغداء » .. ثم بدأ يتكلم فى موضوعات أخرى

.. وحين أتانا الساقى بالقهوة والسجاير ، ذكرت جيرالد بوعده .. فنهض ، وراح يذرع الغرفة مرتين أو ثلاثا.. ثم غاص فى مقعد ذى مسندين ، وأخذ يروى القصة التالية :

- ٢ -

◆ « **ذات** مساء كنت أسير فى شارع (بوند ستريت) حوالى الساعة الخامسة، وكان الطريق مزدحما بحشد طويل من العربات يعطل حركة المرور ، فلمحت الى جوار الرصيف عربة صفراء لفتت انتباهى – لسبب لا أعلمه ! – فلما مررت بمحاذاتها أطل منها الوجه الذى أريتك صورته الساعة ، فبهرنى توا .. بحيث قضيت تلك الليلة بأكملها أفكر فيه ! وفى اليوم التالى خرجت أتجول فى ذلك الشارع المنكود ، وأطل فى كل عربة تمر ، باحثا

عن العربة الصفراء وصاحبتها المجهولة ٠٠ ولكن دون جدوى ٠٠ حتى لقد خيل الى فى النهاية أن الامر لم يكن سوى مجرد حلم !

« وبعد نحو أسبوع كنت مدعوا ذات ليلة للعشاء عند مدام دى رستايل ، وفيما نحن فى قاعة الاستقبال فتح الخادم الباب على مصراعيه وأعلن مقدم « الليـدى الروى » ٠٠ ولدهشتى ، كانت هى ذات المرأة التى تعبت فى البحث عنها !٠٠ وأقبلت فى خطوات بطيئة ، وقد بدت كشعاع من القمر فى ثوب أغبر ٠ وكان سرورى لا يوصف حين سئلت أن أصطحبها الى المائدة، فلم نكد نجلس ـ متجاورين ـ حتى ابتدرتها فى براءة فائقة : « أحسب اننى لمحتك فى (بوند ستريت) منذ أيام ياالليـدى الروى ؟ » ٠٠ فشحب وجهها فجأة وهمست : « أرجـوك أن تخفض صوتك ٠ فقد يسـمعونك ! » ٠٠ وأدركت اننى بدأت بداية غير موفقة ، فباغتنى شعور بالغيظ حاولت أن أداريه ، فجنحت بالحديث الى موضوع آخر ٠٠ وكانت هى لا تتكلم الا قليلا ، ودائما بنفس الصوت الخفيض ، فى هيئة من تخشى أن يسمعها أحد !

« وفى نهاية السهرة أحسست اننى أحببتها حبا مضطرما ، الى حد الحماقة ! كما أثار جو الغموض الذى يحوطها نوعا من حمى الفضول فى أعماقى ٠٠ فلما نهضت لتنصرف ، بعد العشاء بقليل ، سألتها عما اذا كانت تسمح لى بزيارتها ؟ ٠٠ فترددت لحظة ، ونظرت حولها ، كأنما لتستوثق من عدم وجود أحد بالقرب منا ، ثم قالت فى وجل : « نعم ٠ غدا فى الخامسـة والربع » ٠٠ وبعد خروجها رجوت مضيفتى أن تحدثنى عنها ، فكان كل ما علمته منها أنها أرملة ، وانها تملك منزلا جميلا فى (بارك لين) ٠٠

❖

◆ «وفى اليوم التالى بلغت (بارك لين) فى الموعد المحدد بالضبط ، فما كان أشد دهشتى حين أنبأنى الخادم أن الليدى

قد خرجت لتوها ! ·· فتوجهت الى النادى وأنا فى أشد حالات الضيق والحيرة · وبعد تفكير طويل كتبت اليها رسالة أسألها فيها أن تسمح لى بموعد آخر ·· **وبقيت أترقب ردها أياما ، حتى وصلتنى منها كلمة مختصرة تقول فيها انها ستكون فى منزلها فى الساعة الرابعة من بعد ظهر الاحد ، ثم تضيف فى تحفظ بالغ : « ارجو ألا تكتب لى بعنوان المنزل ، وسأوضح لك الامر حين أراك ! »**

«واستقبلتنى يوم الاحد ، وكانت ساحرة تخلب اللب · ولكن لم أكد أهم بالانصراف حتى رجتنى أن تكون رسائلى اليها ـ اذا لزم الامر ـ بعنوان (مسز نوكس ، أمينة مكتبة هوايت تاكر ـ فى جرين ستريت) ·· ثم أضافت أن هناك أسبابا توجب ألا تتلقى رسائلى فى بيتها الخاص !

« ·· وخلال الموسم رأيتها كثيرا ، فما كان جو الغموض يتركها قط ·· حتى كنت أستنتج أحيانا أنها لابد خاضعة لسيطرة رجل آخر ، ثم أعود فأكذب ظنى كلما رأيت هيبتها التى ترفعها فوق الشبهات !

« ·· وصار عسيرا على أن أصل الى نتيجة ، فقد كانت أشبه بتلك الكرة البلورية التى نراها فى المتاحف ، تبدو شفافة أحيانا ·· وأحيانا أخرى يشوبها الضباب !

« ·· وأخيرا قررت أن أعرض عليها الزواج ، كى أستريح من جو الغموض الذى كانت تفرضه على زياراتى ورسائلى ، فكتبت اليها بعنوان (أمينة المكتبة) مستأذنا فى مقابلتها مساء الاثنين التالى · فجاءنى ردها بالموافقة · **وطرت فرحا الى السماء السابعة ·· فان شغفى بها كان قد تضاعف ، بالرغم من غموضها ـ كما ظننت يومئذ ـ وبسبب هذا الغموض ، كما أتبين الآن !**

« وجاء يوم الاثنين ، وكنت مدعوا فيه للغداء عند عمى ·· فلما خرجت من عنده حوالى الرابعة والنصف يممت شطر بيتى

كي أستريح قليلا وأبدل ثيابى ، قبل أن أمضى الى موعدى · وآثرت أن أسلك الى بيتى – فى (بيكاديللى) – طريقا مختصرا يخترق بعض الازقة الضيقه ·· وفجأة رأيت فى زقاق منها « ليدى الروى » تسير فى خطى سريعه ، وقد حجبت وجهها بنقاب سميك ، حتى بلغت آخر بيت فى الزقاق فدخلته !·· وتبعتها متلصصا ، فرأيتها تصعد السلم الى الطابق الاول ، ثم تتناول من حقيبتها مفتاحا ، فتحت به أحد الابواب ·· وغابت وراءه !

« وقلت محدثا نفسى : « هنا يكمن السر !»·· وأجلت بصرى أتفحص البيت · كانت تبدو عليه سمة البيوت التى تؤجر مساكن مفروشة · وأخذت عينى أمام عتبة الباب منديلا سقط منها وهى داخلة ، فالتقطته ودسسته فى جيبى ·· ثم بدأت أتدبر ما عسى أن أفعل ، فانتهيت الى أنه ليس من حقى التجسس عليها ·· وهكذا يممت شطر النادى وقد استولت على كآبة وانقباض شديدان ·· فلما حان موعدى مضيت الى بيتها ، فوجدتها مضطجعة على كنبة وقد ارتدت ثوبا فضيا مزينا بأحجار براقة كانت دائما تتحلى بها ، فبدت لى فى ضجعتها تلك رائعة الجمال ·· وابتدرتنى قبل أن أدخل فى حديث : « لكم يسرنى أن اراك ، فانى لم أخرج طوال اليوم »··فحدقت فيهامستغربا ، ثم أخرجت منديلها من جيبى وقدمته لها وأنا أقول فى هدوء : « لقد سقط منك فى شارع كامنور ·· بعد ظهر اليوم ! » ·· فنظرت الى مرتاعة ، دون أن تحرك ساكنا لاخذ المنديل ·· فسألتها :

– ماذا كنت تفعلين هناك ؟

– بأى حق تستجوبنى ؟

– بحق رجل يحبك ·· لقد جئت اليوم لأسألك أن تكونى زوجتى !

« واذ ذاك أخفت وجهها بين راحتيها وأغرقت فى البكاء ··

فصحت بها : « يجب أن تخبرينى » ·· فهبت واقفة وقالت فى لهجة حازمة : « لورد مورشيسون ·· ليس هناك ما أقوله لك !» فواجهتها متحديا : « لقد ذهبت لمقابلة رجل ! هذا هو السر الذى تحرصين على اخفائه » ·· واذ ذاك ابيض وجهها بصورة مخيفة حتى صار يحاكى وجوه الاموات ، وأجابت فى لهجة الواثقة من نفسها : « لم أذهب لمقابلة انسان ! » ·· ولكنى أردفت ملحفا : « ألا يمكنك أن تقولى الصدق ؟ » ·· فلم تزد على أن أجابت فى تحد : « لقد قلت الصدق ! »

« وهنا جن جنونى ، وتملكتنى سورة الغضب ، فقلت لها كلاما ·· لا أذكره ! وانما أذكر فقط أنه كان كلاما رهيبا ·· واننى لم أكد أنتهى منه حتى اندفعت صوب الباب !

«·· وفى اليوم التالى وصلنى منها خطاب ، لكنى رددته دون أن أفضه !·· ثم رحلت مع صديقى (ألان كولتيل) الى النرويج ، حيث قضيت شهرا· وعند عودتى كان أول ما قرأته فى (المورننج بوست) نبأ وفاة الليدى الروى ! ـ على أثر برد أصابها فى الاوبرا ولم يمهلها أكثر من خمسة أيام ··

« وهدمتنى الصدمة ، فاحتجبت عن الناس ، ولم أعد أبرح بيتى ·· فلقد كنت أحبها حبا مفرطا ، جنونيا ·· يا آلهى ، كيف أحببت تلك المرأة ! »

- ٣ -

◆ **قلت** لصديقى : « ألم تفكر فى الذهاب الى بيت شارع كامنور ؟ »

فأجاب من فوره : « بل ذهبت · لم أملك مدافعة الشك الذى عذبنى فتوجهت الى هناك ، وطرقت الباب ·· ففتحته لى امرأة، تبدو محترمة ، فسألتها عن غرفة خالية ·· فأجابت بعد تردد : « ان غرفة الاستقبال مفروض انها مؤجرة ، ولكنى لم أر « السيدة » منذ ثلاثة أشهر · ولما كان أجر الحجرة مستحقا،

فيمكنك أن تشغلها ».. فسألتها وأنا أريها الصورة: « أتقصدين هذه السيدة ؟ » فأجابت توا : « انها هى بلا شك .. فمتى ستعود يا سيدى ؟ » فقلت لها : « ان السيدة قد ماتت » .. واذ ذاك صاحت جزعة دون وعى : « أواه يا سيدى ، أرجو أن تكون مخطئا . لقد كانت السيدة أحسن مستأجرة عندى .. كانت تدفع ثلاثة جنيهات كل اسبوع لا لشىء الا لكى تجلس فى الحجرة بين آونة وأخرى ! »

فعدت أسالها : « هل كانت تقابل أحدا هنا ؟ » .. **ولكن المراة اكدت لى ان شيئا من ذلك لم يحدث ، وان المستأجرة المجهولة كانت تحضر دائما وحدها ولا ترى أحدا !.. فصحت بالمرأة منكرا : « بربك ماذا اذن كانت تفعل ؟ » فقالت : «كانت تجلس لتقرأ كتابا .. وأحيانا تتناول الشاى ! »**

« .. ولم أدر ماذا أقول ، فأعطيتها قطعة نقود وانصرفت ..

« والآن ، ماذا يعنى كل هذا فى رأيك ؟ لا أظنك تصدق قول تلك المرأة ؟! »

أجبته : « بل أصدقه ..! »

– اذن فلماذا كانت ليدى الروى تذهب الى هناك ؟

– يا عزيزى جيرالد ، كل ما في الامر أن ليدى الروى كانت امرأة مولعة بالتخفى والغموض .. فهى لم تستأجر تلك الغرفة الا من أجل متعة التردد عليها ونقابها مسدل على وجهها ، متوهمة نفسها بطلة !.. أما فى الحقيقة فهى لم تكن الا .. أبو هول بلا سر !

– هل ترجح ذلك حقا ؟

– بل انى واثق منه !

وهنا تناول صديقى الايقونة ففتحها واخذ يتأمل الصورة.. ثم قال اخيرا :

– من يدرى ؟

امرأة مسترجلة !

◆ **عند** مانشرت الاديبة الفرنسية « مدام دىستايل» قصتها المشهورة «دلفين» ، لاحظ قراؤها أنها رسمت نفسها فى شخصية بطلة القصة ، ورسمت نفسية صديقها السياسى الداهية «تاليران» فى شخصية «امرأة» أخرى متقدمة فى السن من بطلات القصة الرئيسيات ٠٠

فلما التقى تاليران لاول مرة بعد ذلك بصديقته الاديبة الكبيرة ـ وكانت معروفة بأنها امرأة شبه مسترجلة في تصرفاتها ـ ابتدرها ساخرا : «يقولون انك قد صورتنا كلينا فى روايتك متنكرين فى ثياب نساء ! »

أطوار النساء !

◆ **يروى** الممثل المسرحى الامريكى «ادوين بوث» ـ وقد عرف بخجله الشديد من النساء ! ـ انه خلال احدى جولاته المسرحية وقعت له تجربة «رهيبة» على أثر اخلاده الى الراحة فى مخدعه ، وكان قد نسى أن يغلق الباب بالمفتاح : « فقد سمعت حركة بالقرب منى ، ففتحت عينى ٠٠ واذا باب الحجرة الواقع وراء ظهرى يفتح فى رفق ، وشعرت أن امرأة قد دخلت منه ، فلم أقو على الحراك ٠٠ ودخلت المرأة ـ التي لم أر فى حياتى أجرأ منها ! ـ وكانت طويلة ، نحيلة ، غريبة الاطوار ٠٠ ولا شك أنها لاحظت اننى أرتجف ، ومع ذلك فانها اقتربت من فراشى ، وأطلت على ، ودون أن تبتسم انحنت فوقى ٠٠ وقبلتنى فى فمى !٠٠ ثم خرجت من الحجرة دون أن تنطق بحرف !٠٠ ولقد حاولت كثيرا أن أصل الى تعليل تصرف المرأة ، لكنى عجزت ٠٠ كل ما أقطع به انها لم تكن بلهاء ، وانها كانت تبدو آخر امرأة فى الوجود تبالى بالقبلات ٠٠ بل انها كانت امرأة جامدة المشاعر !٠٠ فهل من يفسر لى لغزها ؟ »

الخالدات

شهيرات النساء

عزيزى القارىء ..

فى اعداد سابقة قدمت لك فى هذا الباب قصتين : اولاهما قصة حياة الملاك الابيض «فلورنس نايتنجيل» ، مؤسسة فن التمريض.. والثانية قصة حياة «مدام كورى » مكتشفة معدن الراديوم الثمين الذى يستخدم فى تخفيف آلام الآلاف من مرضى السرطان ..

واليوم تطالع معى فى هذا الباب قصة امراة شهيرة من طراز آخر ، هى « كليوباترة » ملكة مصر القديمة ، التى خلدت اسم مصر - برغم كل شىء - فى ذاكرة الاجيال المتعاقبة من بنى الانسان ، اكثر مما خلدها اى فرد آخر او آلاف الافراد .. والتى عاش بسببها فى جو مصر ، وسحر مصر ، ملايين القراء الذين طالعوا منذ اربعة قرون حتى اليوم مسرحية شكسبير عنها ، ثم مسرحية درايدن - التى تطالعها فى مكان آخر من هذا العدد - واخيرا مسرحية برناردشو .. فضلا عن آلاف الكتب الاخرى التى وضعت عنها ، والقصص واللوحات والالحان التى اوحت بها قصتها هذه لآلاف الكتاب واهل الفن ..!

وفى اعداد قادمة ازمع ان اقدم لك باذن الله قصص حياة اخريات من نساء العالم الشهيرات ، فى هذا الميدان او ذاك ، ومنهن : جان دارك ، تيودورا ، كاترين ، مارى ملكة اسكتلنده ، شارلوت برونتى ، سارة برنار ، مدام شيانج كاى شيك ، مسز روزفلت.. الخ

كليوباترة

الملكة ... والعاشقة!

هذه السيرة ..

◆ ترى هل تغير البشر كثيرا ـ بل هل تغيروا على الاطلاق ـ خلال العشرين قرنا الماضية ؟.. وهل تبدلت أساليب السياسة أو نزوات القلب البشرى ؟.. ماأحوجنا الى ان نقرأ التاريخ احيانا فى قصص حياة أبطاله وسيرة من كتبوه ، بأفعالهم وأمجادهم ، كى نيأس من تغير طبائع النفوس البشرية ، ونسلم بهذه الحقيقة الخالدة : ان الانسان هو الانسان ، والعالم هو هو ، امس واليوم وغدا .. لم تتغير فيه غير القشور ، ولم تتقدم فيه سوى .. وسائل المواصلات !.. واسلحة القتل والتدمير !

فتعال معى نقرأ فيمايلى قصة امرأة من اشهر شهيرات النساء فى جميع العصور ، قصة « كليوباترة » الخالدة : كليوباترة الملكة .. وكليوباترة العاشقة !.. بل كليوباترة المرأة التى ابتدعت من الاساليب الجريئة ـ فى السياسة ، وفى الحب ! ـ ما غير وجه التاريخ ، وخلد اسمها على مر الزمان .. واوحى الى المؤرخين واهل الفن بآلاف الكتب ، والقصائد ، واللوحات ، والالحان ..!

فاذا فرغنا من قراءة سيرة كليوباترة كما سجلها التاريخ ، انتقلنا فى الصفحات التى تلى ذلك الى قراءة كليوباترة كما صورها خيال شاعر عظيم ، فى مسرحية من روائع المسرح العالمى واخلد آياته ..

الحيلة امرأة !

◆ كان «يوليوس قيصر» قد وصل لتوه الى الاسكندرية ، منتشيا بانتصاره على غريمه «بومبى» .. فلم يكد يستقر فى القصر الذى أعد لاقامته حتى جعل همه احلال الامن والنظام مكان الفوضى والاختلال اللذين سادا السياسة المصرية على أثر وفاة الملك بطليموس الثالث عشر وتنازع ابنيه « بطليموس » و «كليوباترة » على وراثة العرش ، (بعد أن أفسد دعاة السوء

مابين الاخوين من مودة ، وأغروا الأخ ـ وكان فتى غريرا فى الرابعة عشرة ـ بنفى أخته كليوباترة الى سوريا والاستئثار بالملك من دونها !)

وذات ليلة ، نحو الساعة السابعة من احدى أمسيات خريف عام ٤٨ قبل الميلاد ، كان قيصر جالسا فى شرفة القصر يرقب النشاط الصاخب فى ميناء الاسكندرية ، حين سمع ضجة عند أبواب القصر ، وجاءه حارس يلهث قائلا : «ان مسافرا قد وصل لتوه يامولاى قادما من لبنان ، وعنده مجموعة من السجاد الثمين النادر يبغى أن يعرضها عليكم ·· »

ـ وهل أدخلتموه ؟

ـ يأبى حارس الباب أن يسمح له بالدخول يامولاى ··

وكان قيصر شغوفا بالفنون والتحف ، ذواقة لها ، فشاقه أن يرى تلك المجموعة من السجاد ، لعله يجد فيها هدية مناسبة لزوجته «كالبورنيا» يرسلها اليها من ديار الغربة ·· فصاح بالرسول :

ـ قل للحارس أن يدع المسافر يدخل فورا ··!

·· ومثل المسافر فى حضرة قيصر العظيم ، حاملا حملا من السجاد المطوى على كتفه ، ولم يكد يدلى حمله الى الارض فى رفق حتى قال مخاطبا امبراطور الرومان :

ـ سأريك يامولاى شيئا لم تر مثيله من قبل !

ثم بدأ يبسط السجاد المطوى على مهل ، وهو يبتسم لنظرة الدهشة التى لم تلبث أن ارتسمت على وجه قيصر ·· وقال له مزهوا :

ـ ألم أكن محقا يامولاى ؟

لكن قيصر انعقد لسانه عن الجواب ، فمن قلب السجادة المطوية خرجت اليه حورية مرسلة الشعر تضحك ضحك تلميذة المدرسة ، هى كليوباترة وارثة عرش مصر !

امرأة ذات فتنة ٠٠ ودهاء !

◆ **كانت** كليوباترة تملك موهبة حسن اختيار الوقت المناسب لتنفيذ خططها « شبه المسرحية » ، فظلت طيلة حياتها تلعب دورها بحنكة الممثلة المحترفة !٠٠ على أن تلك لم تكن موهبتها الوحيدة ، فقد كانت متعددة المواهب ـ على صورة تثير الدهشة ! ـ تناقش أعلم علماء عصرها فى الفلسفة ، والدين ، والسياسة ، كما تناقشهم فى الرسم ، والنحت ، والشعر !٠٠ كانت شخصيتها الجبارة نسيجا من خيوط ذات عدة ألوان : **كانت ذكية ، جذابة ، ماكرة ، قاسية ، حنون ، طائشة ، لبقة ، كريمة ٠٠ وفقا للمناسبات !٠٠ لكنها فى كل حين ـ والى غير حد ـ كانت ظمأى الى المجد ، مثل ظمئها الى الرجال !**٠٠ حاربت الاقدار بغير سلاح سوى سلاح جمالها ودعابتها ، فكادت تنجح ـ كما سنرى ـ فى جعل روما العظيمة مقاطعة من مصر ! ولئن انتهت حياتها بمأساة ، فما كان يمكن لامرأة مغامرة مثلها أن تتخير لها الاقدار نهاية مغايرة ٠٠

لقد أطلق على كليوباترة أنها ملهمة كل شعراء العالم ، « خليلة » الماجنين منهم جميعا !٠٠ والواقع أن عصر كليوباترة يقوم من تاريخ العالم مقام ليلة الكرنفال من ليالى العام الطوال٠٠

وقد انحدرت كليوباترة من سلالة «البطالسة» ، وهم من اغريق مقدونيا ، فهى ليست مصرية لحما ودما وانما تنتسب الى قائد مقدونى جاء الى مصر مع جيش الاسكندر ٠٠ وقد اشتهر البطالسة على وجه العموم بأنهم قساة لايعرفون الشفقة : فأولهم «بطليموس الاول» يسجل عنه التاريخ أنه «قطع عددا هائلا من الرؤوس ، وأراق فيضا غزيرا من الدماء ! » ٠٠ وثانيهم «بطليموس الثانى» قتل اثنين من اخوته ، وعرف بشغفه بالنبيذ الجيد والنساء ذوات السيرة السيئة !٠٠ وبطليموس الرابع قتل أمه وعمه !٠٠ وبطليموس السابع قتل أفرادا من شعبه «بالجملة» ،

كى يعلمهم كيف يحترمون ملكهم !.. **وبطليموس الثالث عشر - والد كليوباترة ، (وقد عرف بلقب « عازف الناى ») - قتل ابنته الثانية «بيرينيس» ثم ألف لحنا حزينا كى يعزفه فى جنازتها !**

وبقدر تعطشهم للدماء كان البطالسة ذوى ذكاء لماح ، ففى مدة حكمهم صارت الاسكندرية مركز الفنون والعلوم فى العالم القديم . ازدهرت فيها الهندسة والرياضة والفلك والفلسفة والادب والموسيقى والنحت والرسم ، وغيرها من الفنون الجميلة ، جنبا الى جنب مع الفنون «غير» الجميلة مثل فن التسميم ، وعلم القتل والغدر والاغتيال !.. وخلال سيطرة القوم على أكبر مدينة أثرية فى ذلك العصر - كما أطلق على الاسكندرية - اكتسبوا اتقانا هائلا لمختلف اللغات وسهولة فى التكلم بها ، فاستطاعوا التعبير عن أفكارهم الشريرة بكل لسان !

تأسر قلب قيصر !

تلك كانت السلالة نصف المتمدينة ، نصف المتوحشة ، التى انحدرت منها الاميرة التى مرقت من قلب السجادة المطوية كى تلتمس من قيصر أن يعينها على استرداد عرشها المسلوب!.. **وسحرته الماكرة بحركاتها ولفتاتها ، وشعرها الاحمر المجعد ، وابتساماتها المغرية ، وحركتها المرنة التى لاتهدأ ، وحديثها الشائق بلغة لاتينية سليمة ولهجة اغريقية جذابة .. فلم يكن فى استطاعته أن يقاوم سحر مغناطيس هذه الحسناء المصرية ابنة العشرين ، سيما وهو الرجل الذى عرف فى شبابه بأنه « زوج كل امرأة » ، وبأنه قد أفرط فى الانقياد لشهواته الى أقصى حد ..**

وهكذا وجد الكهل نفسه ينسى أنه فى الثانية والخمسين ، ويعود شابا عاشقا فى عنفوان عاطفته وحرارته ، يعيد كليوباترة الى عرشها ويصبح - هو الذى غزا العالم بأسره - عبدا لأتفه نزواتها !

أحلام عريضـة !

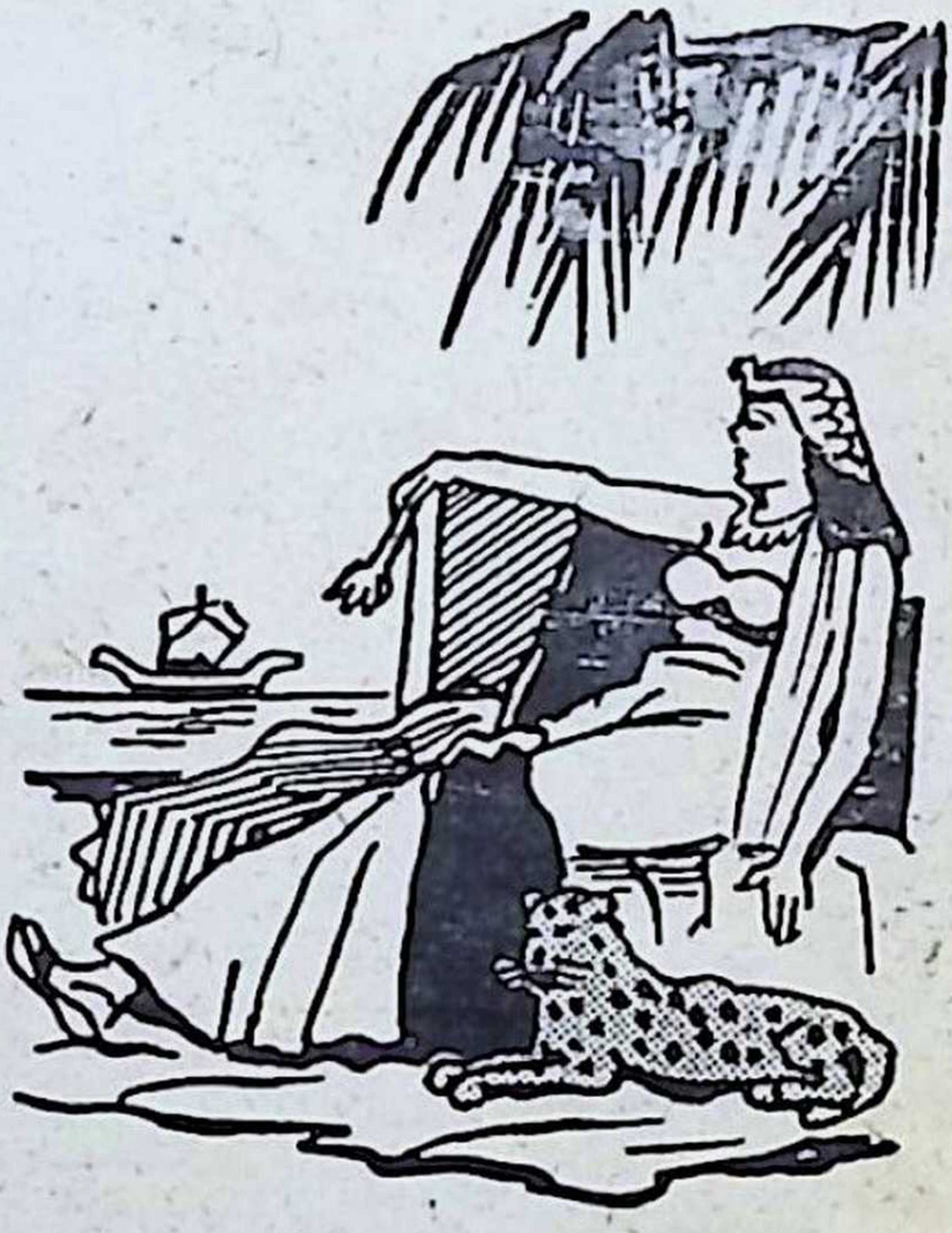

◆ **كان** أول مافعلته كليوباترة حين استتبت لها السيطرة على قلب قيصر أن أغرته بأن يغمس أصابعــه فى السياسة المصرية الفجة فيقتل أخاها الصـغير ومنافسها على العرش «بطليموس»! .. ثم دعته الى رحلة فى النيل على ظهر يختهـا المطعم بالذهب والياقوت ، وكانت نزهة غرام رائعة تتواتر فيها على العاشقين أضواء الفجر والغروب، والشفق والسحر ، وهما جالسان فى شرفة قصرهما العائم ينزلق بهما على صفحة النهـــر ، وتصافح سمعهما أصداء مجاذيف خمسين عبدا نوبيا تضرب الماء بانتظام رتيب .. فيحلم المحارب القديم والمغامرة الصـغيرة الطموحة حلما ذهبيا سداه الغزو ولحمته التوســع !.. **يحلم قيصر بأن يغدو سيد مصر ومولاها ، وتحلم كليوباترة بأن تغدو بمعاونته ربة الدنيا بأسرها .. ولكى يدعما حبهما وأطماعهمـــا بدعامة « فولاذية » تنجب له كليوباترة ابنا ، ليرث ملكهما العـــريض المرموق ..!**

ولكن فيما هما ينفقان وقتهما فى الاحلام السلبية ، ينشط أعداء قيصر فى روما للعمل الايجابى ، ويهددون بالتمرد عليه.. حتى أصدقاءه قد بدأوا يتذمرون ويجاهرون بأنه لايليـــق من قائدهم أن يتمرغ فى مخدع امرأة أجنبية ، تاركا وراءه غزوات قديمة لم تدعم بعد ، وغزوات جديدة لم تتم أصلا !

وازاء تحرج الحالة على هذا النحو انتزع «العريس» نفسه مضطرا من بين ذراعى كليوباترة ، وأبحر .. ولكن ليس فى اتجاه روما ، بل فى اتجاه «بونتاس» بآسيا الصغرى ، فقد أراد أن يعود الى بلاده عودة الجندى الظافر - لا العاشق الظافر - ! ومن ثم ينبغى أن يأخذ الى وطنه فى يده اقليما جديدا مستعبدا ، كهدية منه بمناسبة عودته من الغربة ..

حضرت .. ورأيت .. وانتصرت !

وأفلح فى قهر اقليم «بونتاس» ، وأعلن انتصاره فى ثلاث كلمات صارت منذ تلك الساعة مثلا مشهورا : « حضرت ، ورأيت .. وانتصرت ! » ذلك أنه قد تعلم فى مخدع كليوباترة أن يزهو ويتباهى بنفسه كأنه معصوم !

وبمجرد وصوله الى روما أرسل الى كليوباترة يستدعيها كى تشاركه نصره المجيد ، وأعد لها قصرا فاخرا على ضفة نهر « التيبر » .. وحين وافته غادة النيل الى هناك بدأ يدبر الخطة لقلب نظام الجمهورية الرومانية وتتويج نفسه ملكا على المملكة الجديدة ، ثم الزواج من كليوباترة شرعيا وتتويجها ملكة الى يمينه .. وعندئذ يتسنى لهما نقل عاصمة الامبراطورية من روما الى الاسكندرية ، ومن ذلك المركز الاوسط للبحر الابيض يستطيعان أن يحكما العالم !

ذلك كان حلم يوليوس قيصر - أو بالاحرى حلم كليوباترة منعكسا فى تصرفات قيصر ! - فان داهية روما الخطير قد صار مجرد « أداة » فى يد أذكى امرأة فى العالم . كان أشبه برجل منوم ، يسير ، ويتحرك ، ويتصرف بتأثير قوة مغناطيسية خارقة ! .. وبفعل الحث المتواصل العنيف من جانب كليوباترة ، التى استخدمت شبابها وشهوته هو سلاحا تبلغ به أهدافها المنشودة ، أخذ قيصر يسعى سعيه الحثيث ويدنو رويدا رويدا

من «عرش» روما !·· فقد بدأ بتنصيب نفسه قنصلا لمدة عشر سنوات ·· ثم دكتاتورا مدى الحياة ·· وأخيرا أعلن نفسه ابنا للآله «جوبيتر» مدى الدهــر !·· وأمر بأن يبنى هيــكل له ولكليوباترة ·· ووضع صورته وصورتها فى صدر المذبح ، كى تعبدهما الجماهير !

ولقد نظر أصدقاؤه وأعوانه المخلصون بارتياع الى انحلال شخصية هذا الرجل العظيم وانهيارها بين ذراعى امرأة «لا خلق لها » ــ كما وصــــفوا كليوباترة ! ــ فكتب الخطيب الاكبر «شيشرون» يقول فى هذا الصدد : « انى أمقت هذه المرأة ·· ولدى أسباب قوية تبرر هذا المقت ، بل لست أستطيع أن أذكر وقاحتها بغير أن تنتابنى قشعريرة وحشرجة ! »

ولقد غدت هــذه « الوقاحة » تهدد بقلب نظام الجمهورية الرومانية ، فاجتمع شيشرون وسواه من الزعماء وحذروا قيصر من مؤامرة كليوباترة ، ومن أطماعه هو الاشعبية !·· لــكنه لم ينتصح بتحذيرهم ، بل مضى قدما فى طريق تحقيــــق الخطة المشتركة التى رسمها مع كليوباترة ، والتى تهدف الى استئثاره بالسلطان المطلق ، فأمر بوضع « فراش مقدس » له فى الهيكل ، وعرش ذهبى له فى مجلس الشيوخ ·· ولم تبق الا خطــــوة واحدة وتتم خطة كليوباترة المرســـومة وتتحقق أطماعها : أن يتوج قيصر رسميا !

تاج ·· أم لحــــد ؟!

◆ **وجاء** شهر مارس من عام ٤٤ قبل الميلاد ·· وحل اليوم الموعود الذى حدد لتتويج قيصر ، وصيرورة كليوباترة سيدة العالم بأسره !·· وبلغ انفعال المرأة المحظوظة أقصاه ، فى انتظار اعلان النبأ السعيد ·· **ولكى تخفف كليوباترة من حدة هــذا الانفعال أمرت بتعليق أحد العبيد من رأسه فى سقف المــكان**

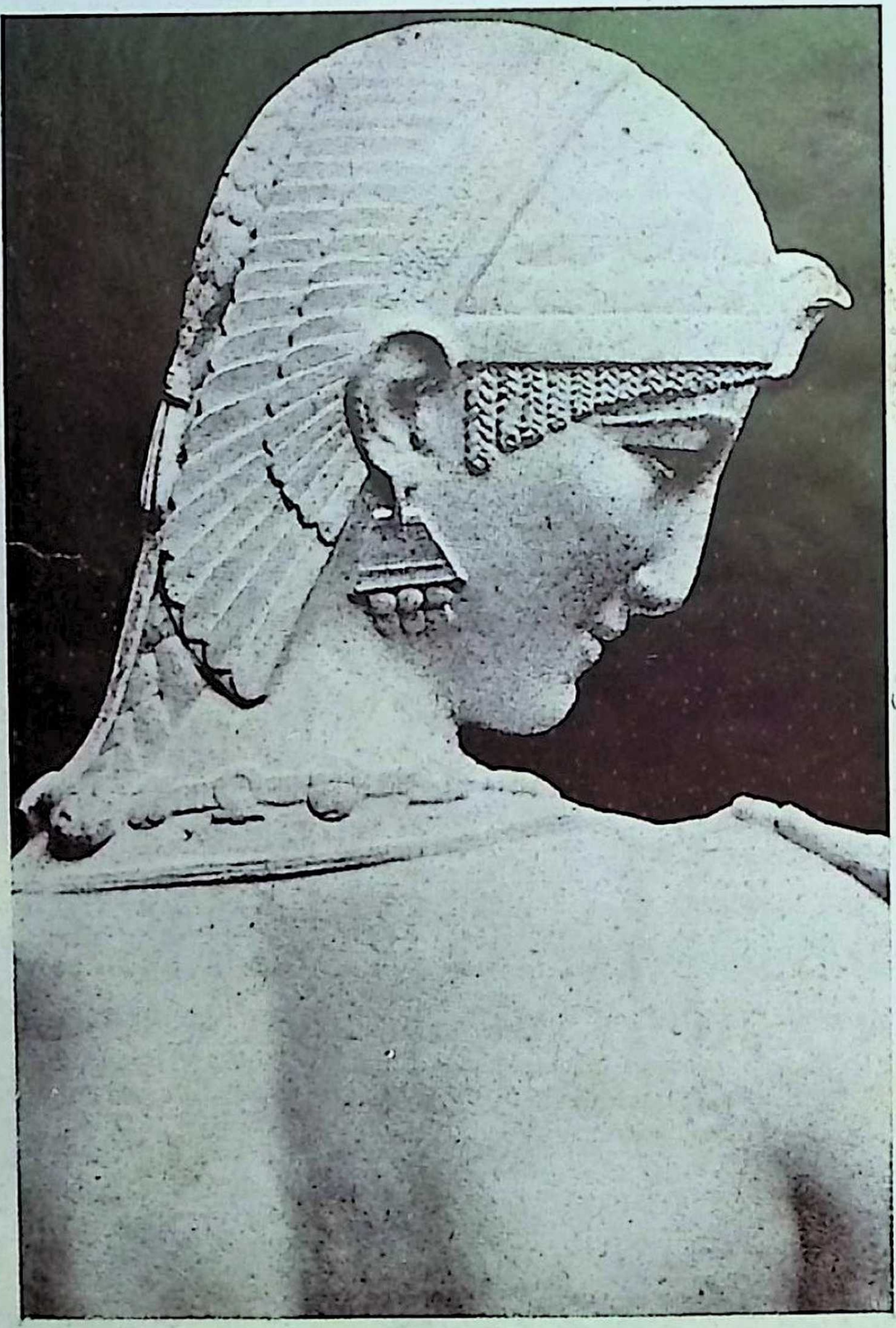

عروس النيل للمثال المصرى المبدع « مختار »

(منظر جانبى) اقرأ الكتاب صفحة ١١٧

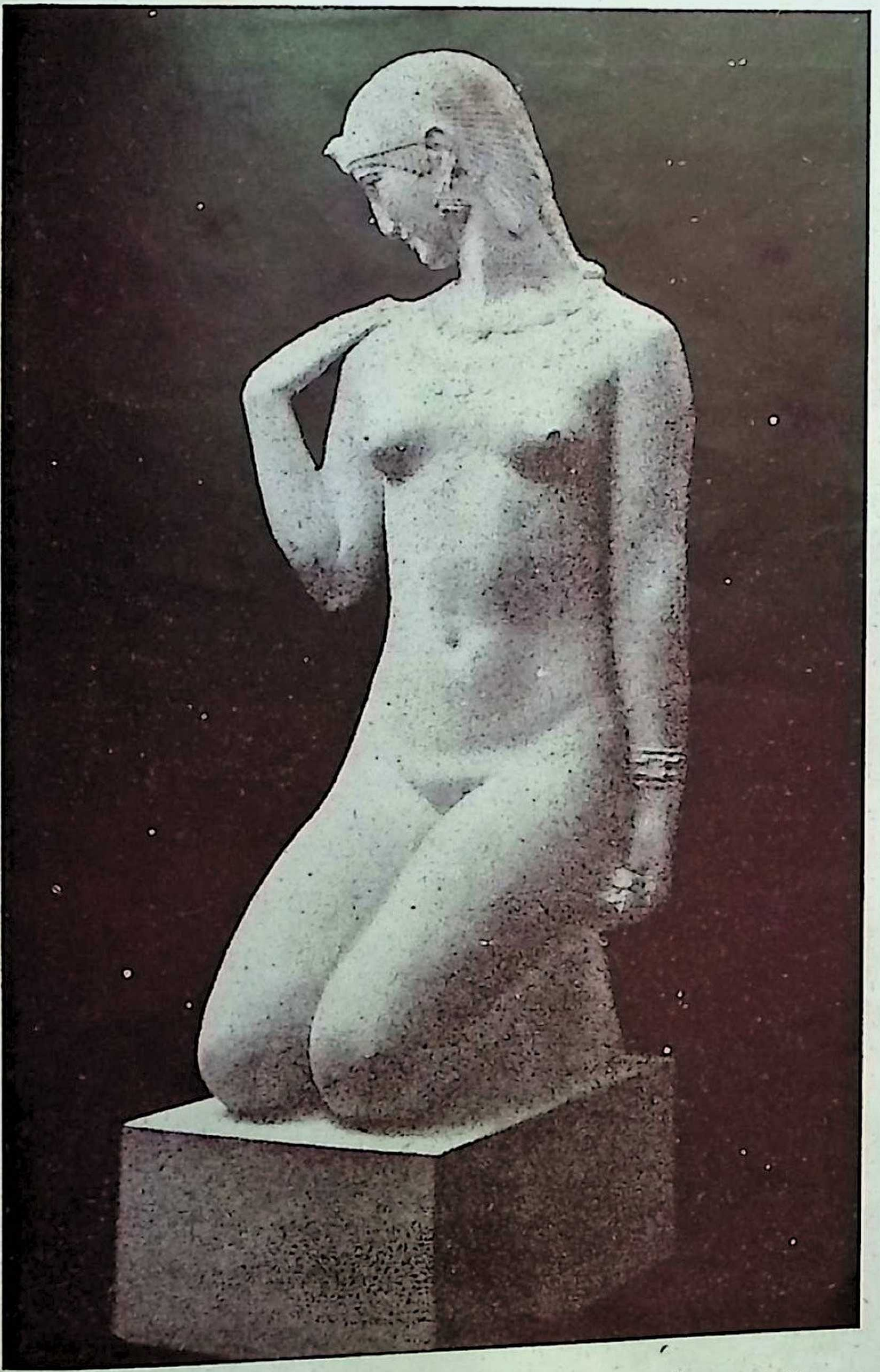

عروس النيل

(منظر كامل لتحفة « مختار » الخالدة)

حتى يموت شنقا - فقد كان ذلك هو العلاج المفضل المألوف لاعصابها حين تتوتر ! - ثم جلست تنتظر النبأ الخطير من مجلس الشيوخ ..

وفى المساء تلقت النبأ الخطير ، الاخطر مما كانت تتوقع : لقد آثر شيوخ روما قيصر ، لا بتاج الامبراطورية ، بل بثلاث وعشرين طعنة خنجر .. خلفته جثة هامدة !

وعادت كليوباترة الى مصر بقلب يعانى فراغا مروعا ..

مارك انطونى .. بعد قيصر !

◆ **لقد** راهنت كليوباترة على الجواد الاول .. وخسرت . لكنها قبل مرور زمن طويل عادت تقامر بمصيرها من جديد على جواد ثان ! وكان البطل فى هذه المرة قائدا رومانيا آخر يدعى « مارك انطونى » ، يفوق قيصر شبابا ، وقوة ، ووسامة وحرارة .. لكنه مثله عبد مستهتر لذلك الآله المتقلب: الطموح!

كان أنطونى محاربا عملاقا له عقل طفل وشهية آله .. رجلا خلق كى يبهر الانظار برهة ، ثم يقتله افراطه فى حماسته.. وكان وفاضه عامرا على الدوام بوسائل تسلية الناس ، وخطط استعبادهم ! لكنه كان محروما من الاتزان والتقدير الصائب للامور ، متهورا فى كرمه وفى قسوته على السواء ! رأى فيه جنوده شخصا مثلهم ، يرمز للمغالاة الخارقة فى ابراز فضائلهم ونقائصهم البشرية ، فعبدوه وألهوه .. وقد حدث مرة - كما يروى المؤرخ بلوتارك - أنه طرد مع فرقته الى خارج روما ، فكان قدوة هائلة تحتذى من جنوده ، فلقد نسى الترف الذى كان يتمرغ فيه ولم يجد غضاضة فى شرب الماء العكر الملوث وأكل الفاكهة والنباتات التى تنبت فى الاحراش !

وكانت الحياة عند أنطونى مزحة لاذعة مشبعة بالتوابل ، ينظر اليها ضاحكا ساخرا .. ولم يكن يعبأ بالرأى العام ، بل

كان لايفتأ يقـول : « ان فلاسفتكم يشرحون لكم كيف ينبغى للرجل أن يعيش ، لكننى أريكم كيف ينبغى للرجل أن لايعيش ! »

وطيلة حياته كان مثالا للرجل الذى يتصرف بوحى اللحظة أكثر مما يفعل بوحى التفكير والتدبير .. **كان يهدى طاهيه ضيعة شاسعة ـ يكون قد اغتصبها من صاحبها بقوة السلاح ـ مكافأة له على وجبة طعام شهية .. بنفس الاندفاع والتهور اللذين يأمر تحت تأثيرهما بذبح ألفى رومانى ـ بينهم الخطيب العظيم شيشرون ـ لانهم خالفوا آراءه السياسية !**

مؤامرة لتقسيم العالم !

وكان أنطونى حين أقدم على تلك المذبحة ـ عام ٤٣ قبل الميلاد ـ يؤلف بالاشتراك مع أوكتافيوس ولبيداس حكومة طغيان مطلقة . وكان هؤلاء « البلطجية » الثلاثة الامجاد قد عقدوا فيما بينهم ميثاق صداقة دائم ، ورغم ذلك فقد كان كل منهم ينزع الى طعن شريكيه فى ظهريهما عند أول فرصة ! وبمقتضى هذا الميثاق قسموا العالم فيما بينهم كما تقسم البطيخة الناضجة .. ولكى ينفذوا جريمتهم التى أطلقوا عليها : « توطيد دعائم سلم رومانى » انتدب أنطونى للسفر الى بلاد الشرق .. وخلال تلك الرحلة كان لقاؤه بكليوباترة وصيرورته عبدها الخاضع ـ كما خضع لها قيصر قبله ! ـ ذلك انه لم يكد يهبط مدينة طرسوس حتى أرسل يرجو من كليوباترة الحضور الى تلك المدينة كى يتحدثا سويا فى « أمور سياسية ومالية تهم الطرفين ! » .. فأبحرت كليوباترة من الاسكندرية الى حيث أرست أسطولها عند فم نهر «سيدنس» . واتخذ أنطونى مقعده فوق منصة القضاء القائمة فى ميدان السوق فى انتظار وصول كليوباترة الجميلة .. ولكن هذه أرسلت اليه مع رسول رسالة تقول فيها : « اذا أردت أن ترانى فينبغى أن تحضر الى سفينتى باعتبارك ضيفى ! »

اللقـــاء الاول !

فتقبل أنطونى الدعوة .. **وسرعان ما وجد نفســـه فى « حديقة » غناء عائمة فوق سطح الماء ، ترقص فوق ظهـــرها الحوريات ، وتعزف جوقة من عازفات الناى ألحانا ناعمة ، بينما تطوف فوق الرؤوس سحابة من البخور المعطر تخدر الحواس وتشيع فيها نوعا من النسيان العذب ..!**

وقد نسى أنطونى فعلا كل شىء حين رأى كليوباترة فى هذا الاطار السحرى ، فى ثوب شبه شفاف يمثل فينوس ربة الجمال ، وقد جلست تحت مظلة مزركشة بالذهب .. فحييت انطـــونى بابتسامة تواضع ماكر ، وبعد تبادل الرسميات المألوفة قادته الى صالون السفينة فى الطابق الاسفل ، حيث كانت قد أعدت له وليمة مصرية فاخرة .. وأذهل الضيف أن يرى الاسراف البادى فى صحاف الطعام الذهبية والفضية ، والكؤوس والاقداح المرصعة بالاحجار الكريمة ، والمفارش المصنوعة من القطيفـــة المطرزة .. وحين أبدى عجبـــه واعجابه بفخامة الوليمة أجابت كليوباترة قائلة ان كل مارآه لايعدو أتفه ماعندها .. ثم ـ كأنما بتأثير نزوة مفاجئة ـ أهدته كل تلك الاوانى الذهبيـــة التى أعجبته !

وردا لجميلها .. أهداها أنطونى قلبه وآماله وحياته .. لكنه فعل ذلك باستهتاره المعهود ، فان الجندى الخشن كان عاشقا خشنا أيضا ، لا عهد له بنعومة ولباقة تقاليد البلاط الملكى .. وقد دهشت كليوباترة فى البداية لمسلكه الاخرق ، ثم مالبثت أن كيفت مسلكها وفقا لطبيعته ، بفضل براعتها التمثيلية !

وتلا ذلك سيل من الولائم الملكية ، فاقت كل وليمة منها سابقتها فى الرواء والكرم .. وقد حاول أنطونى أن يجـــارى فاتنته في مآدبها ، لكن مآدبه جاءت ضئيلة الرواء معـــدومة

الذوق بالقياس الى مآدبها هى !٠٠ وذات ليلة قال لها على سبيل الاعتذار ان مأدبته الاخيرة كلفته مايوازى بالعملة الحالية خمسة وعشرين ألف جنيه ، ثم أضاف : « ولا شك أن انسانا لايستطيع أن ينفق على مأدبة واحدة أكثر من هذا المبلغ ! » ٠٠ فضحكت كليوباترة وقالت : « أنا أستطيع ٠٠ وسترى أن وليمتى القادمة سوف تكلفنى ربع مليون جنيه ! » ٠٠ وحين أظهر أنطونى شكه فى قدرتها على ذلك راهنته على الامر ، وحددت للوليمة اليوم التالى مباشرة !

لؤلؤة ٠٠ وكأس !

وفى الساعة المعينة وصل أنطونى الى يخت الملكة ، فسره أن وجد معدات الوليمة الظاهرة دون ما ألف فى الولائم السابقة ، ومن ثم هنأ نفسه مقدما : « أعتقد اننى كسبت الرهان » ، ثم قال لمضيفته شامتا : « أرى أن وليمتك بصحافها وطعامها وحواشيها لن تكلف عشر المبلغ الذى تراهنا عليه ! »

فأجابت كليوباترة مبتسمة : « انتظر ٠٠٠ ليست هذه سوى البداية فقط » ، ثم صفقت بيديها آمرة عبيدها أن يحضروا لها مائدة عليها كأس صغيرة من الخل !٠٠ فلبث أنطونى ينتظر ما سوف تفعل ، نافد الصبر ، مدهوشا ٠٠ **لكن دهشته تضاعفت حين جىء للملكة بالمائدة والكأس ، فما كان منها الا أن نزعت فى هدوء من القرط الذى تضعه فى أذنها حبة لؤلؤ وضعتها فى الخل وهى تقول فى غير مبالاة : « هذه اللؤلؤة وحدها تساوى نصف المبلغ الذى تراهنا عليه ! »** ٠٠ وحين ذابت اللؤلؤة فى السائل جرعته الملكة على مهل ٠٠ ثم قالت وهى تتأهب لاعادة الكرة : «والآن يجىء دور اللؤلؤة الثانية !»

فأمسك أنطونى يدها صائحا : « كفى ٠٠ لقد كسبت الرهان ! »

حماقات العاشقين فى الاسكندرية !

◆ **وماكانت** كليوباترة بالحمقاء الطائشة ، وانماكانت ترمى الى هدف من وراء بذخها واسرافها الجنونى !.. أرادت أن تلقى فى روع أنطونى أن ثروتها الضخمة هى خير عون له فى كفاحه من أجل السيطرة على الحكم فى روما . فلئن كان قيصر قد مات ، ففى وسعها اثارة النزاع بين أنطونى وأوكتافيوس — أما « لبيداس » ثالثهم فلم يكن بذى خطر — وعندئذ تستطيع بفضل موهبة أنطونى العسكرية وثروتها هى أن تتخلص من أوكتافيوس وتتولى وحبيبها العرش الرومانى ، فتصبح سيدة الدنيا كما حلمت منذ بعيد !

واذ انتعشت أحلامها على هذا النحو أقلعت بيختها عائدة الى الاسكندرية ، بعد أن حصلت على وعد من أنطونى بأن يزورها فى وطنها .. وكان أنطونى مشوقا الى أن يرى بعينيه ثروة مصر الخيالية التى يتحدثون عنها ، وأن يتذوق من جديد قبلات الساحرة الصغيرة النابتة على ضفاف النيل .. وهكذا لم يضيع وقتا فى الانتظار بل لحق بها فورا فى الاسكندرية ، حيث استقبل استقبال الملوك الفاتحين ، وانغمس فى سلسلة متصلة الحلقات من الملذات والمباهج والمهرجانات ، أو على حد تعبير المؤرخ بلوتارك : « **انها تكون محاولة عقيمة أن يحاول أحد وصف وتعداد حماقات أنطونى وكليوباترة فى الاسكندرية !** »

.. فقد اندفعا فى تيار المجون بغـــير وعى : فمن كرنفالات تنكرية ، الى نزهات ورحلات ، الى مراقص وحفلات لسباق المركبات ، الى زيارات للحانات فى أزياء الفلاحين أو العبيـد .. بل انهما كانا يعمدان أحيانا الى الانطلاق فى شوارع المدينـة المظلمة أثناء الليل ، فيطرقان أبواب ونوافذ بيـوت يجهـلان أصحابها ، ثم يفران قبل أن يجيب أصحابها الطارقين !.. وقد حدث أن ضبطا مرة أو مرتين وتلقيـا « علقة » قاسـية من الاهلين ..!

خصـــم ماكر !

◆ **ونسى** أنطونى بلاده ومنصبه ، وعاش يقتات من زهرة الحب ، ويبدد أطماعه وقواه ، بل يبدد ماهو أثمن منهما وأغلى : الوقت !.. فبينما هويتمرغ فى مخدع كليوباترة كان أوكتافيوس يوطد مركزه الخاص فى روما .. ولم يكن أوكتافيوس بالخصم السياسى الذى يستهان به ، فبقدر ضعف جسمه ، كان عقله قويا صلبا كالفولاذ .. ولم يكن وجهه الشـاحب الذى ترك الجدرى آثاره عليه ، وأسنانه المتآكلة ، توحى البتة بالوحش الكامن فى أعماقه – حتى لقد عرف بلقب «الجلاد» من كثرة الضحايا الذين حكم عليهم بالعذاب والصلب ! – **فقد كان قاسيا شاذا ، يكره ضـــوء الشمس ، ولا يســتحم الا نادرا !.. وبالاختصار ، فانه كان أشبه بمخلوق نحيل يعيش فى حمأة من القذارة الجسمية والعقلية ..**

ذلك كان الخصم الذى هب لمناهضـة أنطونى فى كفاحه من أجل العرش الرومانى .. وشيئا فشيئا أخذ أوكتافيـوس يتلمس طريقه الى القمة ، ويتلمس سببا لمبادأة أنطونى بالعدوان ! .. وقد يسرت له المصادفة سبيل هذا العـدوان ، فان زوجة أنطوني «أوكتافيا» كانت شقيقته هو .. ومن ثم سهل عليه أن

يتهم غريمه باهمال أمر زوجته وخيانتها مع امرأة أجنبية - ولم يكن متجنيا فى هذا الاتهام كما رأينا !.. ثم لم يكتف بذلك بل حرض أخته على السفر الى مصر لمحاولة اقناع زوجها بالعودة الى وطنه وبيته ، رغم علمه بعقم هذه المحاولة ..

الوحش المخمور .. والعاهرة الاجنبية !

وحين عادت أوكتافيا الى روما بخفى حنين ، اندفع أوكتافيوس الى مجلس الشيوخ يهاجم من فوق منصته علانية ذلك « الخائن المنحل الخلق ، الوحش المخمور الذى وعد العاهرة الاجنبية بأن يهبها الامبراطورية الرومانية ثمنا لحبها ! »

ووافقه الشيوخ الرومان على أن ذلك أمر لم يعد يحتمل .. وهكذا أعد على الفور أسطولا خاصا كى يبحر لمحاربة أنطونى! **وحين بلغ النبأ مسامع أنطونى ، أعد بدوره أسطولا لمحاربة خصمه .. وأردف ذلك بتطليق زوجته أوكتافيا وتزوج من كليوباترة !** ثم نصب نفسه محررا لروما ، مثلما يحدث دائما حين يتنازع لصان قديمان ويشتبكان فى حرب أهلية ، فيطلق كل على نفسه أنه محرر بلاده ..

وبلغ من ثقة أنطونى بانتصاره أنه احتفل بهذا الانتصار قبل أن يبدأ القتال !.. فكان ابحار أسطوله أشبه باستعراض فى مهرجان منه بسير الى معركة !.. وبنفس هذه الروح صحبت كليوباترة زوجها الى القتال ، ترافقها فرقة من جيشها الخاص .. وكانت آمال الاثنين فى النصر تكاد تبلغ عنان السماء . ان الامر لن يحوجهما الى أكثر من مناورة قصيرة مثيرة ظافرة - سيما وأن أسطولهما أكبر وأقوى وأصلح عتادا وعدة من أسطول خصمهما ! - ثم يخرجان من المعركة سادة للعالم !

وتأهب أنطونى للقتال بالانغماس فى الشراب ، ففى صبيحة يوم المعركة كان ثملا من الخمر .. وفى أمسية اليوم

نفسه كان مملا من اليأس !٠٠ فان أبعد الامور احتمالا قد وقع : هزمت سفن أنطونى الكبرى واحدة بعد واحدة أمام سفن خصمه الصغيرة ! وفى وسط المعركة وجدت كليوباترة الجـو «حارا» لايلائم راحتها فهجرت أنطونى مع فرقتها الكاملة ، تاركة اياه يخوض المعركة بمفرده !٠٠ وفى تلك اللحظة فقـط زايلت أنطونى شجاعته وانهارت معنويته ٠ استسلم الجندى فيـه للعاشق استسلاما تاما ، فلم يكد يرى كليوباترة تبحر عائدة الى مصر حتى هجر بدوره كل جنوده المحاربين الذين يعرضون حياتهم للخطر من أجله ، وتبعها الى الاسكندرية !

وكانت تلك نهايته السياسية والحربية ٠٠ فقد نظـر الجميع باحتقار الى البطل المهزوم الذى تبـع راية « قميص امرأة ! » ٠٠ بل ان كليوباترة نفسها احتقرته ٠٠ فقد كانت تعرف كيف تهلل للمنتصر ، لكنها كانت تجهـل كيف تواسى المهزوم !٠٠ وقد أفل نجم أنطونى ، كما أفل نجـم قيصر من قبل ، فلم تعد بها حاجة اليه !

رجل ثالث ٠٠ فى جعبتها !

لكنها قد تكون بحاجة الى غيره ، فان أحلامها بالجلوس على عرش روما لم تتبدد بعد ٠٠ ولئن تعذر عليها أن تحققها كزوجة لقيصر ، أو أنطونى ٠٠ ففى وسعها أن تحققها بصفتها زوجة لـ٠٠ أوكتافيوس !٠٠ ولم لا ؟٠٠ أغلب الظن أن أنطونى سوف يقتل نفسه هما وكمدا بعد الهزيمة ، وبذا تتخلص منه ومن التزامات الاخلاص له ٠٠ وعندئذ يراها أوكتافيوس ، فيروق حسنها وشبابها فى عينيه ، ويدرك بذكائه أنها على استعداد لتعويضه عما سلف !٠٠ وماذا يهمها من شـخصية الجالس بجوارها ، مادامت تستطيع أن تجلس عـلى عرش روما ٠٠ عرش الدنيا بأسرها ؟

مأساة .. مزدوجة !

لكن هناك فى حسبانها ثغرتين قد تعترضان تحقيق أطماعها : ذبول جمالها ، وعصيان قلب أوكتافيوس .. فهل ترى يصدق مافى الحسبان ؟ أم تقهر هى ذلك العصيان ؟

وانتحر أنطونى ، كما توقعت .. وجاء أوكتافيوس ، ليراها .. لكنه جاء ، ورأى ، ولم يقهر !.. وان كان قد عرض عليها فعلا أن يأخذها معه الى روما ، ولكن لا كزوجة .. بل كواحدة من عبيده !.. انها بالنسبة اليه لم تكن أكثر من أسيرة حرب ، لا أميرة تصلح للجلوس الى جانبه على العرش ..!

.. وكانت تبتسم وهو يكلمها ويعرض عليها ، فلما انتهى وعدته بالرضوخ لمشيئته .. لكنها فى قرارة نفسها فضلت أن تسلم نفسها لعضة ثعبان ، على أن تستسلم لرحمة خصمها اللدود !

ورغم بقائها فى أسر أوكتافيوس ، فقد دبرت الوسيلة التى تخيرتها لمصرعها : أوصت وصيفتها بأن تدس لها الثعبان فى سلة الفاكهة !.. برغم حراسة الحراس من العيون والارصاد..

وحصلت المرأة ، الظمأى الى المجد ، على نصيبها الاخير من المجد الدنيوى : أقامت للديدان الجائعة من جسدها .. وليمة ملكية !

امرأة .. صريحة !

◆ **عندما** تقدم المفكر المعروف الدكتور صمويل جونسون طالبا يد المرأة التى أحبها ـ وكانت أرملة تدعى مسز بورتر ـ رأى من واجبه أن يعترف لها بأن أسرته لاتخلو من الشوائب ، فقد كان له خال حكم عليه بالشنق!

فما كان من المرأة الا أن طمأنت محدثها بلباقة ، مؤكدة له انه وان لم يحكم على أحد من أقاربها بالشنق، الا أن بينهم خمسين شخصا على الاقل « يستحقون الشنق! ».

عندما ترفع الستار..

روائع المسرح العالمى

(التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية من (كتابى) المسرحيات العالمية الآتية على التوالى :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوى
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المرأة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيوكندا : دانونزيو
كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
مدرسة الفضائح : شيريدان
سيرانو دى برجراك : روستان
لعبة الحب والموت: رومان رولان
مروحة الليدى وندرمير : اوسكار وايلد
فاوست : جيته
أوديب الملك : سوفوكل

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المسرحية التى لم تترجم الى العربية من قبل ، مع انها كتبت منذ ثلاثمائة عام ، ومع انها تدور حول شخصية ملكة مصر القديمة « كليوباترة » !

.. وفى الاعداد القادمة اقدم لك باذن الله هذه الروائع العالمية :

هرنانى : فيكتور هوجو
قافلة الزمان : نويل كوارد
البخيل : موليير
ترويض النمرة : شكسبير
عطيل : شكسبير
الخطاب : سومرست موم .. الخ

في سبيل الحب

مأساة تمثيلية كبرى : للشاعر "جون درايدن"

البطلة .. والمسرحية .. والمؤلف

◆ قرات فى الصفحات السابقة سيرة كليوباترة كما سجلها المؤرخون .. وبقى ان تقرا قصة غرامها الاعظم كما تخيله شاعر عظيم .. فغرام «انطونى وكليوباترة» يكاد يعتبر أشهر حب فى التاريخ ! وقد عالج موضوعه أعظم مؤلفى العالم الموهوبين ، منذ شكسبير ، مدفوعين جميعا بحافز واحد ، هو روعة مغزاه الاخلاقى .. ذلك ان ابطال الرواية الرئيسيين كانوا نماذج خالدة للحب غير المشروع ، الذى انتهى باصحابه الى اسوأ نهاية !.. اما الرواية ذاتها فهى الصورة المسرحية للعدالة المثالية ، للعقوبة العادلة التى تتبع العواطف المحرمة .. ولئن كان أبطالها قد ارتكبوا اثما يستحقون عليه عقوبتهم ، الا انهم ليسوا على درجة من الشر تفقدهم عطفنا .. فهم خطاة مسلوبو الارادة ، اكثر منهم أنذالا مستهترين !..

◆ ومؤلف هذه المسرحية هو الشاعر الانجليزى القديم «جون درايدن» ، الذى عاش بين عامى ١٦٣١ و١٧٠٠ وقد كان جده وعمه يحملان ارفع القاب الدولة ، وترك له أبوه ضيعة تغنيه عن الانشغال بمطالب العيش والحياة المادية ، فاستطاع أن يكرس وقته لتامل قيم الحياة المعنوية .. كان يقضى الصباح فى الكتابة والتاليف ، وينفق العصر بين أسرته وافراد بيته ، ثم يمضى فى المساء الى مشرب «ويلز» الذى كان ملتقى ادباء العاصمة الانجليزية ، حيث كان الشعراء الشبان والطلبة والفنانون ينظرون اليه باعتباره معجزة عصره ! وكان هو أيضا ، يعتبر نفسه أنبغ مفكرى زمانه ، فكان ينشق السعوط وينثر عباراته اللاذعة بخيلاء ولهجة متعالية .. وضاعف من خيلائه انه صار ذا حظوة عند الملك والامراء ، فكان يخصهم بعبارات اهداء كتبه الجديدة ومقدماتها ، ويتلقى مقابل كل مقدمة كيسا من ذهب المعز !

وقد وضع درايدن سبعا وعشرين مسرحية ، مابين ماساة وكوميديا ورواية ساخرة ورمزية .. ولكن بعض هذه المسرحيات لقى فشلا ذريعا ، وبعضها منع تمثيله على المسرح لعدم لياقته من حيث الآداب العامة .. وبعضها نجح نجاحا هائلا ..

ويجمع النقاد على ان مسرحيات درايدن تفوق مسرحيات شكسبير من ناحية الفن والصنعة ، لكنها تقل عنها من ناحية الشعر والفلسفة، فيما عدا مسرحية «فى سبيل الحب» التى نقدمها اليوم ، فقد بلغ فيها الذروة ! (فى الاصل الشعرى الانجليزى الكامل بطبيعة الحال)

شخصيات الرواية

مارك انطونى	Marc Antony
كليوباترة	Cleopatra
فنتدياس (قائد جيش أنطونى)	Ventidius
شارميان (وصيفة كليوباترة)	Charmian
اليكساس (خصى كليوباترة)	Alexas
اوكتافيا (زوجة أنطونى)	Octavia
دولابيللا (صديق لانطونى)	Dolabella

- ١ -

◆ **عندما** ترفع الستار نجد انطونى متورطا فى حبه لكليوباترة ، تورط الحشرة فى نسيج العنكبوت !٠٠ ونعلم من الحوار الذى يدور أن معركة « اكتيوم » قد انتهت بهزيمته على يد خصمه « اوكتافيوس قيصر » الذى يقل عنه ذكاء وبراعة ، وان فاقه فى المران العملى ٠٠ فانزوى أنطونى فى معبد (ايزيس) فريسة لليأس المرير ، وقد أخذ يسائل قائده « فنتدياس » فى حسرة :

انطونى : لماذا رفعتنى الاقدار الى السماوات ، وجعلتنى أتوهج كالشهب ، وأضيء حيثما ذهبت ٠٠ حتى استنفدت نارى وقودها فسقطت من عليائى ، كى يطأنى قيصر ؟!

◆ لكن القائد فنتدياس يحاول أن يحيى فى زعيمه شجاعته الروحية القديمة ، فيهيب به :

فنتدياس : انهض، انهض بحق شرفك٠٠ ان اثنى عشرة فرقة تنتظرك ٠٠ انهم يرجونك أن تسرع كى تتولى قيادتهم !

◆ نعم ٠٠ ان فى استطاعة انطوني أن ينهض من كبوته مرة أخرى ويرتفع الى ذروة المجد والشهرة ، والجنود على استعداد

لان يتبعوه ·· ولكن بشرط واحد : أن ينبذ كليوباترة ! ·· بدونها يستطيع أن يصبح امبراطور روما · أما اذا أصر على البقاء معها فانه ·· يفقد كل شيء !

انطونى : لا أريد أن أسمع كلمة سوء فى كليوباترة ! ·· انها تساوى فى نظرى أكثر من جميع الممالك التى أستطيع أن أغزوها !

◆ لكن فنتدياس يوبخه ويلومه ·· ثم يتوسل اليه ·· ويناقشه ·· ويجادله ·· حتى يتوصل أخيرا الى جعل العاشق يخجل من نفسه ، ويبعث فى انطونى من جديد روح المحارب الباسل :

انطونى : هيا بنا يا فنتدياس ·· لشد ما أنا مشتاق الى مواجهة العدو مرة أخرى ، والى أن أسير فى مقدمة جنودى ، وأحصد حصاد « الميدان » النبيل !

- ٢ -

◆ **فاذا** كان الفصل الثانى فقد علمت كليوباترة أن انطونى يوشك أن يهجرها ، فتنازعها الغيظ واليأس ، حتى لقد ذهبت خادمتها « شارميان » اليه تستعطفه ·· ولكن دون جدوى !

كليوباترة : ماذا أفعل ؟ والى من ألتجىء ؟ لقد تغلب فنتدياس ·· وسوف يخذلنى انطونى !

شارميان : لقد ذهبت اليه فوجدته محاطا بتماثيل الجنود الحديدية الخرساء الجامدة ·· وكان يبدو عليه العزم والتصميم ، لكنه مع ذلك حين رآنى جفف دمعة كانت توشك أن تنحدر من عينيه ··

كليوباترة : اذن فقد بكى ؟ وهل وجدنى أستحق دمعة ؟

شارميان : ورغم ذلك فقد ردنى خائبة ، وأبى أن يراك !

◆ وتبدو القضية فى نظر كليوباترة خاسرة ، ميؤوسا منها ،

لكنها لا تبدو كذلك فى اعتقاد « الكساس » خصى جلالتها ، الذى يرى أن من يفر من مواجهة المعركة هو الضعيف !٠٠ وهكذا يدبر الكساس محاولة أخرى للتلاعب بعواطف انطونى وايقاد شعلة حبه لكليوباترة من جديد :

الكساس : ها أنذا أسمع أبواق جيشه تقترب ـ فانه سيمر من هنا ـ فهيا أفسحن لى الطريق كى أجرب معه حيلتى الاخيرة !

◆ وحين يمر انطونى أمام القصر فى مقدمة جيشه ، يوقفه الكساس كى يقدم اليه هدية من ٠٠ كليوباترة !

الكساس : مولاتى كانت تود لو قدمت لك روحها ، لولا أنك أخذت هذه الروح من قبل٠٠ لذلك فهى ترجوك أن تزين معصمك بهذا السوار المصنوع من الياقوت ، رمز قلبها الجريح ٠٠

انطونى (وهو يحاول تثبيت السوار حول معصمه) : نحن العسكريون لا نجيد استخدام أدوات الترف ٠٠ فهلا أعنتنى على تثبيت هذا السوار ؟

الكساس : الحق يا مولاى اننا نحن الندماء لا نجيد بدورنا هذه الامور ٠٠ لا تجيد ذلك غير الايدى الناعمة وحدها ٠٠ وخاصة يد تلك التى أرسلت السوار !

◆ وهكذا يمهد « الكساس » الماكر للقاء آخر بين مولاته وحبيبها ، الامر الذى يثير حفيظة القائد فنتدياس وغيظه ٠٠!

ويتم لقاء العاشقين :

انطونى : ها قد التقينا يا سيدتى ٠٠

كليوباترة : وهل يجب أن نفترق ؟

انطونى : يجب ٠٠

كليوباترة : ومن الذى يوجبه ؟

أنطونى : توجبه أقدارنا القاسية داتها !

كليوباترة : نحن الذين نصنع أقدارنا ٠٠

انطونى : ولقد صنعناها بالفعل ، حين أحببنا كلانا الآخر حبا دمرنا معا ٠٠

◆ ورغم كل توسلات كليوباترة واستعطافها ، ودموعها ، يصمم انطونى على الرحيل! .. لكنها تصمم بدورها على استبقائه، فتعمد الى استخدام سلاحها الاخير الفعال : تريه خطابا تلقته حديثا من روما !

انطونى : بحق هرقل .. انه خط اوكتافيوس ! .. أنظر ، أنظر يا فنتدياس .. انه يعرض عليها استقلال مصر ، وضم سوريا اليها ، كهدية منه فى مقابل أن تتخلى عنى ، وتضم جيوشها الى جيوشه لمحاربتى !

الكساس (يخاطب نفسه) : انه يضعف .. سوف ننتصر !

فنتدياس (مستحثا مولاه) : هلا عدت الى وطنك ؟ ان شرفك، وثروتك ، ومجدك .. فى الميزان !

انطونى : بل ان الثقة .. والشرف .. والفضيلة .. وكل ما هو طيب يمنعنى من أن أهجر تلك التى تضع حبى فوق الممالك والتيجان ، وتأبى التفريط فيه رغم الوعد والوعيد ! .. فامنحي أيتها الآلهة حبيبك الغرير ، قيصرك ، هذه اللعبة ـ هذا النموذج الصغير للكرة الارضية ـ كى يلعب ويتسلى به .. وقولى له اننى لن أرضى بأقل من كليوباترة !

كليوباترة : انها ملك يمينك !

فنتدياس (ساخطا) : أواه من النساء .. النســـاء .. النساء ! ان الآلهة جميعا لا تملك للانسان نفعا بقدر ما يملكن هن له من ضرر !

- ٣ -

◆ **ويقر** قرار أنطونى فى النهاية على البقاء فى مصر ! .. ثم يخوض غمار معركة جديدة ضد جيش أوكتافيوس فينتصر عليه .. لكن البطل الظافر فى الميدان يعود فيصير عبدا خاضعا لغرامه المشبوب بكليوباترة ، فى الوقت الذى يظل فيه غريمه

أوكتافيوس يهدد مركزه فى مصر بواسطة قواته المتفوقة فى العدد والعدة !

وهكذا يزداد قلق القائد المسن المخلص ــ الجنرال «فنتدياس» ــ على زعيمه أنطونى ، وشوقه الى انقاذه من حتفه الذى يسعى اليه ! ٠٠ وينضم اليه فى جهاده المرير حليفان قويان : هما « دولابيللا » صديق أنطونى القديم ، و « أوكتافيا » ٠٠ زوجة أنطونى !

أما دولابيللا فهو ضابط فى الجيش الرومانى الذى غزا مصر فى غمار الحرب ضد أنطونى ٠٠ وأما أوكتافيا ، زوجة أنطونى، فهى شقيقة القيصر أوكتافيوس ــ غريمه ! ــ وقد جاءت الى مصر ومعها ابنتاها الصغيرتان كى تبذل محاولة أخيرة « شخصية » لاثناء زوجها أنطونى عن عزمه ، وعن غيه ! ٠٠ وقد فوض كل من دولابيللا وأوكتافيا فى أن يعرض على الرومانى الثائر شروط هدنة شريفة ، مؤداها أن القيصر أوكتافيوس على أتم استعداد لان يعقد مع أنطونى صلحا دائما مقابل ثمن واحد : أن يهجر كليوباترة !

ونشهد موقف أوكتافيا من أنطونى فاذا هو موقف الزوجة المحبة ، لكنه فى الوقت ذاته موقف المرأة الرومانية الابية :

أوكتافيا : ان الشروط التى جئتك بها تكفل لك الاحتفاظ بشرفك مصونا ، بحيث تستطيع أن تقبلها دون أن يحمر وجهك خجلا أو يلحقك أى عار ٠٠ سأقول لاخى اننا قد تراضينا ، على أساس أن يسحب هو جيوشه ، وتزحف أنت بجيوشك كى تحكم الشرق ! ٠٠ أما أنا فيمكنك أن تلقى بى الى البر فى أثينا ، ومنها أعود وحيدة الى وطنى ٠٠ وثق اننى لن اشكو او أتذمر ٠٠ يكفينى أن أحتفظ بلقب زوجتك ، وأنقذك من متاعبك ٠٠

◆ ويتأثر أنطونى من هذه الكلمات أشد التأثر ٠٠ لكنه يتساءل فى حيرة :

أنطونى : ولكن ماذا يكون مصير كليوباترة ؟؟ هل يجب أن تنبذ ؟ ان واجب الشفقة يقف فى صفك ، ولكن ألا يقف أيضا فى صف كليوباترة ؟

فنتدياس : العدل والشفقة فى صف أوكتافيا .. أما كليوباترة فليس فى صفها واحد منهما !

◆ وفوق ذلك فهناك طفلتا أنطونى ، اللتان يجب أن يحسب لهما حسابا .. واللتان تناشدهما أمهما : « **اقتربا منه يا أطفالى .. اركعا أمامه .. صافحاه بأيديكما الصغيرة .. تحدثا معه .. تعلقى بذراعيـــه يا « أجرابينا » .. وأنت يا « أنتونيا » احتضنيه من خصره .. فاذا أشاح عنكما ، أو ألقى بكما على الرصيف ، فيجب أن تحتملا ذلك صابرتين .. فانكما تمتان الى .. وأنا قد خلقت كى أتعذب !** »

وينتج هذا الاستعطاف الاخير أثره المرجو ، فيقبل أنطونى أن يترك مصر ـ وكليوباترة ! ـ ويخاطب أسرته فى تأثر : « لقد غلبت على أمرى .. خذينى يا أوكتافيا .. خذونى يا أطفالى .. قاسمونى حياتى منذ الآن ، حلوها ومرها ! »

ولكن كليوباترة ليست مستعدة لان تسلم سلاحها وتفرط فى حبيبها بسهولة .. ومن ثم يدفعها يأسها الى أن تسعى الى أوكتافيا بنفسها .. وتلتقى الغريمتان :

أوكتافيا : **لست فى حاجة الى أن أسأل هل أنت كليوباترة** فان عربتك الفاخرة ..

كليوباترة (مقاطعة) : توحى بأنى ملكة ؟ .. كذلك أنا فى غير حاجة الى السؤال عمن تكونين ..

أوكتافيا : رومانية ! .. الصفة التى تستطيع أن تصنع الملكة .. وأن تخلعها !

◆ وتتلو ذلك مبارزة لفظية حاميه بين المرأتين ، تدافع فيها أوكتافيا بحرارة عن كرامتها ، وكليوباترة عن غرامها :

أوكتافيا : من دمر أنطونى ، غير كليوباترة ٠٠ ؟!
من حط من شأنه فى روما ، غير كليوباترة ٠٠ ؟!
من جعله محتقرا فيما وراء البحار ، غير كليوباترة ٠٠؟!
من جعل أطفاله أيتاما وجعلنى أرملة تعسة ٠٠ ؟!
٠٠ كليوباترة وحدها !

كليوباترة : لكن التى تحبه أكثر هى كليوباترة !
من أجل حبى لانطونى ، فقدت مجدى ٠٠
ولوثت شرف أسرتى المالكة ٠٠
حتى حياتى أفقدها عن طيب خاطر ٠٠
٠٠ من أجل الذى أحبه !

أوكتافيا : اذا كان الامر كذلك ٠٠ فليكن لك ما تريدين !

◆ وبهذه « القنبلة » الاخيرة تغادر أوكتافيا المكان ، تاركة كليوباترة تندب حظها التعس ٠٠ ويبدو كأن الزوجة قد ربحت المعركة ضد العشيقة !

- ٤ -

◆ **وفى** هذه المرة يخشى أنطونى أن يعرض نفسه لمحنة اللقاء الاخير مع كليوباترة ، خشية أن يتكرر استسلامه لعاطفته ٠٠ فيرسل نيابة عنه صديقه دولابيللا كى ٠٠ يودعها !

ويصغى دولابيللا ، بحزن مصطنع ، لانطونى وهو يوصيه بأن يكون حازما ـ ورقيقا فى آن معا ! ـ حين يبلغ رسالة الوداع الى كليوباترة ! أى طفل ساذج هذا النبيل أنطونى ؟ ولكن هل الرجال الا أطفالا قد ازداد نموهم ؟ ويرثى دولابيللا لحطام « الرجل الذى كان يوما جنديا جبارا » ٠٠ لكنه يتمنى لو كان هو فى مكانه ، حتى يدمره « الحب » مثله !

والواقع أن دولابيللا نفسه كان قد وقع فى هوى كليوباترة التي تحاول أن تلعب ورقتها الاخيرة اليائسة مع أنطونى ٠٠

عن طريق اثارة غيرته ، بالتظاهر بأنها قد وقعت بدورها فى هوى دولابيللا !

ويتعمد القائد الشيخ فنتدياس أن يسترق السمع الى الحوار الحار الذى يجرى بين كليوباترة ودولابيللا •• فيقع هو بدوره ـ ولكن للحظة عابرة فقط ـ أسير الاعجاب بها !•• فلا يملك الا أن يحدث نفسه : « حتى أنا الذى أكرهها أحس نشوة خبيثة وأنا أتأمل حسنها الباهر •• الذى وأنا ألعنه •• أشتهيه ! »

لكن اعجابه هذا يزيده حرصا على أن ينقذ أنطونى من تلك المرأة ، بأى ثمن ! •• ومن هنا ينقل اليه نبأ خيانة كليوباترة ـ الظاهرية ـ له مع دولابيللا ، ثم يستطرد : « انها غير جديرة بحبك •• ودولابيللا غير جدير بثقتك •• فاتركهما كليهما وبادر بالعودة الى روما •• »

أنطونى : أنت تتهمها ؟ كليوباترتى ؟

فنتدياس : كليوباترتك ، كليوباترة دولابيللا •• كليوباترة كل رجل !

◆ وتحت وقع هذه الكلمات تجتاح كيان أنطونى جائحة من الغيرة المرة •• لكن هذه الغيرة تنتج عكس ما قصدت اليه كليوباترة تماما ! فان أنطونى يتهمها بخيانته ، مهددا ، متوعدا •• وعبثا تحاول الاحتجاج فى حرارة بأنها انما كانت تمثل مشهدا مصنوعا ، بتأثير انزعاجها على فقده وشوقها الى استعادته ، فانه يدفعها عنه فى عنف صائحا :

أنطونى : اغربى عن وجهى الى الابد !

كليوباترة : كيف ؟ الى الابد ؟ لست أستطيع أن أبتعد عنك لحظة واحدة ، فكيف اذن •• الى الابد ؟

◆ اذن لم يبق أمامها غير أن تموت !•• « وسوف أموت مسرورة بأنك كنت يوما •• ملك يمينى ! »

- ٥ -

◆ ويثير اعتزام كليوباترة الانتحار ذعر خصيها «الكساس» فيبذل محاولة أخيرة يائسة كى يوفق بين الحبيبين المتخاصمين ‥ ومن ثم يزعم لانطونى أن كليوباترة قد قتلت نفسها فعلا ، آملا من وراء هذا الزعم أن يغمر الفرح قلب أنطونى حين يجدها حية ، فيغفر لها كل شىء ‥ وينسى كل شىء !

لكن خلق أنطونى العنيف يخلف الظنون مرة أخرى‥ وهكذا بدلا من أن يحاول التثبت من صدق رواية الكساس ، يقرر فى اندفاع أن يضع حدا لحياته هو أيضا :

أنطونى : لقد سئمت الحياة ‥ وبت أتوق الى تحرير نفسى من رقها !

فنتدياس : افعل ذلك بشجاعة ‥ بمحاربة قيصر !

أنطونى : بشجاعة ‥ ولكن ليس بالقتال والحرب ‥ أواه يافنتدياس ، فى سبيل من أكافح الآن وقد ماتت مليكتى !؟ دع قيصر يستولى على الدنيا بأسرها ، فما عادت سوى دائرة فارغة منذ اختفت جوهرتها ، التى جعلت لنضالى قيمة ‥ ان شعلتى قد انطفأت ‥ فلارقدن فى باطن الارض ، وأكف عن الحركة !

◆ ويسقط عامدا فوق حد سيفه ! فيجرح نفسه جـرحا مميتا ، لكن الموت السريع يفر منه !

وفيما هو راقد يتأرجح بين الحيـاة والمـوت ‥ تدخـل كليوباترة !

أنطونى : أحية أنت ما تزالين يا مليكتى ؟ أم اننى مت وأنت أول ملك كريم رحيم يلقانى فى السماء ؟

كليوباترة : بل ما زلت حية ‥ وأنت يا حبيبى أنطونى ؟

أنطونى : انى مثل رجل يعتزم سفرا عاجلا : كل متاعه قد حزم وأعد ‥ ولكنه فى عجلته نسى جوهرة واحدة عزيزة عليه ، فعاد من أجلها ‥ هكذا أنا ، من أجلك قد عدت !

كليوباترة : خذنى يا حبيبى ، ولنرحل معا !

♦ وتأمر وصيفتها بوضع جسم أنطونى المحتضر فوق العرش .. ثم تجلس بجواره ، وتضع الحية الرقطاء على ذراعها العارية !

ويدخل عدد من الكهنة والجنود على عجل .. لقد أتوا لينقذوا الحبيبين الملكيين من انتحارهما المرسوم ، لكنهم جاءوا متأخرين .. فوجدوهما فوق عرش الحياة ، وقد وحد بينهما الموت !

واحد من الكهنة (منشدا) : أنظروا كيف يتعانق العاشقان وهما يودعان الحياة ..

كما لو كانا يرسمان مثلا يحتذى لنصف البشرية !

شبح الابتسامة الباقى على شفتيها يظهر بوضوح انها ماتت ـ مغتبطة ـ من أجل ذاك الذى عاشت معه ، وذهبت كى تؤنس وحدته فى عالم آخر !

فارقدا .. أيها الزوجين المباركين .. آمنين من مقادير البشرية ، لعصور طويلة آتية ..

بينما جميع أعاصير القدر تطير فوق قبركما ..
والمجد الى أبد الآبدين سوف يروى انه :
ما من عاشقين عاشا هكذا عظيمين .. وماتا هكذا حبيبين !

ستار

كليوباترة ٠٠ هل كانت من أعف نساء عصرها ؟

◆ والآن ، وقد فرغت من قراءة قصتى كليوباترة : كما رواها التاريخ ، وكما تخيلها الشعراء ٠٠ يحسن أن أخص لك ــ اتماما للفائدة ــ بحثا نشره منذ اسبوعين فقط عالمنا الاثرى الكبير الاستاذ سليم حسن ، وفيه انصف ذكرى كليوباترة من كل ما الصقه بها مؤرخو الرومان من تهم خلقية ، (مدفوعين بحقدهم عليها من اجل نفوذها القوى على بطليهم العظيمين « يوليوس قيصر » و « انطونى ») ٠٠ وقد أثبت الباحث الكبير فى بحثه الحقائق الآتية ، نوردها بنصها الحرفى كما نشرها :

◆ تدل الآثار المصرية على ان قيصر قد «تزوج» من كليوباترة حسب التقاليد الفرعونية ٠٠ وبعد ولادة ابنهما قيصر ، تبعت كليوباترة « زوجها » قيصر الى روما ، حيث مكثت الى أن قتل عام ٤٤ ق٠م ٠

◆ على اثر لقاء كليوباترة بانطونى ــ احد خلفاء قيصر ــ فى سفينتها الفاخرة بمياه طرسوس ، وقع انطونى فى هواها ، ولم يلبث الا قليلا حتى اصبح لها زوجا شرعيا ٠ وبذلك نجحت كليوباترة فى درء الخطر عن الكنانة ٠ وعلى هذه الصورة ابتدات قصة « انطونى وكليوباترة » ، تلك القصة العالمية التى غطت على قصتها مع قيصر ، وقد ختمت بموتهما فى احضان الحب الزوجى الطاهر عام ٣٠ ق٠م ، بعد هزيمتها فى موقعة «اكتيوم» ٠ ولم نجد فيما وصل الينا من الوثائق التاريخية ان اسم كليوباترة قد قرن باسم اى رجل آخر غير اسمى قيصر وانطونى ، وقد تزوجت بهما على التوالى كما ذكرنا ، وعاشت مع كل منهما عيشة زوج عفيفة طاهرة الذيل مخلصة حتى مماتها ٠٠

◆ والامر الذى يسترعى النظر فى حياة كليوباترة انها قبل أن تتصل بقيصر ، الامر الذى اكسبها عداوة الرومان ، لم تسمع عنها كلمة سوء تمس شرفها ٠ وحتى على اثر ماساة قيصر وفرارها الى مصر لم تجد السنة أعدائها كلمة نابية تعيب سلوكها أو تدنس اسمها خلال الفترة بين هربها ومقابلتها لأنطونى٠٠

◆ وفى الحق أنها كانت المثل الاعلى للزوجية كما كانت اما رؤوما لاطفالها الاربعة ، الذين انجبتهم من قيصر وانطونى ٠ ويعتبر المؤرخون انتحارها نهاية مشرفة نالت الاعجاب التام حتى من أوكتافيوس نفسه ، الد اعدائها ، حتى لقد نفذ اجلالا لها آخر وصية اوصت بها فشيعها بكل مراسم الملك الى جوار زوجها انطونى ٠٠

◆ وليس لدينا وصف مفصل عن صورتها ، ولكن اذا قسناها على بنات جنسها من البطالسة فلا بد انها كانت ذات بشرة بيضاء ، زرقاء العينين ، ذهبية الشعر ٠٠

◆ فاذا وضعنا كليوباترة فى كفة الميزان بالنسبة لاخلاق عصرها فانها تظهر أمامنا المثل الاعلى فى الطهر والعفاف ، بل تكون اسما على مسمى ، فمعنى اسم كليوباترة « فخر جنسها » !

- ١ -

◆ **أسرعت** «جينى» فى مشيتها وهى تقطع المسافة القصيرة التى تفصل بين باب العمارة وباب المصعد الكهربائى الذى يقلها الى مقر عملها ، ثم فتحت المصعد ودخلت لاهثة الى حيث كان يقف ثلاثة آخرون يريدون الصعود كل الى الطابق الذى يقصده .. وقالت لعامل المصعد وهى شاردة :

– الى الطابق العاشر ..

فراجعها هذا فى انكار ودهشة :

– الطابق العاشر ؟.. لكن العمارة ليس بها غير ثمانية طوابق يا آنسة !

واذ ذاك استدركت «جينى» قائلة :

– عفوا ، كنت افكر فى ان الساعة الان قد بلغت العاشرة .. اما الطابق الذى اقصده فهو الثامن فقط ..

وعند الاشارة الى الوقت نظر الراكبون الثلاثة الآخرون فى ساعاتهم عن غير قصد ، فلما وجدوها مطابقة هزوا رؤوسهم موافقين .. ولم تلبث «جينى» ان قالت فى صوت مسموع وهى لا تقصد توجيه كلامها الى احد :

« لكم تأخرت ! » .. لكنها سرعان ما تنبهت الى ان

الامر لا يهم احدا سواها ، فضغطت على شفتها السفلى متداركة فى خجل ..

انها قد تأخرت عن الحضور فى الموعد المحدد ثلاث مرات فى أسبوع واحد ، الامر الخليق بأن يسبب استياء رئيسها ، أو ما هو اكثر من الاستياء !.. وكل هذا مرجعه الى تأخرها فى اليقظة فى الصباح ، فهل من علاج لهذه الحال يكفل لها التبكير فى الصحو كى تصل الى عملها فى موعده ؟

وكان المصعد قد توقف أمام الطابق الثامن ، فخرجت منه جينى مهرولة الى العنبر الذى فيه مكتبها ومكاتب بعض زملائها .. ووجدت صديقها «فريدى» جالسا الى مكتبه كالمعتاد ، فلم يكد يلمحها حتى اتخذ وجهه هيئة الاستياء البالغ .. لكن جينى ابتدرته قائلة ، قبل ان يؤنبها : «انى قد ..» واذ ذاك قاطعها فريدى مكملا عبارتها : «قد تاخرت فى النوم .. اليس هذا ماكنت تزمعين قوله ؟.. اذن فلتقوليه للرئيس مرة اخرى يا فاتنة ، وانا اضمن لك انه سيكون فى استطاعتك بعد ذلك أن تنامى في فراشك طوال اليوم ، بغير مرتب ! »

فتحت الفتاة فاها حائرة وكأنها تريد ان تسأله : «اذن فماذا استطيع ان افعل ؟» .. لكنه اجابها قبل ان تسأل :

ـ ازعمى له أن جدتك قد توفاها الله !

ـ لكن جدتى ماتت منذ زمان بعيد ..

فتمالك فريدى نفسه بكل جهد .. ان حبه الخالص لجينى هو الذى اطال حبل صبره معها الى هذا الحد ، ولكن .. وقال لها اخيرا :

ـ اذن قولى للرئيس ان الحشرات التى تتخذ من فراشك مأوى لها قد ارقتك فى بداية الليل فتأخرت فى اليقظة صباحا .. او اخترعى له اكذوبة اخرى .. فالمهم ان تلتمسى لنفسك عذرا مقبولا !

- ٢ -

◆ وحين دخلت جينى مكتب الرئيس أخيرا وجدت هذا يضع قدميه فوق منضدة المكتب .. فلما رآها صاح بها قائلا :

ـ جئت متأخرة كعادتك يا مس «ريان» ، اليس كذلك ؟

فاجابت جينى وهى فى اشد حالات الاضطراب :

ـ لشد ما انا آسفة ياسيدى ، ولكن ..

وفى اسرع من البرق مرقت الى ذهنها عشرات الخواطر فكرت فى صديقها فريدى .. وفى جدتها التى ماتت منذ زمان بعيد .. وفى عدد من الاعذار السخيفة .. ثم قالت آخر الامر وعيناها المستديرتان اللتان فى لون البنفسج تؤكدان قولها :

ـ لقد وقع لى حادث فظيع ، اذ بينما كنت اقوم باعداد طعام افطارى تناثر رذاذ من الدهن من قطعة شحم الخنزير الى النار ، فاشتعلت القطعة كلها ، ثم امتدت السنة اللهب الى ستارة النافذة البيضاء ، وقبل ان استطيع تدارك الامر كان المطبخ كله قد اصبح شعلة من النار .. واستدعيت رجال المطافىء فحضروا واستطاعوا اخماد النيران لحسن الحظ ، ولكن بعد ان انقلب البيت كله رأسا على عقب .. !

وسكتت «جينى» لحظةِ لتلتقط انفاسها ، ثم استطردت :

ـ لقد كان حادثا فظيعا للغاية !

ورق الرئيس لحالها وفاض به التأثر ، فأذن لها فى التغيب عن عملها بقية النهار لكى تعود الى مسكنها فتصلح ما اضطرب من شئونه .. لكن جينى شكرت له شعوره معتذرة بقولها :

ـ انى افضل القيام بواجبات عملى اولا .. !

ثم عادت الى مكتبها وهى تبتسم مزهوة بنجاح أكذوبتها ، قائلة لنفسها :

ـ ان فريدى كان محقا فى كل ما قاله ، وقد كان لابد من الاعتذار على هذا النحو .. لكن الاهم من ذلك ان احضر غدا

فى موعدى بالضبط ، ولو اقتضى الامر ان اقضى الليل بأكمله ساهرة !

- ٣ -

◆ **وقد كان** .. قضت شطرا كبيرا من الليل فى احد الملاهى ترقص مع فريدى . ثم عادت الى مسكنها فنامت قليلا ، لكنها استيقظت فى الساعة الثامنة بالضبط ، كما هو مطلوب ، فوضعت طعامها على النار استعدادا لتناول الافطار ..

وفى الساعة الثامنة وخمس دقائق كانت تأخذ حمامها المعتاد .. وفى الدقيقة السادسة بعد الثامنة تناثر الدهن من قطعة شحم الخنزير فامتدت اليها النار !.. فلما خرجت جينى من الحمام كانت ستائر المطبخ البيضاء قد صارت طعمة للنيران ، وكانت ألسنة اللهب قد امتدت الى الجدران ..!

وجاء رجال المطافىء .. وانقلب المسكن كله رأسا على عقب .. وكان الحادث «فظيعا للغاية» !

❖

وحين بلغت جينى مقر عملها كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة !..

وسألها الرئيس مقطبا :

ـ وهذا الصباح .. ما عذرك ؟

ـ لقد .. لقد ..

فتحت الفتاة فاها لتتكلم ، لكن رائحة لحم الخنزير المحترق ، ومنظر النيران وهى تعيث فى المطبخ فسادا واتلافا ، كانت لا تزال ماثلة فى ذهنها .. فلم يلهمها خيالها بغير هذه العبارة :

ـ لقد .. لقد تاخرت فى النوم !

حوافز الحياة

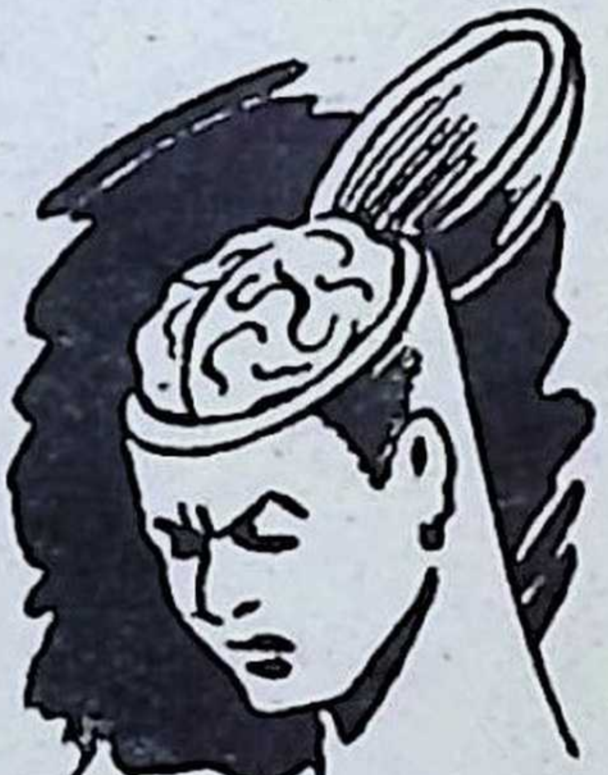

النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى اعداد السنة الاولى من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : «كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية» للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل ، ثم «طريق السعادة الزوجية» لفردريك برينك ، و «مركب النقص» تاليف و. ماكبرايد و «حواء الجديدة» - مرشد المراة المصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده - للدكتور كورتنى بيل ، ثم «كيف تقهر الخجل» تاليف س. تيار ، و «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة» لجون كنيدى ..

ثم قدمت لك فى الاعداد التسعة الاخيرة من فنون الحياة التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا» : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

واليوم أنتقل بك من صحبة اندريه موروا الممتعة الى صحبة مفكر عالمى آخر هو الفيلسوف الانجليزى المعاصر «برتراند رسل» الذى سيشرح لنا بدوره موضوعات امتع من سابقتها واروع ، ومنها : الاحساس بالاثم ، كيف تكون محبوبا ، كيف تقهر الحسد ، كيف تقاوم القلق والخوف ، كيف تفهم أسرتك ، كيف تستمتع بالحياة والحب والعمل ، كيف تنجح بغير كفاح !.. الخ

THE CONQUEST OF HAPPINESS
By
BERTRAND RUSSELL
"غزو" السعادة
كيف تغالب
شقاءك؟!
للمفكر العالمي "برتراند رسل".

هـذا الكتاب

◆ فى العدد الماضى قدمت لك هذا المفكر العالمى المعاصر ، الذى انعقدت له زعامة الفكر والفلسفة فى العالم الناطق بالانجليزية بعد وفاة برناردشو .. قدمته لك فى قصته الاخيرة « الشيطان على الارض » ، التى تقرأ القسم الثانى والاخير منها فى مكان آخر من هذا العدد ..

واليوم اقدم لك من انتاج هذا الفيلسوف الفذ كتابا آخر هو خير مايخلف «فنون الحياة » التى لخصناها عن « أندريه موروا » فى هذا الباب ، فى الاعداد الماضية .. وانت قد تتساءل : ألم يحدثنا أندريه موروا عن «فن السعادة » منذ أمد قريب ، ثم عن « فن الاستمتاع بالحياة » .. اذن ففيم هذا الالحاح فى الحديث عن السعادة ومرادفاتها ؟!

لكن السعادة فى رايى حديث لا تمله النفس ، ولا يفقد جدته مهما تواترت به الاقلام ، وهل يسأم الانسان ان يجد يدا ـ بعد يد ـ تهديه فى عتمة الحياة الى اهدافه المرموقة ، وتنير له الطريق الى .. الهناء ؟!

ثم لئن كانت الغاية التى استهدفها الكاتبان واحدة ، فان الوسيلة التى سلكها كل منهما الى هذه الغاية جد مختلفة .. واليد التى تنير لك هذا الطريق غير اليد التى انارت لك ذاك الطريق .. فبينما «يرسم» لك موروا « فن » السعادة بريشة الفنان الناعمة .. اذا برتراند رسل « يغزو » السعادة غزوا ، و «يشق» لك الطريق اليها بالفاس والمحراث، بفلسفة العالم الذى يبغى ان ينظم الكون بالمسطرة والفرجار ..!

وسترى ان لكلا الطريقتين جاذبيتها وفائدتها .. ولمنطق كل من الفيلسوفين مفعوله وتاثيره على النفس .. بل سترى ان كلا البحثين مكمل للآخر فى واقع الامر . وعلى هذا الاساس تعال معى نقرأ اليوم الفصل الاول من كتاب رسل ، وفيه يحدثنا حديثا ممتعا عن « وصفته » العملية لمغالبة « الشعور بالشقاء » .. حتى اذا ما انتهينا من هذه الخطوة الاولى « السلبية » ، انتقلنا منها الى الخطوات التالية الايجابية « لغزو » السعادة ، وفيها يحدثنا المفكر ـ والمجرب المحنك ـ حديثا صريحا « قلبيا » عن كيفية بلوغنا مانطمح اليه من سكينة النفس ، ومن النجاح فى الحياة .. وكيف نغالب مشاعر الضجر .. والقلق .. والخوف .. والحسد للآخرين .. وكيف نستمتع بالحيـــاة ، والحب ، والعمل .. وكيف نفهم أهلنا ومخالطينا فى بيئاتنا الخاصة والعامة .. وكيف نظفر بمحبة الناس واعجابهم .. كما يحدثنا فى امور الجنس ، وخطاياه ، وادمان الخمر ، والشعور بالاضطهاد ، ومتاعب المنافسة ، والانفعالات ، والتعب والارهاق .. والمثابرة على مطاردة اهدافنا .. الخ

الشقاء فى كل مكان ، وان تباينت ألوانه

◆ **يكون** « الحيوان » سعيدا طالما توفرت له الصحة والقدر الكافى من القوت ٠٠ وكان خليقا بالآدميين أن تكون هذه حالهم، ولكنهم ليسوا كذلك ـ فى الاغلبية الساحقة من الحالات على الاقل ـ اذ لا يكفى لاسعادهم توفر هذين العاملين وحدهما !٠٠ ولربما تجد من نفسك استعدادا لان تقر بهذا اذا ما كنت شقيا ٠٠ أما اذا كنت سعيدا فسل نفسك : كم من أصدقائك يحظون بالسعادة ؟ ٠٠ حتى اذا استعرضت أصدقاءك ، جاز أن تعلم نفسك فن الفراسة ، وان تهيئها لملاحظة أحوال أولئك الذين تلتقى بهم فى حياتك اليومية العادية ٠٠ واذ ذاك سترى أن الشقاء يصادفك فى كل مكان ، وان تباينت ألوانه !

قف مثلا فى شارع حافل بالحركة أثناء ساعات العمل ، أو فى طريق رئيسى فى نهاية الاسبوع ٠٠ أو فى مرقص فى المساء ٠٠ وتجرد من ذاتك لتمكن شخصيات الغرباء المحيطين بك من أن تتملكك واحدة بعد أخرى ، تجد ان لكل انسان من تلك الجموع المتباينة متاعبه الخاصة :

فعلى سيماء من تصادف فى ساعات العمل تستبين القلق ، والانصراف عن كل شىء فى سبيل التفرغ لهدف واحد، والتخمة، وعدم الاكتراث بشىء عدا الكفاح ، والعجز عن اللهو ، وعدم المبالاة بالآخرين من البشر ٠٠ الخ

وفى الطريق الرئيسى ـ فى عطلة نهاية الاسبوع ـ ترى سيارات تقل رجالا ونساء فى بحبوحة ـ ومنهم مفرطو الثراء ـ وقد انطلقوا وراء مسراتهم ، مقيدين فى اندفاعهم بسرعة أبطأ سيارة فى الموكب ٠٠ ومن المستحيل على من فى داخل السيارات أن يروا الطريق أو المنظر المحيط بهم ، لان التلفت قد يؤدى الى وقوع الحوادث ، وانما تراهم جميعا قد انساقوا وراء رغبة واحدة : ان يتجاوز كل منهم السيارات الاخرى !٠٠ ومع انها

رغبه عسيرة التحقيق لازدحام الطريق ، الا انهم لا ينفكون يسعون اليها ، لان انصرافهم عنها ـ كما يحدث لمن لا يتولون القيادة منهم ـ كفيل بأن يمكن السأم الممض من أن يرسم على ملامحهم سمات من عدم الرضى ٠٠ **وهكذا يتحقق القسط الاكبر من السعادة فى الانشغال بالسعى اليها ، أكثر مما يتحقق ببلوغها ٠٠!**

ثم ، ارقب الناس فى سهرة مرحة، تراهم قد أقبلوا مصممين على أن يسعدوا ، بنفس العزم الاكيد الذى يصمم به المرء على أن لا يظهر ألمه اذا ما ذهب الى عيادة طبيب الاسنان ! ٠٠ ولما كان من الشائع أن الشراب والمجون يفضيان الى السرور ، لذلك نجد الناس يثملون سراعا ، ويحاولون أن يتغافلوا عن اشمئزاز زملائهم منهم ٠٠ ولا يلبثون ـ بعد قدر معين من الخمر ـ أن ينخرطوا فى البكاء ، وأن ينحوا على أنفسهم باللائمة لانهم ليسوا أهلا لما أولاهم الناس من احترام وحب ٠٠ ذلك لان الخمر قد حررت وأطلقت من العقل الباطن شعورهم بالذنب والخطيئة ، الذى يكبته العقل فى لحظات الاتزان !

نظام المجتمع هو السبب الاول للشقاء

◆ **ويرجع** قسط من أسباب هذه الانواع المتباينة من الشقاء الى النظام الاجتماعى ، أما القسط الآخر فيرجع الى « التركيب النفسى » للفرد ، وهو ـ بدوره ـ من نتاج النظام الاجتماعى الى حد كبير ٠٠

ولعل من أهم الحاجات الماسة لحضارتنا ، أن نصل الى نظام لتفادى الحروب ٠ ولكن نجاح مثل هذا النظام لن يتأتى طالما كان الناس على درجة من الغباء تزين لهم افناء أنفسهم بأنفسهم !

والحيلولة دون استمرار الفقر ضرورة لا غنى عنها للنظام الاجتماعى المنشود ٠٠ ولكن ، ما جدوى ان نتيح الاثراء لكل

شخص ، فى حين أن الاثـرياء أنفسهم تعساء؟ ٠٠ كذلك الحال فى التعليم ، فالتعليم فى ظلال القسوة والخوف تعليم فاسد ، ولكن ٠٠ أى نوع آخر يمكن أن يتأتى على أيدى أولئـك الذين جعلـوا أنفسهم عبيـدا لشهواتهم ؟!

كل هذه الاعتبـارات تتطرق بنا الى مشكلة الفرد الرئيسية : ما الذى يفصله أى رجـل ـ أو امرأة ـ للظفر بالسعادة ؟

لسوف أقصر اهتمامى هنا على أولئك الذين لا يتعرضون لسبب خارجى قوى من أسباب التعاسة ٠٠ هادفا من وراء ذلك الى اقتراح علاج للشقاء «العادى» الذى يعانيه معظم أبناء الدول المتحضرة فى حياتهم اليومية ، والذى يبدو كعبء لا مفر منه ، لانه ينبعث عن أسباب ليست فى يد الفرد ٠٠ والواقع اننى أعتقد ان هذا النوع من الشقاء يرجع فى الغالب الى آراء ومبادىء خاطئة عن الدنيا ، والى عادات مغلوطة فى الحياة ، مما يؤدى الى القضاء على كل شوق واشتهاء لتلك الاشياء التى تعتمد عليها سعادة الانسان أو الحيوان ٠٠ فى حين انها جميعا مسائل فى طوق الفرد أن يتحكم فيها ٠ وسوف أسعى هنا الى ارشادك الى الامور التى يمكنك ـ اذا ما أوتيت قدرا متوسطا من حسن الحظ ـ ان تحرز من ورائها السعادة ٠٠

كنت فى صغرى على شفا الانتحار ٠٠

◆ ولعل خير مقدمة للفلسفة التى أدعو اليها ، تتمثل فى كلمات قلائل من صميم حياتى ٠٠ فقد ولدت بمنأى عن السعادة ،

وكانت أحب ترنيمة الى فى طفولتى، هى تلك التى جاء فى مطلعها: « أضنتنى الارض وأثقلتنى ذنوبى » .. ولقد خطر لى وأنا فى الخامسة من عمرى ، اننى قد أعيش الى سن السبعين ، ورأيت اننى لم أصرم سوى جزء من أربعة عشر جزءا من حياتى، فشعرت اننى مقدم على ضجر طويل الامد ، لا يكاد يحتمل ! .. وفى فترة المراهقة كرهت الحياة ، وكنت دائما على شفا الانتحار ، لم يصدنى عنه سوى رغبتى فى الاستزادة من التفقه فى العلوم الرياضية !.. أما الآن فأنا على النقيض ، أستمرىء الحياة ، بل لا أغالى اذا قلت اننى أزداد استمتاعا بها عاما بعد عام .. لاننى استبنت الامور التى كنت أكثر رغبة فيها من سواها ، واستطعت بالتدريج ان أحرز هذه الاشياء .. ولاننى وفقت الى التخلص من بعض الرغبات التى لا ينجم عنها غير الشقاء ، كالسعى الى معرفة بعض الامور معرفة لا يتطرق اليها الشك أو الريب .. فمثل هذه المعرفة لا سبيل اليها اطلاقا فى الواقع

انس نفسك وانشغل بالآخرين ..

على ان استمتاعى بالحياة يرجع فى الغالب الى انصرافى عن الانشغال بنفسى .. فقد تعلمت تدريجيا ان لا أعبأ بها ولا بنواحى النقص والقصور فيها ، وأخذت أركز اهتمـــامى فى موضوعات خارجية ، كأحوال العالم ، ومختلف فروع المعرفة ، والاشخاص الذين أكن لهم مودة .. وصحيح ان كل موضوع خارجى قد يجر وراءه آلاما ، كما لو انغمس العالم فى حرب ، أو تعذرت المعرفة فى بعض نواحيها ، أو مات بعض الاصدقاء.. ولكن الآلام التى من هذا القبيل لا تقضى على الصفات التى لا تستقيم بدونها الحياة ، كما تفعل الآلام التى تنبعث من برم الانسان بنفسه .. بل ان كل اهتمام خارجى يلهم ألوانا من النشاط تبقى طالما بقى الاهتمام ، وتحول دون الضيق .. على

العكس من الاهتمام بالنفس ، فانه لا يؤدى الى نشاط يهدف للتقدم ·· بل انه قد يؤدى الى حرص المرء على تسجيل مذكراته، ليحلل نفسيته يوما بعد يوم ، وربما انتهى به هذا الى أن يغدو راهبا !·· ومع ذلك ، فالراهب لا يستشعر السعادة اللهم الا اذا حمله نظام الدير على أن ينسى نفسه·· اذ أن الخضوع لنظام خارجى هو الطريقة الوحيدة التى تفضى الى السعادة بأولئك التعساء الذين بلغ استغراقهم فى أنفسهم مدى لا يمكن أن يشفوا منه بطريقة أخرى ··

والاستغراق فى النفس – أو الاغراق فى الاهتمام بها – متعدد الانواع ·· وأكثر أنواعه شيوعا تتمثل فى الشخص الذى يسرف فى الشعور بالخطيئة ، وذاك الذى يسرف فى الاعجاب بنفسه وانتظار اعجاب الناس به ، ثم ذاك الذى يسرف فى اشتهاء القوة والنفوذ ويرجو أن يكون مرهوبا أكثر منه محبوبا !

الشعور بالاثم يفسد المتعة ··

◆ **أما الاول** ، فهو الذى يلح ويلج فى الشعور بالذنب والخطيئة ، فهو لا يفتأ يسخط على نفسه ، ويعتبر ذلك – اذا كان متدينا – سخطا من الله ·· وهو يتصور نفسه فى الصورة التى يرى انها ينبغى أن تكون عليها ، والتى تتضارب عادة مع معرفته بنفسه على حقيقتها ·· فاذا كان – فى عقله الواعى – قد تنكب من أمد طويل المبادىء الخلقية التى تلقاها فى حجر أمه ، فان شعوره بالخطيئة قد يظل كامنا فى أعماق عقله الباطن ، لا يظهر الا اذا ثمل أو نام ·· **فهو يظل فى أعماق نفسه يقر بالمحرمات التى لقنها فى طفولته : فالسباب اثم ، واحتساء الخمر اثم ، والغش فى العمل اثم ، ثم – وفوق كل شيء – الجنس اثم !·· ومع انه لا يرتدع عن أى من هذه**

الملذات ، الا أن شعوره بأن مقارفتها تنحدر به الى مهاوى الخسة ، يفسد عليه الاستمتاع بها ٠٠!

والواقع ان اللذة الوحيدة التى يتوق اليها بكل نفسه تتمثل فى أن يستمتع دون ما لوم أو تثريب بالحنان الذى كانت تغدقه عليه أمه فى طفولته ، ولا يزال يستمرىء ذكراه ٠٠ أما وقد عزت عليه هذه المتعة ، فانه يستهين بكل شىء ، اذ يرى أن لا سبيل الى تذوق مثل تلك المتعة الا بالخطيئة ، وانه ما دامت الخطيئة أمرا لا بد منه ، فليوغل فيه ٠٠ فاذا أحب ، تطلع الى الحنان الاموى ، ولكنه لا يستسيغ ما تغدقه محبوبته عليه من حنان ، لان صورة أمه فى نفسه تصرفه عن احترام أية امرأة يعقد معها صلات جنسية ٠٠ ثم لا يلبث فى غمرة الاستياء وخيبة الامل ، أن ينقلب قاسيا ٠٠٠ ويندم على قسوته، ويبدأ من جديد يدور حول الحلقة المفرغة ، البغيضة ٠٠ الخطيئة الموهومة ، والندم الصادق !

هذا هو التحليل النفسى لكثيرين جدا ممن يبدون موضع استهجان وازدراء ٠٠ وما أضلهم سوى تعلقهم بشخص لا سبيل لهم اليه ـ كأم ماتت ، وبديلة عن الام لم يهتدوا اليها بعد ـ وسوى تشربهم منذ باكورة العمر بمبادىء خلقية متزمتة ٠٠ ومن ثم ، فالخطوة الاولى التى يجب على مثل هؤلاء من ضحايا « الفضيلة الاموية » ، أن يتخذوها فورا ، هى التحرر من سلطان المعتقدات والعواطف التى تغلغلت فى نفوسهم من الصغر ٠٠

الغرور يقتل الشعور بالحب !

◆ **ونتنقل الآن الى ذاك الذى يسرف فى الاعجاب بنفسه** وتطلب الاعجاب بها من الغير ٠٠ وهو أمر قد يبدو عاديا ، غير مستهجن ، ولكن الافراط فيه يحيله الى شر خطير ٠٠ **فنرى القدرة على الشعور بالحب تجف تماما فى قلوب كثير من**

النساء - لا سيما سيدات الطبقة المثرية منهن - لتجل محلها رغبة طاغية فى أن يجدن الرجال جميعا متيمين بهن !.. فاذا اطمأنت الواحدة منهن الى تعلق رجل بحبها ، انصرفت عنه وتحولت .. وكذلك الحال بالنسبة للرجال ، وان كان أقل استفحالا بينهم .. ذلك لان الغرور اذا بلغ أوجه ، صرف المرء عن الشعور بأى اهتمام حقيقى نحو أى شخص آخر ، ومن ثم لا يؤدى الحب الى أى ارضاء للنفس ..

اعرف قدر نفسك ، واتخذ لك هدفا ..

وهناك أنواع أخرى من الاهتمام يكون نضوبها أخطر مفعولا .. مثال ذلك المعجب بنفسه اذا ما أغراه ما يصيب كبار الفنانين من تكريم ، فيقبل على دراسة الفن ، ولكن هذه الدراسة لا تلذ له طالما كان يرى فى الفن مجرد وسيلة الى غاية .. وكذلك لا يلذ له أى موضوع آخر ما لم يكن يدور حول نفسه .. وهكذا ينتهى الى الفشل والخيبة ، ويغدو موضع استنكار بدلا من أن يكون موضع تملق وتقدير كما كان يبتغى .. وكذلك حال الروائيين الذين يجعلون من أنفسهم أبطالا لقصصهم ، فيسبغون عليها كل سمو وتكريم .. وهكذا لا بد للنجاح فى أى عمل من أن يقوم على شىء من الاهتمام الحقيقى بمادة هذا العمل . وما المأساة التى تلحق بالساسة الناجحين - واحدا بعد آخر - الا ناجمة عن تسرب الغرور تدريجيا الى نفوسهم ، فيتحول الواحد منهم عن الاهتمام بالمجتمع والمبادىء التى يدعو اليها ، الى الاهتمام بنفسه .. ذلك لان من يهتم بنفسه فحسب لا يكون - ولا يمكن أن يغدو - موضع اعجاب من أحد .. والشخص الذى ينحصر همه الاوحد فى أن تعجب به الدنيا ، لا يحتمل أن يبلغ مناه .. وحتى اذا بلغه فلن تكتمل سعادته ، اذ أن الغريزة الآدمية لا تقر أبدا الانصراف المطلق الى النفس ، ومن ثم نرى أن المغرور طالب

الاعجاب ينتهى الى خلق الحدود التى تحد من تقدمه نحو غاياته، مثله فى ذلك مثل زميله الذى يسيطر عليـــه الشعور بالذنب والخطيئة ..

وهكذا الغرور ، اذا تجاوز حدا معينا ، قتل الاستمتاع بكل جهد يبذله صاحبه فى سبيل المجد ، ومن ثم يفضى الى فتورالهمة والى الضجر. وعلاجه يتمثل فى أن يروض المرء نفسه على أن يعرف لها قدرها .. وهذا لا يتسنى الا عن طريق النشاط الموفق الذى يغذيه الاهتمام بأمور ذات مرام وأهداف ..

اشتهاء القوة تعويض عن شعور بالنقص !

◆ **أما** ذاك الذى يسرف فى اشتهاء القوة ويرجو أن يكون مرهوبا مخوفا ، فيختلف عن سابقه فى أنه ينشد القوة لا اللطف الفاتن ، والرهبة لا الحب .. ومعظم العظماء فى التاريخ من هذا الصنف من « المعتوهين » ! ذلك لان حب القوة ــ كالغرور ــ عنصر قوى فى طبيعة الآدمى ، وهو ينقلب الى عنصر يودى الى الدمار اذا ما تفاقم أو صحبه عدم ادراك كاف للحقيقة.. اذ يجعل من الانسان شقيا أو أبله ، ان لم يجعله الاثنين معا !.. وقد يكون المعتوه ــ الذى يحسب نفسه ملكا متوجا ــ سعيدا ، فى بعض الآراء ، ولكن سعادته ليست من نوع يغبطه عليه أى عاقل .. ولقد كان الاسكندر الاكبر من نفس النوع من المعتوهين ــ فى نظر علم النفس ــ رغم انه أوتي من المواهب ما مكنه من تحقيق أحلام جنونه وعتهه ، وان لم يحقق حلم نفسه .. الحلم الذى كان نطاقه يتسع بنمو أعماله وانتصاراته .. فلما وضح انه غدا أعظم فاتح ذاع صيته ، خيل اليه انه « اله » !.. أفتراه كان سعيدا ؟.. **ان اسرافه فى الشراب ، وفوراته المهتاجة ، وعدم اكتراثه بالنساء ، وزعمه القداسة لنفسه .. كل هذه توحي بأنه لم يكن سعيدا البتة !**

وطالب القوة والسلطان عادة يكون فى الاصل ذليلا ، فريسة للشعور بالنقص ، من أية ناحية من نواحيه ، سواء كان سليم العقل أومعتوها٠٠ فلقد عانى «نابليون» فى المدرسة كثيرا من الهوان، من جراء شعوره بأنه أقل شأنا من زملائه الارستقراطيين الثراة! ٠٠ وبعد أعوام ، عند ما سمح لمن هاجروا من فرنسا بسبب الثورة بأن يعودوا الى وطنهم ، استمتع بمرأى هؤلاء « الزملاء القدامى » فى المدرسة يحنون هاماتهم أمامه ٠٠ ويا لها من غبطة تلك التى داخلته اذ ذاك !٠٠ ولكنها أفضت به الى الرغبة فى أن يذل الملوك بعد أن أذل الزملاء ، مما انتهى به آخر الامر الى النفى فى « سانت هيلانة » !

لا سعادة حيث يوجد كبت !

◆ **وبما انه لا وجود لانسان قادر على كل شىء ، لذلك كان** لا مناص للحياة التى يسيطر عليها حب القوة من أن ترتطم — ان عاجلا أو آجلا — بعقبات لا سبيل الى التغلب عليها ٠٠ ولا سبيل الى تجاهل هذه الحقيقة الا بالاستسلام لضرب من ضروب السفه والعته ٠٠ وقد يعمد الانسان اذا بلغ درجة كافية من الطغيان الى الامر بسجن أو اعدام من يبصره بهذه الحقيقة !٠٠ **ومن هنا نرى حالات الكبت والقمع فى ميدان السياسة ، تماما كما فى ميدان الغرائز٠٠ وما دام ثمة كبت نفسى — فى أية صورة كان — فلا وجود للسعادة الحقة !**

ومن ثم نرى ان القوة اذا حبست وراء حدودها الصحيحة قد تضاعف من السعادة وتنميها ، ولكنها اذا صارت الغرض الاوحد فى الحياة ، طغت واستفحلت ، وقادت الى الدمار «الداخلى» — اى النفسى — ان لم يكن الخارجى !

ومن هذا كله يتضح أن الاسباب النفسية للشقاء عديدة ومتباينة ، ولكنها جميعا تشترك فى بعض نواحيها : **فالشقى او**

التعس « المثالى » ، هو ذاك الذى حرم فى صغره من بعض اسباب الارضاء العادية ، فصار فى كبره يقدر للناحية التى حرم منها قيمة فوق سواها من النواحى ، ومن ثم قسر حياته على اتجاه ذى جانب واحد ، وبالغ فى تهويل وتضخيم النتائج التى يصل اليها ، بالقياس الى الجهود التى بذلها فى سبيلها ..

الرغبة فى السعادة .. ضرورية للسعادة !

وهناك ناحية اخرى شائعة فى ايامنا هذه : فالمرء قد يعتقد انه مغبون على طول الخط ، فلا يسعى الى اى نوع من انواع الارضاء أو الانصاف ، وانما يجنح الى الشرود ويمعن فى طلب النسيان ، فيتعلق باللهو والملاذ .. اى انه — بمعنى آخر — يحاول ان يجعل حياته «محتملة» بالاقلال من حيويته .. فالاسراف فى الخمر — مثلا — انتحار مؤقت ، وما السعادة التى تتأتى عنه الا سعادة سلبية ، اذ انها عبارة عن توقف الشعور بالشقاء لفترة محدودة !.. ولقد يؤمن طالب الاعجاب وطالب القوة بان السعادة امر ميسور النوال ، وان انتهجا فى سبيل احرازها وسائل خاطئة .. اما الذى يسعى الى تخدير حسه — بأى الوسائل — فشخص نفض يديه من كل امل ، اللهم الا الامل فى النسيان !.. واول ما ينبغى عمله فى هذه الحالة ، هو اقناعه بان السعادة مرغوبة — اى استثارة رغبته فى السعادة — لان التعساء عادة — كالمؤرقين الذين قضت مضاجعهم — يتشبثون بحقيقة حالهم ويصرون على ان لا علاج لهذه الحال !.. والسبيل الى شفائهم هو ارشادهم الى العلاج . ولا اعتقد ان ثمة من يقبلون الشقاء — عن طواعية — بعد أن يروا السبيل الى السعادة ، الا قلة ضئيلة ..

ولست أدرى هل فى طوقى ان اساعد القارىء على اكتشاف طريق السعادة ؟ ولكن المحاولة لا تضير احدا ، على كل حال ..

العاقل من يستمتع بالسعادة بقدر ما تسمح الظروف ..

◆ من الافتراضات الشائعة فى عهدنا ـ كما كانت فى كثير من عهود تاريخ العالم ـ ان الذين أوتوا الحكمة منا ، قد جازوا فيما مر من أعمارهم كل الوان الحماس والحمية ، وانتهوا الى أن يتبينوا انه لم يبق ثمة ما يستحق أن يعيشوا من أجله ..

والذين يؤمنون بهذا تعساء حقا ، ولكنهم يفخرون بتعاستهم، ويعزونها الى طبيعة الكون ، ويرونها المسلك المعقول الذى ينتهى اليه كل متنور متعلم ..

وهذا رأى فى غاية البساطة ، فليس من شك فى ان ما يستشعره اولئك «الفلاسفة» التعساء من سمو وتفوق وبصيرة ، انما ينطوى على تعويض بسيط عن حرمان من ملاذ معينة ، وان لم يكن هذا التعويض من الكفاية بحيث يعادل تلك المتع .. على اننى لا ارى ـ شخصيا ـ اى سمو ادراك او تفوق فكرى فى ان يكون المرء شقيا !.. **وانما العاقل يستمتع من السعادة بقدرما تسمح له الظروف ، فاذا ألفى ان التفكير فى الكون يغدو ـ بعد حد معين ـ مصدرا للآلام ، تحول الى التأمل فى شىء آخر** .. على أننى أومن بأن العقل لا يضع قيودا على السعادة ـ مهما كانت الحجج المناهضة لهذا الرأى ـ بل اننى لا اعتقد أن أولئك الذين يعزون أحزانهم الى آرائهم عن الكون ، انما يضعون العربة أمام الحصان ، اذ أن شقاءهم يعود فى الواقع الى أسباب لا يلمسونها ، وهو يقودهم الى أن يشغلوا بالهم بالنواحى غير المرضية فى العالم الذى يعيشون فيه .. أى أن هذا الانشغال بهموم الحياة هو « نتيجة » لشقائهم ، وليس « سببا » له !

ولقد عرض الكاتب الامريكى «جوزيف وودكرتش» وجهة النظر التى أريد بسطها ، فى كتابه « الطباع الحديثة » اذ قال : «ان قضيتنا قضية خاسرة ، ولا مكان لنا فى الكون الطبيعى،

ولكنا رغم كل هذا غير آسفين لكوننا بشرا .. ولخير لنا ان نموت كبشر من أن نعيش كحيوانات ! »

وبسط الشاعر « بايرون » نفس المشكلة للجيل الذى عاش فيه اجدادنا بقوله : «لا سرور يمكن ان يتصوره المرء مثل ذاك الذى تنتزعه الدنيا من الانسان اذا ماخبا اشراق الفكر بانحلال المشاعر ..»

السعيد فى رأى سليمان الحكيم ..

واورد «سليمان الحكيم» الفكرة ذاتها فى امثاله اذ قال : **« لذلك مجدت الموتى الذين ماتوا أكثر من الاحياء الذين لا زالوا على قيد الحياة .. لكن الاسعد من كليهما ذاك الذى لم يولد بعد ولا رأى الشر الذى يرتكب تحت الشمس»**

وقد انتهى هؤلاء المتشائمون الثلاثة الى نتائجهم القاتمة بعد ان رأوا متع الحياة وشبعوا منها .. فقد عاش «كراتش» فى اكثر دوائر «نيويورك» ثقافة وارقاها فكرا ، وحظى «بايرون» بما لا حصر له من المغامرات الغرامية ، وكان «سليمان الحكيم» اكثر منهما تنوعا فى اساليب لهوه : فجرب الخمور ، وجرب الموسيقى ، وحفر برك الماء ، وامتلك العبيد والجوارى .. وما فارقته حكمته فى كل هذه الظروف ، ومع ذلك فقد رأى كل شىء باطلا وغرورا ، حتى الحكمة ! — اذ بدا فى أمثاله انها ضايقته ، فبذل جهودا للتخلص منها ولكنه لم يوفق .. فقال فى ذلك : «اذ ذاك قلت فى سريرتى : ان ما يجرى للحمقى يجرى لى انا الآخر ، فلماذا اذن كنت اكثر حكمة ؟.. ثم قلت فى سريرتى : هذا ايضا غرور !.. لهذا كرهت الحياة ، لان العمل الذى يجرى تحت الشمس يحزننى ، ولان كل شىء باطل وقبض الريح»!

وعلى ذكر هذا الزهد واليأس ، يجدر بنا أن نفرق بين الحالة النفسية — أو المزاج — وبين الحالة الذهنية ، أو التفكير بالعقل

والمنطـــق .. **فلا جدال هنـــاك في أن المزاج قد يتغير ، بحادث سعيد ، أو بتغير حالتنا البدنية ، ولكنه لا يتغير قط بالجدل والمناظرة !.. فاذا مرض طفلك ، فقد تشقى ، ولكنك لن تشعر بأن كل شيء باطل ، وانما تشعر بان لابد من تدارك صحة الطفل بغض النظر عما اذا كانت لحياة الانسان قيمة ـ بعد ذلك ـ أو لم تكن لها قيمـــة !..** والرجل المثرى قد يشعر ـ بل كثيرا ما يشعر ـ بأن الحياة هباء ، ولكنه اذا فقد ماله ، لا يشعر بأن وجبة الطعام التالية هباء ولا داعى لها .. اذ أن ميله للطعام وليد الاشباع لضرورة طبيعية !.. ولقد درج الحيوان البشرى ـ كغيره من الحيوان ـ على قدر معين من الكفاح من اجل الحياة ، فاذا استطاع بفضل الثروة الطائلة التى فى متناول يده ان يرضى كل نزواته دون ما عناء ، فان غياب الجهد والعناء من حياته يقضى على عنصر هام من عناصر السعادة !.. والرجل الذى يحصل بسهولة على اشياء يشعر نحوها بمجرد «رغبة معتدلة» ينتهى الى الشعور بأن الاستمتاع بالرغبة لا يجلب السعادة .. فاذا كان ذا تفكير فلسفى ، خلص الى أن الحياة الانسانية ولابد تعسة ، مادام الانسان الذى دانت له كل رغباته يظل شقيا .. وهو بهذا ينسى ان الحرمان من بعض الاشياء التى ترغب فيـــها ، عنصر لا قيام للسعادة بدونـــه !

.. بل هناك جديد تحت الشمس !

◆ **وثمة** قولان آخران لسليمان الحكيم يستحقان النظر : اولهما «لا جديد تحت الشمس .. ولا ذكرى لما سبق من اشياء !» .. والقول الثانى : «كرهت كل العمل الذى كدحت من اجله تحت الشمس ، لاننى مضطر الى ان اتركه للانسان الذى سيأتى بعدى» ! .. ومعنى العبارة الاخيرة انه لو كان

« سليمان » حكيما لما نذرع أشجار الفاكهة التى فى حديقته مثلا لان ابنه هو الذى سيستمتع بثمارها !

ولكن ، أحقا لا جديد تحت الشمس ؟٠٠ اذن فما شأن ناطحات السحاب، والطائرات ، وخطب الساسة التى تذاع على أمواج الاثير ؟٠٠ ماذا كان « سليمان » يعرف عن مثل هذه الاشياء ؟٠٠ أماكان يجد العزاء ـ وهو بين أشجاره وبساتينه التى كان مقدرا أن يتركها السواه ـ اذا ما سمع عبر الاثير حديث ملكة سبأ لرعاياها عندعودتها من ملكه ؟٠٠ وهل كان يصر على ان لا جديد تحت الشمس لو كانت لديه ادارة تقتطع له من الصحف ما ينشر فيها كل حين عن جمال مبانيه ، وبذخ حريمه ، وانهزام مجادليه من اهل الحكمة ؟ .. أما عن الاسى لترك المرء اشياءه لمن يخلفه ويرثه ، فهذه مسألة ذات وجهين .. فالى جانب وجهة نظر المرء ، يجب ان نراعى وجهة نظر وريثه ، وهى اقل تفجعا وتشاؤما ! .. فأى شىء يدعو للاسى فى أن يعيش المرء حياته ، ثم يخلفه ابنه فيعيش حياته هو الآخر ، وهكذا ؟ .. ان الامر على العكس ، لانك لوعشت ابدا ، لما كان ثمة مناص من ان تفقد مباهج الحياة لذتها فى النهاية ..

ومن ثم فاذا كان العقل هو الذى يتحكم فى المزاج ، فانك واجد فى الحياة اسبابا للابتهاج لا تقل عن الاسباب التى تدعو للقنوط .. !

الحرمان الجنسى يدعو الى تقديس الحب !

ومن اكثر الفصول امتاعا ـ فى كتاب المستر «كرتش» الذى اشرنا اليه ـ فصل تناول فيه موضوع الحب .. ويبدو ان الذين كانوا يعيشون فى العهد الفيكتورى ـ من أواسط القرن التاسع عشر حتى اوائل القرن العشرين ـ **كانوا ينظرون الى الحب نظرة سامية ، حتى لقد رقوا به الى درجة العبادة .. ورأوه آلها يتطلب كل التضحيات ، ويكافىء الصادقين من عباده بأن يشيع فى حياتهم معنى وقيمة لم يصل احد الى كنههما بعد .. ثم استطرد «كراتش» يقول : «لقد تعودنا الحياة فى كون يكفر بالله .. ولكنا لم نعتد بعد الحياة فى كون يكفر بالحب .. ولن نفقه حقيقة الالحاد الا اذا جربنا الحياة فى هذا الاخير !»**

والذى أعرفه عن العهد الفيكتورى ـ وقد خبرته فى صباى ـ ان ا لحب اذا كان قد اكتسب فيه ذلك السمو والقداسة ـ لا الالوهية ـ فانما كان ذلك بسبب التطرف فى الحرمان الجنسى ، اذ كان الفرد فى العهد الفيكتورى يرى فى الحب الجنسى شرا منكرا ، ومن ثم كان يغالى فى السمو بصفات الحب الطاهر الذى يقره .. أما اليوم ، فنحن نمر بفترة مضطربة ، نبذ كثير من الناس فيها القيم القديمة ، دون أن تكون لديهم قيم ومستويات جديدة ، وهذا يسوقهم الى كثير من المتاعب .. ولما كانوا لا يزالون يؤمنون ـ فى قرارة سريرتهم ودون أن يعوا ـ بالقيم القديمة ، فان المتاعب حين تصادفهم تسلمهم الى القنوط ، والندم والاستخفاف .. على اننى أعتقد اننا لو أخذنا المتوسط ، لوجدنا أن عصرنا يمتاز عن العصر الفيكتورى بازدياد السعادة **« المقترنة بالحب » فيه ، وبأن الايمان الحقيقى بقيمة الحب أكثر اليوم منه منذ ستين عاما !**

وليس من السهل أن أذكر فى اقتضاب لماذا يقدر الانسان الحب ويعترف بقيمته .. ولكننى فى محاولتى أقول ان ذلك يرجع لاول وهلة الى أن الحب فى ذاته مبعث للسرور .. وليس هو مبعثا للسرورفحسب، ولكن غيابه أيضا مبعث للالم والضني! .. ومع أن هذا ليس أكبر ما فى الحب من قيم ، الا أنه عنصر ضرورى لبقية القيم ..

وثانية قيم الحب تتمثل فى أنه يشحذ جميع المتع الطيبة ، كالموسيقى .. وتذوق جمال الطبيعة ، كالاعجاب بمنظر شروق الشمس بين الجبال، ومنظر البحر تحت ضوء القمر .. فالرجل الذى لا يستمتع بالاشياء الجميلة وهو فى صحبة المرأة التى يحب ، انسان لم يعرف ما لهذه الاشياء من قوة سحرية طاغية !

ثم ان الحب قادر على أن يحطم الانانية القاسية والذاتية العنيدة ، لانه نوع من التعاون الحيوى الذى لا بد له من اجتماع مشاعر وانفعالات كل من الطرفين لتحقيق الاغراض الغريزية التى على الآخر أداؤها .. وعندى ان كل الفلسفات الانفرادية ، المنطوية على الزهد ، والتى تذهب الى أن الخير شيء يمكن تحقيقه فى كل فرد على حدة ، انما هى فلسفات زائفة .. فالانسان يعتمد على التعاون ، وقد منحته الطبيعة ـ الى حد ما ـ الاجهزة الطبيعية التى تنبعث منها الصداقة التى يتطلبها التعاون .. وما الحب الا أول صور العاطفة المؤدية الى التعاون ، وأكثرها شيوعا ..

الفساد فى عصر النهضة ..!

◆ **على** أنه بقدر ما كانت النزعة السائدة من نزعات الحب فى العصر الفكتورى هى النزعة الطاهرة ، بقدر ما كان الفساد هو السائد فى القرن الثالث عشر مثلا .. حيث يصفه الفيلسوف « بيكون » بقوله : « ان الخطايا التى تسود أيامنا هذه تفوق تلك التى سادت أى عصر مضى .. ولو تدبرنا الاحوال بتبصر

ودقة ، لرأينا الفساد قد استشرى دون حد ـ لا سيما فى الرأس ـ فالفسق يلطخ البلاط الملكى بأسره ، والنهم يفرض سلطانه على الجميع ٠٠ فاذا كان هذا حال الرأس ، فما بال الاطراف ؟٠٠ حتى رجال الدين قد تلوثوا ! أنظر الى الاساقفة كيف يسعون وراء المال ويهملون شفاء النفوس !٠٠ وتأمل جميع المذاهب الدينية ـ فلست أستثنى من قولى أيا منها ـ وانظر كيف تتهاوى من مكانتها ٠٠ لقد عكف رجالها جميعا على الزهو ، والفسق ، والجشع ، وأينما اجتمع منهم فريق ـ كما فى باريس واكسفورد ـ فضحوا الطائفة بحروبهم وتناحرهم وموبقاتهم الاخرى ٠٠ »

الاحتشام وازدراء متع الدنيا ٠٠ فى عصور الوثنية !

ثم يقارن بيكون تلك الحال بحال الشعوب فى عصور الوثنية القديمة ، فيستطرد قائلا : « كانت حياتهم خير من حياتنا بدرجة لا تقارن ، سواء فى احتشامها ، أو فى ازدرائها للدنيا بكل مباهجها وأموالها وأمجادها ـ كما تستطيع أن تتبين من مؤلفات ارسطو ، وسنيكا ، وابن سيناء ، والفارابى (وقد وضعهما « بيكون » خطأ بين الوثنيين !) ثم أفلاطون، وسقراط وغيرهم ٠٠ »

وقد كان رأى « بيكون » هذا معبرا عن آراء جميع الادباء من معاصريه ، فما أحب واحد منهم ذلك العصر الذى وجد نفسه فيه ٠٠ ولست أعتقد قط أن هذا التشاؤم كان منبعثا عن أسباب « فلسفية » ، وانما كانت له أسباب مادية ملموسة ، لعلها : الحرب ، والفقر ، والعنف ٠٠

وفى العدد القادم نتابع محاولتنا « غزو السعادة » ، فى ركاب برتراند رسل ٠٠

حدث ذات يوم

من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب اعتدت أن اطوف بك فى سياحة فكرية شائقة نزور خلالها شتى البلاد والعصور ، كى نلم من كل منها بقصة ، ونشهد فى كل بلد دراما من صميم الحياة والواقع ..

وهكذا مضينا معا فى عدد سابق الى ايطاليا ، حيث التقينا بسليلة السفاحين « لوكريشيا بورجيا » .. ثم تركناها لنغوص فى بطن الزمن ، فنلتقى بقيصر روما القديمة «تيبريوس» .. ومن هناك عدنا الى فرنسا فى عصر نابليون فعرفنا عشيقته البولونية « مارى فاليفسكا» .. ثم عبرنا (المانش) الى انجلترا ، حيث شهدنا مأساة ملكتها كارولين ، زوجة الملك جورج الرابع .. ومنها الى فينا ، عاصمة النمسا والخمر والغناء والنساء ، حيث عشنا مع الاميرة العاشقة التى كانت لها قصة أغرب من أخصب خيال !.. ثم ارتحلنا الى باريس القرن السابع عشر ، حيث عرفنا قصة لويس الرابع عشر ومدام دى مانتنون .. وكررنا عائدين الى روما القديمة فتعرفنا فيها على طاغيتها السفاح (نيرون) ، الذى بز فى جرائمه أعتى المجرمين !

واليوم انتقل بك الى اوربا بأسرها ، فى رحلة ممتعة تبدأ من نابولى ، الى فينه وبراج ، ورسدن ، وهمبورج ، ولندن.. فى ركاب أمير البحر نلسون وملهمته « ليدى هاميلتون » ، التى خلقت منه بطلا .. وادت لوطنها عن طريقه خدمات غيرت وجه التاريخ !

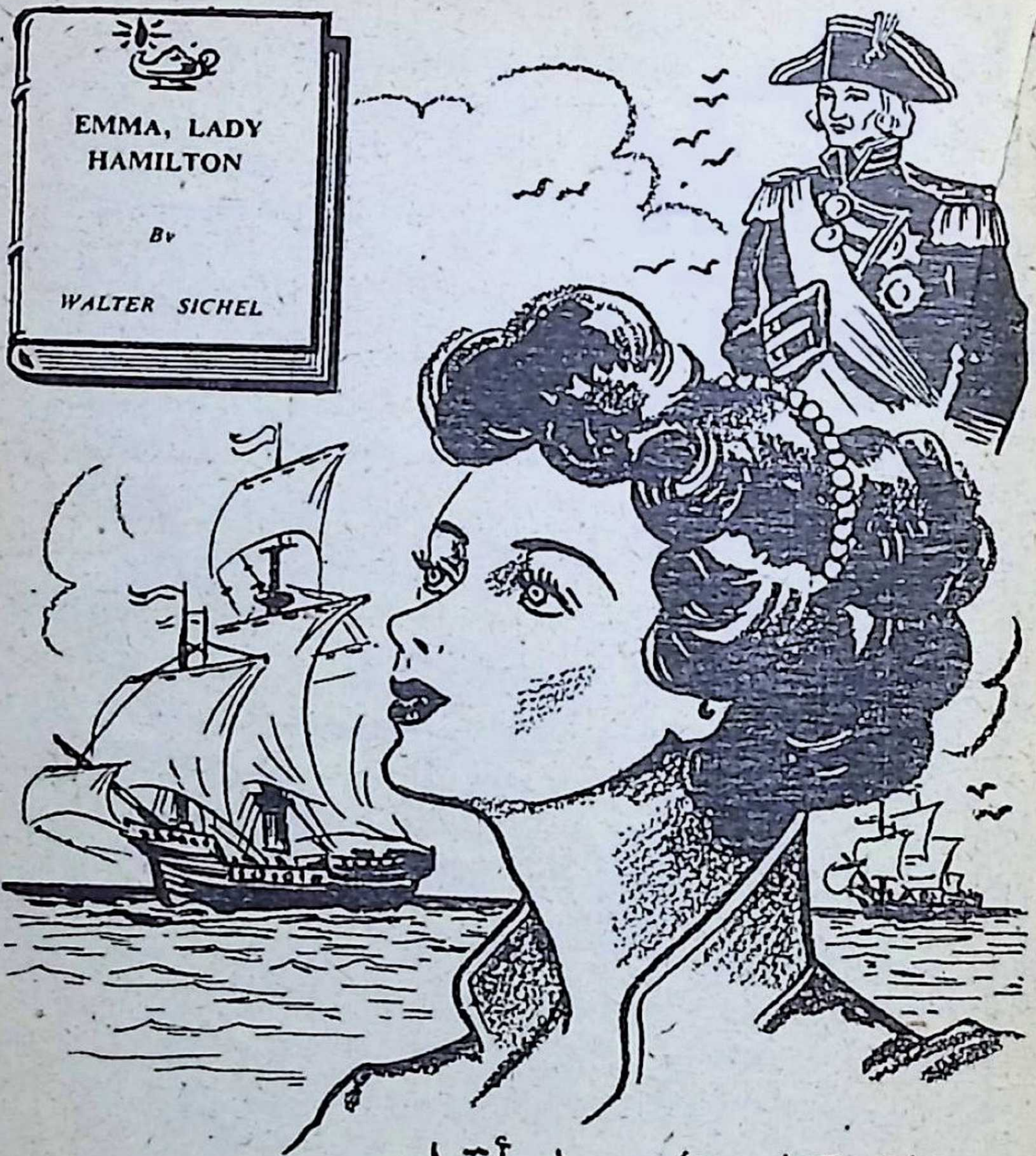

خلف كل عظيم امرأة !

ليدى هاملتون

المرأة التي خلقت من "نلسون" بطلا هزم نابليون !

البحار الزاهد فى الخمر والنساء !

◆ « آهوى ! ٠٠ ها هي ذى الارض تلوح ! »

ما أن انبعث بهذه الصيحة صوت ضابط المراقبة على ظهر البارجة « أجا ممنون » ، فى صباح أحد أيام شهر أغسطس سنة ١٧٩٣ ، منبها الى اقتراب البر ٠٠ حتى خفقت قلوب رجال السفينة ـ من ضباط وجنود ـ وهفت نفوسهم الى المتع التى كانوا يحلمون بتذوقها فى « نابولى » ، وأخذ كل منهم يستحث البر أن يخف الى لقاء السفينة ما دامت سرعتها لم تكن كما كان يشتهى ٠٠

وراحت الاحلام تراود رؤوسهم ٠٠ أحـلام النساء والهوى والخمر ! ٠٠ عدا ضابط صغير برتبة (كابتن) يدعى « هوارشيو نلسون » ، اتجهت أحلامه الى أمور أخرى ٠٠ الى سلطات مملكة « نابولى » ، والى المآدب والتقاليد الرسمية التى كان عليه أن يحتملها مرغما ، اذ كانت « أجا ممنون » تفد على « نابولى » فى زيارة رسمية ٠٠

كان الضابط الشاب فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وقد قضى ثلاثة وعشرين عاما من هذا العمر فى خدمة البحـرية البريطانية ـ اذ كان تعليمه فى صغره متقطعا ، مضطربا ، مما أغرى خالا له كان ضابطا فى البحرية بأن يسعى حتى عينه على البارجة « ريزونابل » ـ التى كان ضابطا عليها ـ وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وأتاح له فرصا للمران والرحلات مكنته من أن يظهر مهارة واستعدادا ، فراح يرقى سلم الرتب بسرعة حتى صار ضابطا برتبة « كابتن » وهو فى العشرين من عمره !

وكان نلسون دمث الاخلاق ، رقيقا ، استطاع أن يكسب محبة رؤسائه ومرؤوسيه على السواء ٠٠ كما كان أنيقا فى ملبسه ومظهره ، وقد ظلت هذه الاناقة تلازمه في مختلف مراحل عمره

.. وبعكس زملائه الضباط ـ لا سيما أقرانه فى العمر ـ كان عزوفا عن اللهو ، مكبا على الاطلاع والتثقف .. وفى سنة ١٧٨٧ قدر له أن يوفد فى رحلة على ظهر البارجة « بورياس » الى جزر الهند الغربية ، حيث التقى بانجليزية شابة توفى عنها زوجها الذى كان طبيبا فى تلك البقاع ، مخلفا لها ولدا يتيما حنا عليه الضابط الشاب ، فكان حنوه جواز مرور له الى قلب الام الارملة .. وقادتهما علاقة من الود والرزانة ـ لا الحب المشبوب ـ الى الزواج .. فكان « نلسون » زوجا وفيا ، مخلصا .. ومن هنا ندرك سر عزوفه عن اللهو الذى كان يستهوى زملاءه والبارجة تقترب بهم منه ، شاقة طريقها خلال مياه خليج « نابولى » فى ذلك الصباح من صيف سنة ١٧٩٣ ..

أخ غير شرعى لملك انجلترا !

◆ **واذ** كانت البارجة فى زيارة رسمية ، فقد ألفى «نلسون» فى انتظاره على الشاطىء ، « السير وليم هاملتون » الوزير البريطانى لدى بلاط ملك « نابولى » .. وارتاح « نلسون » الى ترحيب الدبلوماسى العجوز الذى كان اذ ذاك فى أوائل العقد السادس من عمره .. وأحس بكثير من الشرف والتكريم اذ وجده فى استقباله ، فقد كان يعرف ان « السير وليم » أخ غير شرعى لجورج الثالث ملك انجلترا !.. كما كان يعرف عنه انه ديبلوماسى ناجح ، استطاع أن يفوز بثقة البلاط الملكى فى « نابولى » ، فظل مبعوثا ديبلوماسيا لبلاده هناك منذ سنة ١٧٦٤ ـ أى نحو ثلاثين عاما ! ـ وفوق هذا وذاك كان السير وليم عالما ومؤلفا ، وضع كثيرا من الدراسات عن البراكين والزلازل ..

على انه كان قبل كل شىء مضيافا كريما ، وقد ارتاح «نلسون» الى حفاوته ، فلم يتردد فى أن يقبل دعوته الى زيارته فى داره..

وفى الصباح التالى قصد نلسون الى دار الوزير ، فوجده متغيبا فى بعض المهام .. لكن الخادم الذى فتح له أنباه بأن

« الليدى هاميلتون » ستسعد بأن تستقبله ٠٠ وقاده الى بهو واسع أنيق ، جلس فيه الضابط البحرى الشاب ينتظر ، وقد شغله عن الوقت جمال التحف الفنية واللوحات التى تناثرت حوله فى كل مكان ٠٠

وفجأة ، انبعثت فى الجو ضحكة ناعمة ، ذات رنين عذب ، فاذا الضابط يبادر معتدلا فى تحفز وتوتر ، كشخص أنذر بخطر قريب ٠٠ ثم جاس بعينيه فى حذر ، فاذا فى أحد أركان البهو الواسع ، فنان أقام لوحة على حامل ، واستغرق فى الرسم ٠٠ وأمام اللوحة ، **رأى نلسون قواما أملد، ملفوفا فى رشاقة فاتنة، يعلوه تاج من شعر ذهبى انطلقت خصلاته فى تمرد حبيب ٠٠ ثم وجه صبوح ، جميل ، له عينان زرقاوان بعيدتا الاغوار كأنما لا قرار لهما ! وفم دقيق جميل له شفتان كالعقيق يوحى منظرهما بحساسية مرهفة ، وعواطف مشبوبة ، وكأنهما تهتفان بدعاء صامت الى التقبيل ٠٠ ثم عنق جميل ، ناصع البياض ٠٠ وصدر ناهد ، برز فى اغراء وغواية ٠٠**

وبهت نلسون !٠٠ وظنها فى البداية ابنة السفير أو ضيفته ، ولكنها لم تلبث أن تقدمت ترحب به ، فأدرك انها ٠٠ « ليدى هاميلتون » !

اللقــاء الثانى !

◆ **هكذا** تم أول لقاء بين « هوراشيو » و ٠٠ « ايما » !

أما اللقاء الثانى فكان فى مأدبة أقامها السـفير فى ذلك المساء ، تكريما له ٠٠ وفيه ألفى « الكابتن » البحرى نظراته مشدودة الى الشابة الجميلة زوجة السفير الشيخ ، لا تقوى على أن تتحول عنها ٠٠ وقد أذهلته بسماتها الساحرة ، وأثمله حديثها ، وأطربه الصوت العذب ذو الجرس المشجى الذى كان ينبعث من فمها الفاتن !

ولم يكن بد من أن يلاحظ « السير وليم » النظرات المشدوهة

٠٠ ولكنه لم يعجب لها ، ولم يحنق من اصرارها على التطلع الى زوجته ـ بل لعله رأى فيها تحية مرتقبة لجمال « ايما » ، فقد اعتاد أن يرى فتنتها تسحر الناس ! ـ وفى غمرة هذا السحر رسم لها الفنان المشهور « جورج رومنى » ثلاثا وعشرين لوحة فى شتى الاوضاع والاشكال ـ لعل أروعها اللوحة التى يراها القارىء على غلاف هذا العدد من « كتابى » ـ وقد عاش الرسام يؤكد انه لو قضى العمر كله يرسمها ما استطاع أن يلم بكل نواحى الالهام الفنى فى جمالها الخلاب الخالد !

وفى غمرة هذا السحر أيضا هبط وحى الشعر على « جيته » ـ شاعر ألمانيا العظيم ـ فتغنى بفتنة « ايما » الطاغية فى احدى قصائده الخالدة !٠٠ بل ان هذا السـحر تجاوز الرجال الى النسـاء ، فاذا ملكة نابولى « ماريا كارولينا » تنزل « ايما » من نفسها منزلة خاصة تفوق منزلة الصديقة والانيسة ٠٠ بل تفوق منزلة الاخت !

يحدث زوجته عن ٠٠ فاتنته !

والتقى كابتن البارجة « أجا ممنون » بعد ذلك بزوجة سفير بلاده فى « نابولى » مرارا ـ فقدكانت الزيارة كما ذكرنا رسمية، ومن ثم توالت خلالها الحفلات والمآدب ـ وفى كل مرة، كان الشاب يزداد بها اعجابا ٠٠ حتى انه حين غادرت بارجته مياه «نابولى» فى نهاية مدة الزيارة، لم يستطع أن يقاوم رغبة طاغية فى أن يكتب الى زوجته « فرنسيس » عن « ايما » !٠٠ فراح يتلمس لذلك الاسباب ، حتى عثر على حجة مقبولة : اذ كان ابن زوجته ـ من زوجها السابق ـ فى صحبته ورعايته ، فكتب يشيد لها بما لقيه « جوزيا نسبيت » من حنو « ليدى هاميلتون » ، التى كانت « رائعة فى كرمها ولطفها » ، ثم انطلق قلمه يسـجل اعجابا سافرا تجاوز حدود التحفظ والاعتدال ٠٠!

امرأة ذات ماض !

◆ **وما أدرك** نلسون ولا « ايما » اذ ذاك أن القدر قد ربط حياتهما الى الابد ، منذ أن تعارفا !٠٠ بل ما كانت « ايما » ـ على جمالها وتزلف الرجال اليها ـ لتتصور يوما أن تشرك مع زوجها أحدا فى الوفاء الذى كان يعمر قلبها ٠٠ **لا لانها كانت متيمة بذلك الزوج ، (فالواقع أن « السير وليم » كان يكبرها بأكثر من ثلاثين عاما ، ولم يكن فى شيخوختـه المتزنة الحكيمة ما يأتلف مع شبابها الفائر المتفجر !) ٠٠ وانما كانت تدين له بولاء لا حد له ، لانها عرفت له مآثر لم تر مثلها من انسان ٠٠ فقد انتشلها من وهدة سحيقة ، فسما بها الى أرقى مكانة ٠٠ وكانت دائما تذكر له هذا الفضـــل ، فلا تملك اذ تستعرض تاريخ حياتها الا أن تزداد له عرفانا ٠٠**

كانت ايما قد رأت نور الحياة أول ما رأته ـ فى سنة ١٧٦٥ ـ فى بيت عامل حقير فقير من عمال مناجم الفحم فى مقاطعة « تشيشاير » يدعى «هنرى لايونز» ٠٠ وبدا اشراق جمالها ـ منذ طفولتها ـ خلف ستار من غبار الفحم الذى كانت تنقله فى عربة يجرها حمار ، فتطوف أرجاء بلدة « جريت نيستون » لتبيعه ٠٠ ثم قدر لها ـ وهى فى الثالثة عشرة من عمرها ـ أن تعمل خادمة ٠٠ وتكشفت لعينيها اذ ذاك فتنتها فأثارت فى نفسها طموحا حفزها على أن تفر الى لندن ، حيث التحقت بالعمل فى أحد المتاجر ٠٠ ولكن الحياة خلف منضدة البيع فى المتجر المعتم ، لم تكن البغية التى اشتهتها ٠٠ فقد كانت معتـــدة بجمالها ، فأرادت أن تسلط عليه الاضواء كيما ينبه بريقه الانظار ٠٠

ولكن الطريق لم تكن سـهلة كما ظنت ، بل كانت حافلة بالمزالق ٠٠ وانزلقت « ايما » بالفعل !٠٠ وانتهى بها الزلل الى العمل فى الحانات كسـميرة لروادها ، والى التسكع فى مشارب « كوفنت جاردن » لتتصيد الرجال ٠٠

غير ان طموحها لم يكن ليجعلها راضية عن حياتها هذه .. بل انها كانت تنشد رجلا واحد تؤثره بحبها ، وتنعم بحمايته.. وساق لها القدر هذا الرجل فى شخص « تشارلس جريفيل »، وكان شابا عابثا من أبناء الطبقة الراقية ، رأى فيها زهرة فى غمرة الوحل فانتشلها فى سنة ١٧٨١ ـ وهى بعد ، رغم ماضيها الحافل ، لم تتجاوز السادسة عشرة ـ واتخذها عشيقة خاصة له ..

وأحست « ايما » بالطمأنينة والكرامة لاول مرة فى حياتها ، فشاءت أن تضرب بينها وبين ماضيها ستارا ! فكرست نفسها لجريفيل ، واستبدلت باسمها اسم « اميلى هارت » ، وعاشت معه معيشة الزوجة العاشقة ، وان لم تربطها به رابطة الزواج الشرعى ..

ملهمة الرسام « رومنى » !

◆ **ولكن** الحياة التى كان يحياها « جريفيل » كانت تضطره الى نفقات تفوق موارده .. وزادت رعايته للفتاة من أعبائه .. فقد حنا عليها صادقا ، وراح ينفق على تعليمها الغناء والرقص والتمثيل ، ليكفل لها مهنة تصونها من ذلة التسكع سعيا وراء طلاب اللهو الرخيص ..

ورآها عنده الرسام النابغة « رومنى » لاول مرة ، فبهره جمالها وحيويتها ، وطغيان سحرها وفتنتها ، فراح يحاول جاهدا تسجيل هذه النواحى الفذة فى لوحات خلدت اسمه فى عالم الفن !

وظلت « ايما » فى رعاية « جريفيل » ثلاث سنوات ، أخلصت له فيها الود ، وكانت أمينة فعلا على عهده ـ بل لعلها أحبته حقا وتعلقت به ! ـ **وذات يوم ، زاره خاله « السير وليم هاميلتون »، وكان قد عاد الى انجلترا فى اجازة قصيرة ، فما وقع بصره عليها حتى أحس بالحياة تدب فى القلب الذى أثقلته ثلاث**

وخمسون سنة من العمر ، والذى خاله قد مات حين ماتت ـ قبل ذلك بعامين ـ الزوجة التى أورثته ضيعة وثروة طائلة ٠٠

وهتف السير وليم بابن أخته : « الآن فهمت سر الحاحك فى طلب المعونة المالية حتى كدت تستنزف مواردى ! »

وأعجب « السير وليم » بعشيقة ابن أخته ٠٠ وسحرته الفتاة بما أوتيت من لطف ولباقة وذكاء ، فلم يضن على « جريفيل » بمال !

ولكن ديون « جريفيل » أخذت تتراكم وتستفحل ، حتى جاء اليوم الذى غدا فيه مهددا من دائنيه ٠٠ بيد انه لم يحفل اذ ذاك بشىء قدر ما حفل بفتاته ومستقبلها ، اذ أدرك انه لن يستطع أن يوفر لها الحياة المطمئنة التى تقيها أدران الوحل !

وكان خاله ملجأه ومستشاره ، فكتب اليه يسأله الرأى ٠٠ وجاءه الرد صريحا رغم كل مجاملة : فلقد عرض عليه « السير وليم » أن يسد له جميع ديونه ، مقابل أن ينزل له عن ٠٠ « ايما » !

يبيع عشيقته ٠٠ سدادا لديونه !

◆ **وألفى** « جريفيل » نفسه ينكر على خاله هذا الاقتراح ويستهجنه !٠٠ ولكن الحاح الدائنين كان يلاحقه فى نذير رهيب ٠٠ حتى وجد نفسه موزعا بين عدة عوامل : خشيته أن ينفذ الدائنون وعيدهم ٠٠ واعتزازه بالفتاة ٠٠ وثقته من اخلاصها فى حبها له ٠٠ ثم رغبته فى أن يطمئن على مستقبلها ٠٠ وأخيرا حنقه على خاله واستنكاره الثمن الذى أراده للمعونة !

ولكن الدائنين لم يتركوا له فرصة للتفكير ، فاضطر الى الاسراع فى العمل : عرض اقتراح « السير وليم » على « ايما » ! ٠٠ لكنها استنكرته ، وصاحت به والدموع تفيض من عينيها :

ـ اذا كنت قد مللتنى وسئمت معاشرتى ، فخير لى أن تطردنى عن أن تبيعنى !

ولكنه ما زال بها يشرح لها الموقف ودقائقه ، ويزين لها الحل ، حتى خفت ثورتها ، ووهنت معارضتها .. فألقت برأسها الجميل على صدره وهى متعلقة بعنقه ، وتشبثت به وكأنها تحتمى من المصير المرتقب .. بينما قال لها « جريفيل » مسريا : « اعتبريها تجربة .. سأرسلك الى « نابولى » فى زيارة تنزلين فيها ضيفة على خالى ، فاذا راق لك العيش هناك ، بقيت .. ومن يدرى ؟.. لعل الحال تتبدل فأسعى بنفسى الى اللحاق بك لاسترداك .. واذ ذاك ، سأناضل خالى ما وسعنى النضال من أجلك ! »

وسافرت الى « نابولى » ، حيث تلقاها « السير وليم » ولما تمض سنتان على لقائهما الاول .. ولما تمض أربعة أعوام على وفاة زوجته !.. ولعله لم يرم الى الاستئثار بالفتاة اشباعا لعاطفة جامحة أو قلب آبق ، ولكنه كان ذواقا للجمال الفنى ، ينفق عن سعة فى اقتناء التحف .. وقد كانت « ايما » تحفة رائعة ، أبدعتها الطبيعة !

جمال يغزو البلاط الملكى !

◆ ومر شهران ، وثلاثة ، وأربعة .. وارتاحت « ايما » الى الاقامة فى « نابولى » ، فلقد أتاحت لها مكانة « السير وليم » فرصة الظهور فى أرقى المجتمعات ، فاذا بجمالها يتألق ، وقد زاده رواء ما وفره لها السفير من حياة ناعمة ورفاهية !.. ثم أرضت أقصى جماح طموحها يوم أتيح لها أن تدعى الى حفلات البلاط الملكى فى « نابولى » ، حيث طغت بحسنها ، وأناقتها ، وروحها المرحة على كل الحسان .. حتى لقد مالت اليها « ماريا كارولينا » ــ الملكة ــ ثم استحال الميل الى صداقة وطيدة ! فغدت « ايما » من أقرب الناس الى قلب الملكة التى كان لها من قوة الشخصية والارادة ما جعلها تطوى الملك فى أطواء نفوذها .. وتصبح صاحبة الكلمة الحقيقية فى المملكة !

ولمع نجم « ايما » فى سماء مجتمع « نابولى » ، حتى غدت محوطة بالمعجبين والهائمين بها ، من الرجال والنســاء !٠٠ وأصبحت أثوابها « مودة » تحتذى٠٠ وحفلاتها مناسبات يسارع الكل اليها ، ليشهدوا تلك اللوحات الحية والادوار التى كانت تقوم بتمثيلها لتسلية الضيوف !٠٠ وبلغ من رجاحة عقلها ، وحضور بديهتها ، وتألق ذكائها ، أن اعتبرتها الملكة بمثابة مستشارتها الخاصة ، تلجأ اليها اذا أحزبها أمر ، أو أعوزها تدبير ٠٠ وتدعوها لمسامرتها كلما أثقلها الضجر من حياة البلاط ، أو برمت بنفاق رجال الحاشية !٠٠ بل لقد بلغ من اعتزاز الملكة بها ، وايثارها اياها ، أن قالت لها يوما: « اننى لأود أن تكون ثيابنا دائما متماثلة ، حتى نبدو كأختين ! »

زواج ٠٠ دبلوماسى !

وكان طبيعيا أن يدرك الديبلوماسى الانجليزى العجوز مدى أهمية هذه العلاقة بين « ايما » و « ماريا كارولينا » ٠٠ لذلك لم يتردد طويلا حين فهم من الاشارات العابرة المستترة أن الملكة تسأله أن يجعل لايما صفة « رسمية » حتى تستطيع أن توطد علاقتها بها وأن تنزلها من البلاط المنزلة التى تريدها لها ، دون خوف من نقد ناقد أو تعريض ناقم !٠٠ فكان أن فاجأ السير وليم عشيقته ذات يوم من صيف ســنة ١٧٩١ ـ وكان قد اصطحبها الى انجلترا فى اجازة ـ فاجأها متسائلا : « ما رأيك يا عزيزتى فى اسمى ؟ » ٠٠ فأجابت « ايما » فى لهجة صادقة : « انه أعز الاسماء وأكرمها ٠٠ »

ـ فما رأيك فى أن ألحقه باسمك ؟

وشهقت « ايما » مذهولة ٠٠ لا لان الفرق بين عمريهما كان يروعها ، وانما لانها لم تكن تحلم بأن يكون لها مثل ذاك الاسم وهى التى تحمل وراءها ماضيا ذليلا ٠٠!

واستطرد سير وليم هاملتون : « اننى لا أعبأ البتة بالاوضاع

ما دمت معى ٠٠ ولكننى أريد أن أعزز مركزك وأن أرفعك فوق الجميع ! »

وفي ٦ سبتمبر من ذلك العام ، عقد زواجهما ٠٠

وبهذا الزواج بدأت صفحة جديدة فى حياة ايما ٠٠ صفحة « السفيرة » التى تقدر واجب الوفاء للوطن الذى تمثله ، والوفاء للزوج الذى أكرمها وانتشلها من مهاوى الذلة ليرفعها الى مجالس الملوك !٠٠ كما تقدر مقتضيات مكانتها لدى الملكة التى بدأت تطورات السياسة الاوربية ـ لا سيما عقب قيام الثورة الفرنسية ـ تجعل لمملكتها قيمة سياسية و « استراتيجية » كبيرة !٠٠ **وهكذا غدت « ايما » همزة الوصل بين زوجها والملكة ٠٠ أو بالاحرى ، بين السلطات البريطانية والرأس الحاكمة فى « نابولى » !٠٠ وكثيرا ما استعان بها « السير وليم » فى اقناع الملكة بالاقدام على أمور تخالف سياسة زوجها الملك « فرديناند » !**

وكانت « ايما » رغم كل ماضيها ، صادقة فى ولائها للسير وليم هاميلتون ، أمينة على عهده ٠٠ لا يعيبها سوى أنها كانت مسرفة ، مشغوفة بالبذخ٠٠ وقد لا يكون هذا عيبا اذا ما تذكرنا ان الملكة نفسها كانت تريدها على أن تجاريها ، لتظهرا معا « كأختين شقيقتين » !

الثورة الفرنسية ونابليون ٠٠ يفزعان الامبراطورية !

◆ **وفى** تلك الاثناء ، كانت الاحداث تتوالى على المسرح السياسى الدولى فى تعاقب سريع : فقد نشبت الثورة الفرنسية، فاهتزت عروش أوربا لانهيار العرش الفرنسى ، وبدأت الدول الملكية تتحوط، وتتقارب لتتدبر سلامتها !٠٠ ثم ظهر «**نابليون**» على المسرح بطموحه المشبوب ، وخططه الجريئة ٠٠ فبدأت بريطانيا ترى فى حركاته ما يهدد نفوذها فى حوض البحر الابيض المتوسط ، وترى فى سياسته ما يهدد امبراطوريتها ،

وفى نجاحه ونجاح الثورة ما يهدد الملكية والعرش فيها !

ومن ثم كانت بريطانيا أكثر الدول الملكية اسرافا فى عداء فرنسا وجمهوريتها ونابوليونها !٠٠ وراحت قطع الاسطول البريطانى فى البحر الابيض المتوسط تتحرك قلقة ، فاذا آبت الى قواعدها حينا ظلت فى رسوها متحفزة !

وهيأ هذا الجو خير الفرص لليدى هاميلتون كى تظهر على مسرح السياسة ، مستغلة مركزها فى بلاط « نابولى » ومكانتها لدى « ماريا كارولينا » ، حتى ليعزى اليها الفضل فى حصول بريطانيا على كثير من البيـانات الهامة والاسرار السياسية الخطيرة التى أحاطت ببلاط «نابولى» وسياسة ملكها «فرديناند» فى سنه ١٧٩٦ ٠٠

دموع امرأة ٠٠ تسعف بريطانيا !

ولكن أهم أدوار « ايما » على المسرح السياسى لم يبدأ الا فى سنة ١٧٩٨ :

كان « نلسون » اذ ذاك يذرع البحر الابيض المتوسط بحثا عن الاسطول الفرنسى الذى أحاط « نابليون » حركاته بتكتم شديد، وهو يعد عدته لغزو مصر !٠٠ وفى ساعة مبكرة من صباح أحد الايام الاخيرة من ربيع ذلك العام ، أوقظ «السير وليم هاميلتون» من نومه على مقدم رسول يحمل رسالة خطيرة من نلسون أعرب فيها عن أن الظروف قد جعلت سفنه فى حاجة ماسة الى أن تأوى الى مياه « نابولى » وصقلية ـ لتتزود بالماء والمؤن ـ فى طريقها الى تعقب الاسطول الفرنسى !٠٠ ولما كان « فرديناند » قد عقد معاهدة مع « نابليون » تعهد فيها بأن لا يسمح لاكثر من سفينتين من سفن الاسطول البريطانى بدخول أى ميـنـاء تابع لمملكة « نابولى » ، فقد كان لزاما على السفير أن يسعى بكل حيلة الى الحصول على اذن من الملك لايواء سفن نلسون فى مياه «نابولى»!

ولم يضيع «هاميلتون» وقتا، بل هرع من فوره الى «فرديناند»،

الذى بادر بدوره فدعا مجلسه الى الانعقاد لبحث الامر ٠٠ ولكن الخوف من الفرنسيين كان مسيطرا على المجلس ، فرفض أعضاؤه رجاء نلسون ٠٠ وبدا أن لا مفر للقائد البحرى الانجليزى من أن يعود الى « جبل طارق » ، اذ أن بارجة القيادة « فانجارد » كانت قد فقدت صاريتها أثناء عاصفة هوجاء ، وبات لا بد من اصلاحها ٠٠ ولكن العودة الى « جبل طارق » كانت كفيلة بأن تضيع على نلسون كل أثر للاسطول الفرنسى أو فرصة فى العثور عليه !

واذا كان « هاميلتون » قد استسلم فى تلك الظروف لليأس ، فان « ليدى هاميلتون » أبت أن تجاريه ، بل أسرعت الى صديقتها الملكة ، فألقت بنفسها عند قدميها باكية ٠٠ وهتفت بين عبراتها:

« بحق الحب الذى بيننا ، هلا أجبت توسلى ؟٠٠ أنت ـ وأنت وحدك ـ التى تستطيع انقاذ الموقف ٠ ٠وأنت ٠٠ أنت وحدك التى تملك من السلطة ما يخول لها أن تأذن لاسطولنا بدخول الميناء ٠٠ فاكتبى الاذن الآن !٠٠ اننى أتوسل اليك أن تؤدى هذا الصنيع لايما ٠٠ صديقتك ! »

وترددت الملكة فى البداية ـ فقد خشيت عواقب تدخلها فى مسألة خطيرة كهذه ضد ارادة الملك ومستشاريه ! ـ ولكنها لم تقو طويلا على مقاومة توسلات صديقتها الاثيرة الحبيبة ٠٠

وسرعان ما كان رسول نلسون ينطلق اليه بأقصى سرعة ، يحمل الاذن الثمين !

الحب يكشف نقابه !

◆ **وخف** « هاميلتون » وزوجته الى الميناء فى ارتقاب وصول نلسون ٠٠ وكانت « ايما » قلقة ، محمومة ، بادية الانفعال ، وهى تقف على سطح « اللنش » الذى سعى الى مدخل الميناء ليستقبل « أجا ممنون » ٠٠ حتى اذا التقى بها ، رفع السفير وزوجته الى سطح البارجة ٠٠

وكانت الدماء قد انحسرت عن وجه « ايما » ، ولهفتها قد تناقمت .. كانت تعرف ان نلسون قد فقد ذراعه اليمنى فى مغامرة جريئة للاستيلاء على « سانتا كروز » منذ عام .. وانه أصيب فى عينه اليسرى فى بعض العمليات البحرية فى «كالفى» قبل ذلك بثلاثة أعوام ، فأخذت قوة ابصـار تلك العين تخبر تدريجيا .. وكانت أنباؤه وأخبار انتصاراته تتناهى اليهـا فتتقبلها فى عناية واهتمام ، وفى صدرها شعور خفى لا تفقه كنهه .. فلما اقتربت الساعة التى تلقاه فيهـا بعد فراق دام خمس سنوات ، بدأت غريزة الانوثة تلقى بعض الضياء على ذلك الشعور الخفى الغامض .. وأخذت هالة البطولة التى أحاطت بنلســـون تكتسب لونا ورديا بهيجا ، انعكس من أعماق فؤاد « ايما » !

واذ رأته بنفسه يخف لاستقبالهما .. وتبينت ما فعلته به سنون الصراع والكفاح والعمل الدائب .. وشاهدت العصابة السوداء التى استقرت على عينه اليسرى ، وكم السترة الذى خلا من الذراع اليمنى وحمل بدلا منها الاشارات القصبية التى تدل على أنه أصبح برتبة « رير اميرال » .. وجف قلبها ! وكأنها قرأت فى لوحة الغيب ما سوف تتطور اليه علاقتها بذلك البطل المرموق ..

ولم تكن ثمة حفلات ولا أويقات فراغ فى هذه المرة .. بل ان نلسون لم يجد وقتا لاكثر من أن يستمع من « هاميلتون » الى تفصيلات الدور الذى أدته زوجته ، ومن أن يشكر « ليـدى هاميلتون » على الخدمة الجليلة التى أدتها ، وأن يؤكد لها انه وبريطانيا بأسرها لن ينسيا لها هذه الخدمة ..

ومع ذلك .. فان الدور الذى أدته « ايما » كان ذا أثر عظيم فى حياتها وحياة القائد البحرى ، فقد فتح عينيهما على أمور لم يجدا ثمة داعيا للبحث عن كلمات تعبر عنها .. وأدركت « ايما »

بغريزة المرأة أنها حين توسلت الى الملكة لم تكن مدفوعة بحبها لوطنها فحسب ، وانما ملبية لنداء قلبها أيضا ، من أجل بطل أعجبت به ! ٠٠ فلما رأته الآن على ظهر البارجة ، ولمحت بريق عينه الباقية ، تبينت أن قلبها لم يكن مغاليا ٠٠ وان نلسون لم يكن يتوق الى أكثر من أن ينتزع الظفر فى المعركة بأسرع ما يمكن، ثم يلقى بقلبه عند قدميها !٠٠ كما أدرك نلسون بدوره انها لم تكن تزمع أن تدع القلب ملقى دون اكتراث ٠٠!

وحملت النظرات المتبادلة ، والابتسامات ، وضغط الايدى ، حديثا صامتا بين زوجة السفير والقائد البحرى ٠٠ بين «ليدى هاملتون » و « نلسون » ٠٠ بين المرأة والرجل !

لواعج الهوى ٠٠!

◆ **وبدأت الحسناء الفـــاتنة تعيش فى فترة من القلق ،** والوجد ، والتكلف !٠٠ ولا سيما منذ انطلاق نلسون فى أعقاب الاسطول الفرنسى الى المياه المصرية !٠٠ فقد شرعت الهواجس ترتاد فى غيابه فكر « ايما » وقلبها ٠٠ وأخذت تستريب فى إنه يشعر بما دب فى فؤادها نحوه ، وأن فؤاده قد استجاب بدوره لنداء العاطفة ٠٠ وكان القلق قاسيا ، لوعها بألوان من العذاب! ٠٠ كان قلقا مزدوجا : فهى قلقة على العاطفة الوليدة فى أعماقها، وقلقة على سلامة البطل الذى كان يسمو فى عينيها وخيـالها محوطا بهالة كانت تزداد تألقا يوما بعد يوم !

على أنها عانت ، الى جانب القلق والوجد ، ضرورة « التمثيل » والتكلف : كان عليها أن تبسط على وجهها قناعا من المرح الذى اعتاده القوم منها، ومن الابتسام الذى ألفوه مشرقا على أساريرها، لتخفى ما كان يضنيها من لواعج وشجون ، وهى المضطرة الى الظهور فى المجتمع والى مخالطة علية القوم فى كل حين ٠٠

وكأنما أشـــفق القدر على تحفته الغضـــة من وطأة الجوى

والضنى ، فما لبثت الانباء أن أقبلت تحمل البشرى بانتصار نلسون فى « معركة النيل » ، وتحطيمه الاسطول الفرنسى فى « أبى قير » !٠٠ واستولت على « ايما » فرحة مزدوجة : فلقد أسعدها أن اطمأنت الى سلامة بطلها ، والى سلامته مظفرا مكللا بالمجد ٠٠ وضاعف من سعادتها أن النبأ سرى فى « نابولى » كطوفان من السرور ، فاذا المدينة بأسرها فرحة ، طروبا ، وقد انطلق أهلها فى الطرقات يرقصــون ويغنون ٠٠ اذ كان فى انتصار « نلسون » ضمان لهم من غزو الفرنسيين ، ومن بطش « نابليون » ٠٠

وهكذا كانت ايما فى أحزانها الماضية وعذابها وحيدة ٠٠ أما أفراحها فقد شاركها الناس جميعا رواءها !

بل ان « هاميلتون » نفسه لم تحل الشيخوخة بينه وبين الانفعال ٠٠ فاذا هو فى ابتهاجه قد تخلى عن قيود الوقار ، حتى بدا كالتلميذ في يوم نجاحه !٠٠ وأعمته حاله هذه عن أن يلاحظ ما اعترى « ايما » من تغير ، جعلها تبدو كالحالمة ٠٠ بل كالمخبولة ٠٠ تضحك لحظة ، وتبكى أخرى !٠٠ تشرد آنا لتناجى الاحلام وتحاول أن تغوص بنظراتها فى أطواء الغيب ، وتعيش آنا آخر فى المناسبة الراهنة ، فتأمر بالاثواب كى تعد ، وتفكر فى الحفلات والمآدب والسهرات التى تقيمها حين يصل « نلسون » من ميدان نصره ٠٠!

ولم ير « هاميلتون » فى ذلك ما يريب ٠٠ بل لم يلاحظ أحد حقيقة التطور الذى أصابها ، اللهم الا ٠٠ « ماريا كارولينا » ملكة « نابولى » ، التى حدست سرها فأشفقت عليها وحنت فى عطف ومواساة !

نشوة العمر !

◆ وجاء اليوم العظيم ٠٠ اليوم الثانى والعشرون من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٨ ٠٠

كانت « نابولى » بأسرها تجتاحها حمى هوجاء ، صاخبة ٠٠ وكانت الجموع تحتشد على طول الشاطىء ، ترقب « اللنشات » والزوارق تنتشر على صفحة الماء ، مقلة الملك والملكة وكبار أفراد الحاشية والبلاط ، والسفير البريطاني و « زوجته » ٠٠ وكانوا جميعا ينطلقون الى أطراف ميـــاه « نابولى » ليستقبلوا البطل العائد من مياه مصر ٠٠

وكانت « ايما » على استعداد لان تجود راضية بما بقى من عمرها ، كى تنفرد بهوراشيو نلسون فى اللحظة الاولى لوصوله، وكى تكون أول من يملى النظر بطلعته ٠٠ ولكن قيود الرسميات كانت تحرمها مما صبت اليه !

ولاحظ القوم كيف كانت وجنتا «ليدى هاميلتون» متضرجتين أكثر من توردهما المألوف ، فعزوا ذلك الى تأثرها بنسيم البحر ! وكانت سيطرتها على أعصابها ، وتمالكها جأشها ، يمكنانها من أن تحتفظ بمظهرها كزوجة لسفير الوطن الذى ينتمى اليـــه البطل ٠٠ لكنها فى أعماقها كانت بعيدة عن الجلد والرزانة٠٠ كان قلبها يخفق فى وجيب عنيف متتابع ، حتى لكأنه يوشك أن يخرق جدران صدرها لينطلق فيسبق الركب الى الرجل القادم ٠٠ الرجل الذى أثار فيه تلك العاطفة الغامضة التى أوحت غريزة الانثى الى « ايما » انها ٠٠ الحب !

وما ان أشرق نلسون بطلعته ، حتى تخلت عن « ايما » كل مواهبها التمثيلية ، وكل قدرتها على التجلد ٠٠ ولمعت عيناها ببريق عجيب ٠٠ فهتفت وهى تندفع على الرغم منها : « يا الهى ! ٠٠ أهذه حقيقة !؟ »

ولم تكن تعى ما تقول أو تفعل ٠٠ بل انها لم تشعر بأنها تكلمت ، ولا أحست بأنها اندفعت نحو البطل ، فما بلغت البقعة التى كان يقف فيها على سطح بارجته ، حتى كان انفعالها العاطفى قد بلغ أقصاه ، فاذا بغاشية تنتابها ٠٠ واذا بها تهوى مغمى

عليها ٠٠ فتتلقاها ذراع « البارون نلسون أوف نيل » ـ كما أصبح يدعى ـ وقد أبرقت عينه « الوحيدة » اذ رأت الدليل الصادق على ان العاطفة التى تحركت فى أعماقه ، كانت تنعكس على فؤاد « ايما » الجميلة ٠٠ وان الهواجس التى انتابته هو الآخر ـ خشية أن تكون غافلة عن اعجابه ـ كانت أضغاث أحلام راودته أثناء المعركة !

حب ينكره الدين ، والشرع ، والاخلاق !

◆ **وكان** كلاهما يتوق الى خلوة بصاحبه ، كى يطلق قلبه يفضفض عما يتخمه من انفعالات !٠٠ ولكن الرسميات كانت تتطلب من كل منهما أن ينكر ذاته ورغبته ٠٠ لذلك لم تلبث « ليدى هاملتون » أن تمالكت نفسها بعد أن استردت وعيها ، فوقفت الى جانب زوجها تؤدى دورها كما كان ينبغى أن يؤدى !

لكن الرسميات كان لا بد لها أن تنتهى مهما طالت اجراءاتها ٠٠ وحظى « نلسون » و « ايما » باللحظة التى كانا يتوقان اليها فى لهفة وحنين ٠٠ وبدلا من أن يندفع كل الى أحضان الآخر ، كما كان يخال ، ألفيا نفسيهما يسترسلان فى نوبة من الخشوع والرهبة ٠٠ تاركين أمر المناجاة للقلبين والروحين !٠٠ كل ما قويا على اطلاقه من شفاههما هتافان انسابا فى همس ناعم حنون : « اننى أعبدك ! » ٠٠ « وأنا أهواك ! »

وعاد الصمت يرين عليهمـــا ٠٠ صمت واجم ٠٠ فكأنما الهمستين الناعمتين قد أيقظتا عقلى المفتونين ، فتنبها الى حقيقة الظروف التى تحيط بحبهما : فما كانت مبادىء الاخلاق ، ولا مبادىء الدين ، ولا مبادىء الشرع والقانون ، لتقر هذا الحب أو ترحب به ٠٠ كان كل من العاشقين مقيدا بروابط الزواج من آخر غير الرفيق الذى اختاره قلبه أخيرا ٠٠ لكن زواج كل منهما كان فى الواقع مجرد قيد لا أكثر : فقد كانت ايما «زميلة» أو صديقة لسير وليم هاميلتون ، أكثر منها زوجة ، ولكن

الاحترام والعرفان بالجميل كانا يشدانها اليه ٠٠ وكان نلسون لا يحس لزوجته بأى أثر فى حياته ، أكثر من أنها مجرد رمز ، بل « قيد » يمنعه من أن يحظى بما يهفو اليه قلبه ٠٠ قيد لا سبيل الى الفكاك منه !

غير ان غرامهما كان قويا جامحا ، فلم يلبث أن حطم القيود واجتاح العوائق ٠٠ وأحس كل منهما خلال المدة التى بقيها نلسون فى « نابولى » أن لا قبل لهما بالفراق بعد هذا اللقاء ، بل ان الفراق بدا أمرا مستحيلا !٠٠ وككل عاشقين ، شعرا بأن غرامهما أقوى من القواعد التى اصطلح عليها المجتمع وجعلها اطارا يحصر فى نطاقه كل علاقة بين رجل وامرأة ٠٠ ومن ثم شرعا يعدان الخطط للمستقبل ، على أساس التمرد على قيود المجتمع !

وكان نلسون لا يفتأ يتمتم وكل منهما فى أحضان صاحبه :

« كم أتمنى أن تكونى الى جانبى دائما ٠٠ يا أعز الناس ! »

وتجيب « ايما » نشوانة : « بل يجب ٠٠ لسوف أبقى الى جانبك ! »

– لشد ما يحزننى أننى لا أستطيع أن أتخذك زوجة ٠٠

– سأقنع بأن أكون زوجتك أمام الله !

– هو هذا ٠٠ ان « فرانسيس » زوجتى أمام المجتمع ٠٠ أما أنت فزوجتى أمام الله !

ثم يستغرق فترة فى التفكير ٠٠ ويتمتم فى شرود ، وكأنه فى عالم آخر :

– اننى أقدرها وأحترمهـــا ، ولكنى ما شعرت يوما بأننى وهبتها قلبى !٠٠ أنت أول من استولى على هذا القلب ٠٠

– أترانى أكون آخر من يستولى عليه أيضا !؟

– بلا شك ٠٠ قطعا ٠٠ لقد غدا ملكك ، ولم يعد لى سلطان عليه ٠٠

– رددها مرارا ، فما أمتع أن أسمعها من شفتيك !

وكانت المهرجانات و « الكرنفالات » والحفلات الساهرة الصاخبة التى تتابعت فى « نابولى » بمثابة أفراح شهر العسل لذلك الزواج غير ا لشرعى الذى ربط بين « ايما » ونلسون ! .. وكان القائد البحرى موضع التكريم فى كل حفلة.. بينما كانت « ليدى هاميلتون » النجم اللامع الذى لا بد منه ليكتمل جمال الاحتفال !

وبدا كأن هذه الافراح لا تريد أن تنتهى .. وكانت « ايما » تفتن فى الابتكار فى كل حفلة ، فظهرت فى احداها وقد ارتدت ثوبا ابتدعته ونثرت على رقعته أسماء المعارك التى انتزع فيها نلسون لواء النصر والظفر .. وفى حفلة أخرى ، أقيمت على سفينة القيادة وكانت هى ضيفة الشرف فيها ، تنكرت فى زى « كليوباترة » ، الملكة التى عاشت للحب ، وماتت من أجله !

الوطن أولا !

◆ على أن هذه المباهج كلها ، ولذائذ الغرام التى أقبل العاشقان على ارتشافها فى نهم، لم تلههما عن واجباتهما الوطنية .. فقد كانت انجلترا فى تلك الاثناء منهمكة فى تكوين حلف أوربى ضد نابليون ، فسعت « ليدى هاميلتون » جاهدة لدى الملكة ، لتضمن أن يكون لانجلترا مكان الصدارة فى مياه « نابولى » والمرافىء التابعة لها .. وكان الملك قد فرغ من حشد جيش اعتزم أن يرسله لمناوأة قوات « نابليون » ، ولكن الرأى لم يستقر على الخطة التى يستغل فيها هذا الجيش ، فاقترح نلسون أن يسير الجيش زاحفا نحو الجبهة الفرنسية فى الشمال .. واستطاعت « ليدى هاميلتون » أن تقنع الملكة ، فما زالت هذه بملكها حتى وافق على الخطة .. واذ ذاك تحرك الاسطول البريطانى ليقطع خطوط الاتصال الفرنسية .. ووفق الاسطول فى مهمته .. أما جيش « نابولى » فتقاعس ، ثم شاعت فيه الفوضى ، مما مكن الفرنسيين من أن يطاردوه !

وهالت هذه الحال معارضى الملك من أنصـــار الجمهورية فى « نابولى » ، فثاروا ٠٠ وغدت الاسرة المالكة مهددة بالخطر ٠٠ فانقلبت الآية ٠٠ وكما توسلت « ليدى هاميلتون » الى « ماريا كارولينا » يوما كى تساعد الاسطول البريطانى ، توســلت « ماريا » الى « ايما » اليوم كى ترد لها الجميل ، فاذا سفن نلسون تنقذ الاسرة المالكة من الثورة ، وتنقلها الى « باليرمو » التى اتخذت عاصمة مؤقتة للحكم ٠٠

وهناك كان لنلسون وايما النفوذ الاعلى ٠٠ وزاد من مكانة القائد البحرى انه نجح فى أن يفرض – فى آن واحد – حصارا على مالطة لمقاومة الفرنسيين ، وحصارا آخر على خليج نابولى ضد الثوار الجمهوريين ٠٠ وهكذا ركن الى الحصار بدلا من السعى الى القتال ٠٠ **ويقول المؤرخون انه أراد بذلك أن يجنب أسطوله ورجاله الخسائر ٠٠ ويقول الادباء : بل انه راى فى سياسة الحصار خير ما يمكنه من البقاء على البر ، لينعم بحب « ايما » !٠٠ وأيا كانت الحقيقة فان العــاشقين تحررا فى « باليرمو » من كل تحرج ، فأوغلا فى هواهما ٠٠ غير مبقيين على شىء أو مباليين بأحد !**

على أن « فردينـــاند » و « ماريا » ملا الانتظار ، ورأيا أن الحصار سياسة تستغرق أمدا طويلا ، فأوفدا « كردينالا » من الموالين لهما ليستنهض همم المخلصين لهما من أعوانهما ٠٠ وألف الكردينال « فابريزيو رفو » جيشا من المتطوعين استطاع به أن يضطر الفرنسيين وأنصارهم من الثوار الى أن يلوذوا بقلاع « نابولى » فيعتصموا بها ٠٠

ونجحت ايحاءات « ليدى هاميلتون » الى الملكة ، فبدأ الملك يوجس خيفة على نفوذه من نجاح « رفو » ٠٠ وازداد قلقه حين نمى اليه ان الروح المعنوية لدى متطوعى جيش الكردينال بدأت تتخاذل كلما طال أمد محاصرتهم للقلاع ، مما حمل « الكردينال »

على أن يسعى لعقد صلح مع الفرنسيين ٠٠ ومن ثم لجأ الملك الى نلسون فسأله أن يزحف على « نابولى » ويستولى على مقاليد الامور فى يديه ٠٠

وتحرك اسطول نلسون ، ومعه على سفينة القيادة كل من « هاملتون » وزوجته !٠٠ وفى ٢٤ يونيو سنة ١٧٩٩ وصلوا الى «نابولى»، فاذا بهم يفاجأون بعلم أبيض يرفرف على القلاع٠٠ فان « رفو » كان قد وقع صلحا مع كل من الثوار والفرنسيين ! ٠٠ لكن نلسون أبى أن يعترف بهذا الصلح ، لا سيما وانه أدرك أن العدو كان مستعدا قبل ذلك للاستسلام ٠٠

محاكمة عسكرية ٠٠ واعدام !

وكان « رفو » قد أمن الجمهوريين على أن يبرحوا البلد بحرا، فما كان من نلسون الا أن فاجأ مراكبهم ، واعتقل عددا كبيرا منهم ، وأعدم أحد كبارهم بعد محاكمة عسكرية عقدها على ظهر بارجته !

لكن تصرفات نلسون هذه أثارت ثائرة معارضيه وحاسديه - من مواطنيه الانجليز - فاتخذوا منها مادة لينسجوا الدسائس ضده ٠٠ وفى تلك الاثناء عين « اللورد كيبث » قائدا للاسطول البريطانى فى البحر الابيض المتوسط ، ولكن نلسون لم يرتح الى التعاون معه ٠٠ بل انه لم يرض عن بعض خططه فعارضها ، وذهب الى حد رفض أوامره تمسكا بآرائه فى بعض نقاط « التاكتيك » البحرى !٠٠ ومع ان الاحداث التى تلت ذلك أثبتت صحة آراء نلسون ، الا أن ذلك لم يكن كافيا لتبرير تمرده على قائده الاعلى ٠٠ فحصل على اجازة رأى أن يعود فيها الى وطنه ليعمل على تصفية الجو بينه وبين رؤسائه وحكومته ، ويبدد عن نفسه أمام الرأى العام البريطانى ما أشاعه عنه المؤتمرون ضده ٠٠

وفى تلك الاثناء بلغ سير وليم هاميلتون سن السبعين ،

فأعفى من منصبه ·· **واذ كان الرجل يحب « ايما » ويمجد نلسون ، لذلك فانه اشتق من هذا التمجيد وذلك الحب فلسفة سمحت له بأن يرضى عن سفر نلسون معه ومع زوجته برا عبر الدول الاوروبية ·· أو على الاصح رضى بأن يكون فى ركاب العاشقين ، وأن يجعل من نفسه راعيا ومستشارا لهما !**

وكان وداع « نابولى » لنلسون ولايما ·· فقد شق على « ماريا كارولينا » أن تحرم من المرأة التى كانت سميرتها وصديقتها المفضلة· وكان أبسط تقدير قدمته لها أن أوحت الى زوجها فأنعم عليهـا بوسام « صليب مالطه » ـ فكانت أول امرأة تنـال هذا الوسام ! ـ كما أنعم على نلسون بلقب « دوق برونتى » ··

وكانت الرحلة سلسلة من الاستقبالات وحفلات التكريم ، على طول الطريق ·· فى « فيينا » و « براج » و « درسدن » و « همبورج » ·· وكانت من أعذب الفترات فى حياة العاشقين ·· فقد كان كل منهما منصرفا فيها الى الآخر ، مستغرقا فى هواه ، لا يكاد يحس لسواه وجودا !

هوان الزوجة المنبوذة !

◆ **وفى** انجلترا ، ازداد العاشقان جرأة واستهتارا ·· حتى لقد عرض نلســـون على زوجته « فرانسيس » أن يقيمـا و « هاملتون » وزوجته فى بيت واحد !·· وراح يعرض الزوجة الصابرة لاقسى مظاهر الهوان ·· بل كان ينصرف عنها ليغمر « ايما » ـ التى كانت تشاطرهمـا مقصورتهما فى المسرح ، ومائدتهما فى المآدب ـ بكل ألوان الشغف والرعاية ··

وضاقت « فرانسيس » ذرعا ، واشتدت شكواها ·· وأخذ الشجار يدب بينهما ، فكان نلسون يثور ويغادر البيت ليذرع الطرقات طيلة الليل ·· حتى يطلع النهـار فيسعى الى دار « هاميلتون » ينشد السلوى !·· وشجع هذا « ايما » على أن

تشيع فى كل مكان أن « فرانسيس » تقف عقبــة فى طريق صعود زوجها الى قمة المجد ..

وتملك القنوط « فرانسيس » أخيرا ، فهجرت نلسون .. ولكنها ظلت تحن اليه ، حتى لقد كتبت له بعد عام تقول : « .. **لقد أعددت لك بيتا دافئا مريحا ، لو شئت يا زوجى العزيز أن نعيش معا .. وثق اننى لن أشعر بالسعادة الا يوم يتحقق هذا .. ودعنى أؤكد لك ثانية ، اننى لا أملك غير أمنية واحدة فى هذه الحياة : هى أن أرضيك .. فلندفن كل ما حدث فى أعماق النسيان ، فسرعان ما يصبح حلما زائلا ..** »

ولكن نلسون كان يترقب هذه الفرصة ، لينفصل عن زوجته نهائيا ، كى يكرس كل حبه وعاطفته لايما .. وعندما أوحت « ايما » الى زوجها أن يدعوه للاقامة معهما عقب الانفصال ، لم يتردد فى الاستجابة !

ثمرة الهوى الحرام !

◆ **واترعت** كأس نلسون بالسعادة ، حين أنجبت له «ايما» ثمرة غرامهما المحرم : « هوراشيا » .. ابنته الوحيدة ! ــ وان كان الادب والخوف من ألسنة المجتمع قد اضطره الى أن يزعم أنها ليست ابنته وانما هو قد تبناها ! ــ وكانت « هوراشيا » قد ولدت وهو فى الشمال يخوض معركة « كوبنهاجن » .. وزاد انتصاره فى هذه المعركة من تقدير وطنــه له .. ومن شغف ايما به ، فأقامت له حفلة كبيرة غنت فيها ، وعزفت ، وقامت باحدى رقصات « نابولى » الشعبية العنيفة ..

وكانت « ايما » فى غيابه قد شقت طريقها فى البلاط الملكى البريطانى ، واستطاعت أن تظفر باعجاب ولى العهد .. فحاول البعض أن يتخذوا ذلك وسيلة الى الافساد بينها وبين نلسون .. ونجحوا بالفعل فى اشعال غيرته ، فقال لها يوما : « اننى أعرف هدفه .. فهو يبغى أن يتخذك خليلة .. فليصبه الله

بالعمى ان هو تطلع اليك ! »
.. وانفثا غضبه بهذه الكلمات، فودعها موصيا اياها بأن تحذر الامير .. ثم انطلق الى البحر ثانيـــة ، ليشن الحملة علـى « بولونى » ارهابا لنابليون .. ولكن « صلح اميين » ما لبث أن عقد ، وآن لنلسون أن يعود الى الوطن فيخلد الى الراحة ..

وكانت « ايما » فى غيابه قد ابتـــاعت باسمه منزلا فى « مرتون » ، تحوطه ضيعة صغيرة .. فعاش فيه العاشقان فى أسعد جو لفهما منذ بدء غرامهما .. وكأنما رأى « هاميلتون » أن لا مكان له فى حياتهما ، وانه قد عاش ما فيه الكفاية ، فودع الحياة فى ابريل سنة ١٨٠٢ ، وقد أسند رأسه الى صدر «ايما»، وأمسك بيد نلسون يوصيه خيرا بعزيزته « ايما » !!

تدفعه الى المجد دفعا !

وبموته خلا الجو للعاشقين تماما .. ولكن « نابليون » عاد يعلن الحرب على انجلترا ، يريد أن يثأر لنفسه .. وأغرت « ليدى هاملتون » بطلها على أن ينفض عنه عزلته ، ويتطوع لمنازلة غريمه .. وفى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٠٣ غادر « نلسون » عش الهوى فى « ميرتون » .. لآخر مرة .. وراح يكتب اليها من عرض البحر يحمد لها تشجيعها ، ويصفها بأنها مصدر الهامه فى سبيل المجد ..

ونشبت معركة « الطرف الاغر » ٠٠ التى لقى فيها مصرعه !
وكان قبل انطلاقه قد استسلم للوهم بأن منيته حانت ، حتى انه كان قد أعد لنفسه التابوت الذى أحب أن يدفن فيه !٠٠ حتى اذا غادر « قادش » قبيل المعركة ، أحس بهـاجس يؤكد له انه لن يعود الى « ايما » ، فلما لاحت له سفن العدو ، عكف على كتابة وصية أهاب فيها بالامه أن ترعى « ايما » لما أدت فى «نابولى» من خدمات لوطنها٠٠ وأن ترعى أيضا ابنته « المتبناة!» وتسمح لها بأن تحمل اسمه ٠٠

رسالة الوداع !

ثم تحول يكتب رسالته الاخيرة الى المرأة التى تعرف اليها فى « نابولى » منذ أحد عشر عاما ، وكان بعد ضابطا مغمورا ، فألهمته الحوافز التى جعلت المجد يدين له ويواليه ٠٠ واختتم الرسالة بهذا الدعاء المؤثر: « **ليكلل آله المعارك جهودى بالنجاح! ٠٠ اننى - على أى الاحوال - سأحرص على أن يبقى اسمى أعز ما تعتزين و « هوراشيا » به٠٠ وأملى فى الله أن يبقى على حياتى حتى تنتهى المعـــركة فأتم رسالتى !** »

ولكن الله لم يحقق أمله ٠٠ فأصيب قبل أن تنتهى المعركة!
وكانت آلامه فظيعة وهـو يحتضر٠٠ حتى جاد بآخر أنفاسه وهو يقول لزميله وصـديقه «الكابتن هاردى» انه يترك ليدى هاميلتون وهوراشيا « أمانة فى عنق بلادى » ٠٠ ثم استطرد

يقول : « اعطوا شعرى وكل متاعى لعزيزتى الليدى هاميلتون ٠٠ ترى ما الذى يجرى للمسكينة اذا علمت بحالى ٠٠ ارع عزيزتى الليدى هاميلتون يا هاردى ٠٠ الآن أموت راضيا ٠٠ فقد أديت واجبى والحمد لله »

من القمة ٠٠ الى الحضيض !

◆ **وورثت** ليدى هاميلتون » عن عشيقها ضيعة « مرتون » ، ومكافأة سنوية قدرها ٥٠٠ جنيه تكريما لذكراه ، كما عهد اليها بأرباح أربعة آلاف جنيه تركها لابنته ٠٠ فضلا عن انها كانت قد ورثت عن زوجها « هاميلتون » دخلا قدره ٨٠٠ جنيه تدفع لها سنويا حتى نهاية عمرها ٠٠

ولكن الاسراف والاغراق فى لعب الميسر لم يبقيا لها شيئا ، بل أسلماها الى فقر مدقع ، والى ديون أخذت تتراكم عليها ٠٠ فراحت تطرق كل باب عسى أن تقتنـــع الحكومة بأنها أهل للمعونة، ولكن سعيها باء بالفشل٠٠ وراح الدائنون يطاردونها، ويلاحقونها ، ويسدون عليها كل طريق ٠٠ حتى انتهت بهـا مطالباتهم الى السجن ٠٠ بعد أقل من عشر سنوات من وفاة نلسون !

وهكذا قلب لها الدهر ظهر المجن ٠٠ وبعد أن كانت الاثيرة لدى ملكة « نابولى » ، غدت حطام امرأة تتعذب خلف القضبان فى غيـــابة السجن ٠٠ حيث قضت عاما كاملا ، تكفيرا عن ديونها !

وفى نهاية العام خرجت من السجن ٠٠ شبحا حائلا باهتا ، لماض متألق ، مشرق !٠٠ فلم تجد سلوى فى غير الخمر ٠٠ بل أرخص أنواع الخمر وأقواها على هدم ما بقى من حياتها ٠٠

نهاية موجعة !

◆ وفى مساء ١٤ يناير سنة ١٨١٥ ، كان الليل يشهد فى مدينة « كاليه » الفصل الختامى من مأساة المرأة التى بدأت حياتها بين بائعات الهوى الرخيص ، ثم رفعت رأسها حتى صارت من نديمات الملوك ، وحتى غدت عشيقة القائد الذى كان العالم بأسره يردد اسمه ! .. بل حتى جعلت انجلترا - بلاطا وحكومة وشعبا - تنظر فى رضى واعجاب الى أجرأ علاقة آثمة مكشوفة فى تاريخ الهوى الحرام !

ثم انحدرت .. انحدرت حتى دخلت السجن .. وحتى غدت تتسكع على أبواب حانات « كاليه » تحاول أن تجد أعمى ينشد الهوى عند حطام مهدم .. أو ثمل يجود عليها بكأس من الشراب ولقمة من الخبز !

وفى ذلك المساء ، كانت الخمر قد أغرقت الذبالة الباقية من مصباح حياتها .. فماتت فى الصباح التالى، مهدمة، شريدة، جائعة .. ثملة !

حسن تخلص !

◆ **اثناء تولى «بسمارك» الحكم فى المانيا ، هاجمه العالم الالمانى المشهور البروفيسور « رودلف فيرشيانو » مهاجمة شديدة تشكك فى كفاءته كحاكم ، فما كان من بسمارك الا ان دعا العالم الكبير للمبارزة !..**

وحين اقبل شهود « المستشار الحديدى » للتفاهم مع غريمه على شروط المبارزة ، ابتدرهم هذا بقوله : « بما ان فخامة المستشار هو البادىء بالتحدى ، فمن حقى اختيار السلاح الذى يروقنى .. واليكم سلاحى ! »

ومد يده الى الشهود بقطعتين من « السجق » متشابهتين تماما ، ثم اردف موضحا : « ان احداهما ملوثة بجراثيم الكوليرا المميتة ، والاخرى سليمة تماما .. فليختر صاحب الفخامة القطعة التى تروقه ، ويأكلها .. وانا آكل الاخرى ! »

فلم تمض ساعة حتى عدل بسمارك عن مبارزة خصمه وهو يقهقه ضاحكا من طرافة التخلص !

سكت دهرا ٠٠ ونطق كفرا !

◆ أثناء تفقد المارشال «فوش» لاحد المواقع الحربية بصحبة ضابط امريكى كبير ، فى الحرب العالمية الاولى ، وقف يتامل طويلا هوة سحيقة تحت ناظريه ٠٠ بينما كان مرافقه يحدث نفسه مترقبا : « لابد انى ساسمع الآن تعليقا ستراتيجيا جديدا بان ارويه لاولادى واحفادى !»٠٠ فلما فرغ الماريشال من تاملاته التفت الى الضابط قائلا : « يالهـا من هوة جميلة يستطيع الانسان ان يلقى فيها ٠٠ حماته ! »

وفاء الاصدقاء !

◆ تغيب الروائى الانجليزى « جاك لندن » ذات ليـلة عن بيتـه ، على خلاف عادته ، فانزعجت زوجته الى حد انها ارسلت الى خمسة من اخلص اصدقائه برقية تقول فيها : « جاك لم يعد بعد ٠٠ هـل قضى الليلة معك ؟ » ٠٠ وبعد ارسال البرقية بقليل وصل الزوج المتاخر ، وفى اعقابه جاءت ردود البرقيات الخمس ، فاذا هى كلها تجيب عـلى استفسار الزوجة بكلمة « نعم ! »

أشواك الورد !

◆ تزوج الشاعر الخالد « ميلتون » - وكان اعمى - من امراة شرسة سليطة اللسان ٠٠ وذات يوم سمع الدوق بكنجهام يصـفها بانهـا « وردة » ! فما كان من الشاعر الا ان اجابه فى لباقة : « ان بصرى عاجز عن ان يميز لونها ، ولكن لابد انها وردة فعـلا ، فانى احس باشواكها كل يوم ! »

خطيئة ترتكبها كل زوجة

◆ كان واعظ فرنسى مشهور يلقى عظة عن واجبـات الزوجات ، فقال : « انى ارى بين الحاضرات فى هذا الاجتماع امراة ارتكبت خطيئة عدم طاعة زوجها ٠٠ ولكى تكون عبرة لغيرها سالقى كتابى هذا عـلى راسها لتعرفوها ! »

ورفع كتابه فى يده وتاهب لالقائه على المراة العاصـية ٠٠ فاذا جميع النساء اللواتى فى القاعة يخفضن رؤوسهن ، تجنبا لالقاء الكتاب عليهن !

الخالدون

عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و ((غاريبالدى)) .. و((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)) .. و((ماركونى)) .. و((تشايكوفسكى)) .. ((فمصطفى كمال)) .. ثم ((شوبان)) .. واخيرا « جى دى موباسان » .. وهم من هم من العظماء فى السياسة، والطب ، والادب ، والاختراع .. والموسيقى .. الخ

واليوم اقدم لك فيما يلى سيرة فنان مصر الخالد ((مختار)) ، الذى كان ينبغى أن تحتفل مصر فى الاسبوع الماضى بمرور ربع قرن على اقامة تمثاله الاعظم ((نهضة مصر))

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، شيللى ، براونج .. بيتهوفن ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشه ، ارسطو .. بوذا ، كونفشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، اديسون ، فورد .. بلزاك ، ديكنز ، والتر سكوت ، ديماس، دستويفسكى .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم

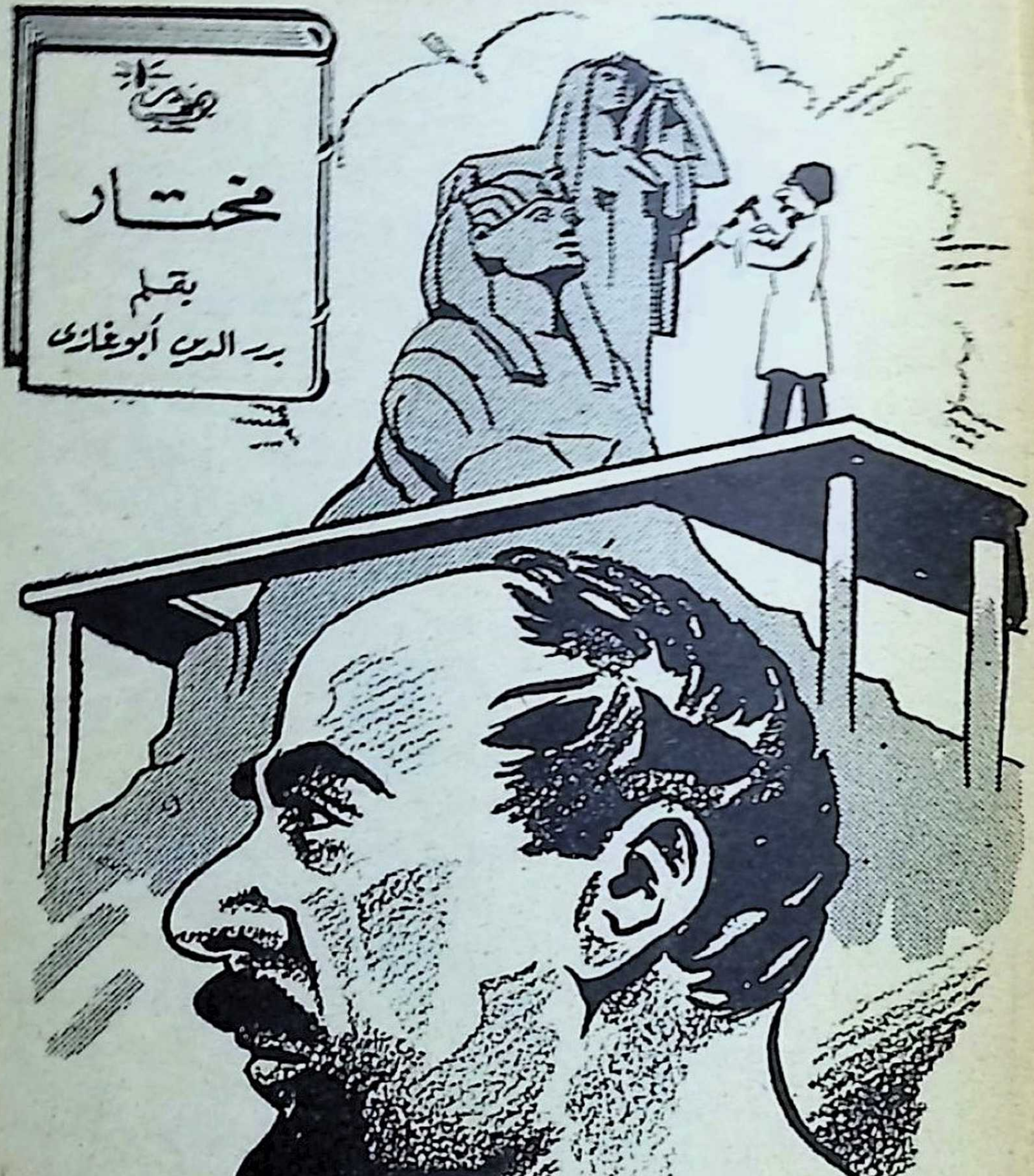

مختار

الفنان الذى خلد «نهضة مصر» فوجب أن تخلده مصر!

الفنان الذى نسيته مصر !

◆ فى الاسبوع الماضى تم انقضاء ربع قرن على اقامة تمثال « نهضة مصر » الذى يطل من عليائه على ميدان محطة القاهرة ، رمزا لوثبة مصر الفتية فى سبيل استرداد مجدها الغابر التليد ٠٠ ولكم يحز فى النفس ان تهمل مصر - ويهمل الجيل الحالى من اهل الفن فيها - احياء ذكرى هذه المناسبة المجيدة ، كما كان خليقا بالمصريين ان يحيوها ، فيذرفوا الدموع سخينة - وفاء ، ورثاء - للفنان العظيم « مختار » ، خالق هذا التمثال الخالد ، النابض بالحياة على مر القرون ، وغيره من التماثيل والتحف الفنية التى رفعت راس مصر ورددت اسمها فى اروقة ارقى المحافل والمتاحف الفنية فى باريس ، عاصمة الفن العالمى ٠٠

بل كيف ينسى المصريون مختارا وهم يشاهدون له فى قلب العاصمة والاسكندرية ، عدا تمثال نهضة مصر ، تمثالى « سعد » الرائعين ؟٠٠ كيف ينسى المصريون مختارا ، فنان مصر القومى ، الذى استطاع بشىء كالمعجزة ان ينقل الفن من اجواء المعابد القديمة وقاعات القصور ، الى ساحات الشعب المكافح ؟٠٠ كما استطاع بشىء كالمعجزة ان يربط الفن بعجلة الوطنية ويجنده لخدمة البلاد ، فاستحال الفن على يديه الى ضرورة قومية ، بعد ان كان فى مصر القديمة ضرورة دينية ؟

كيف ينسى المصريون مختارا ، الذى نحت فى تماثيله الوطنية «روح» مصر ، واتخذ من الفلاحة المصرية نموذجا جديدا ادخله على الفن ، وصور من حياتها جانبها الانسانى الخالد : حزنها وفرحها ، وراحتها وتعبها ، وحبها وكفاحها الدائب ؟٠٠ لقد رد فن مختار الى مصر جانبا من عزتها ومجدها القديم ، منذ تناول الازميل الفرعونى فازال عنه الصدا ، واجرى به الحياة متدفقة زاخرة فى الاودية الصماء ، وانطق به الصخور العجفاء بالآيات البينات !

حقا لقد كان مختار معجزة !٠٠ معجزة ليس من الميسور فى هذا المجال الضيق ان نلم بها من كافة اطرافها ، ولكننا سنوجزها بقدر مايسمح المقام ، ملخصة عن المرجع الوحيد الذى ارخ حياة مختار ، وهو كتاب ابن شقيقته الباحث الفاضل الاستاذ بدر الدين ابوغازى ٠٠ اول كتاب يصدر عن فنان مصر العظيم ، الجدير بان يحظى منا بالخلود الذى كفلته فرنسا لفنانها « رودان » ٠٠

منبته ونشأته ..

◆ **أما** أبوه فكان « الشيخ ابراهيم العيسوى» عمدة طنبارة، وأما أمه فهى « نبوية البدراوى » ، التى تنتسب الى بيت عريق يصعدون بنسبه الى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ويحكى شيوخ القرية عن السيد البدراوى ـ جده لامه ـ انه كان معتدا بنفسه ، ثائرا على الاتراك الذين كانوا يعيشون فى أبهة السلطان ويسومون الاهالى الخسف والعذاب . وكان والده شيخا حين تزوج ـ للمرة الثانية ـ من أمه الشابة ، ورغم انه كان قد أنجب أولادا من زوجته الاولى ، فقد كان ما يزال يحس شوقا الى مزيد من النسل !.. واستجاب الله له فأنجب بعد عام من زواجه طفلا سماه « محمود مختار » ، وقد ولد فى بلدة طنبارة التابعة لمركز المحلة الكبرى فى ١٠ مايو سنة ١٨٩١

◆ **ودرج** الطفل « محمود مختار » فى الريف ، حيث كان يستمع فى البيت الى حكايات الجارية وقصص أجداده .. ويستمع فى المقهى الى الشاعر الريفى يحكى على الربابة قصة « أبو زيد الهلالى » ، و « الزير سالم » ، و « عنترة » ، و«دياب»!! .. فبعث هذا الجو فى نفسه فكرة البطولة . ولكنه لم يشارك الاطفال لهوهم المألوف فيقيم بطولة خيالية من حصون التراب والمعارك الوهمية وسيوف الحطب .. وانما تحول عن اللعب الى هواية أخرى تملكت كل نفسه : كان يقضى ساعات يومه على ضفة الترعة تحت شجرة الجميز يصنع من طينهـــا الخيول والفرسان والجمال الراحلة نحو بلاد غريبـــة .. والجوارى الهاربات الى سفوح الجبال !.. واتجه الى المشاهد المحيطة بحياته يصور منها الفلاحات عند ذهابهن الى الترعة ، ويصنع من الطمى « تماثيل » ساخرة للحلاق والشحاذ وغيرهما من شخصيات القرية ..

يفر من « الكتاب » الى شاطىء الترعة !

فلما كبر الصبى وبدأ يذهب الى « الكتاب » أضاف الى هموم أمه هما جديدا اذ كان يفر منه الى الترعة ٠٠ التى يحس بأنها تسر اليه بأشياء أروع مما يصخب به الكتاب! ٠٠ والتى يستشعر على شاطئيها سعادة تفيض بها نفسه ، وينتشى بها حسه !

وكان من الممكن أن تطويه الايام فى غمارها ، فينشــأ ريفيا ويعيش ريفيا الى النهاية ٠٠ لولا أن الاقدار تدخلت فى الوقت المناسب ، حين سافرت أمه الى الحجاز لاداء فريضة الحج ٠ فلما عادت خطر لها أن تبقى بالقاهرة أياما تزور فيهـا بعض أقاربها الذين يقطنونها ٠٠ واذ ذاك طابت لها فكرة « الاقامة » بها بعد أن ضاقت ذرعا بالحياة فى بيت زوجها الذى كان متزوجا قبلها من امرأة أخرى وله منها أولاد لم يكونوا قط على وئام معها !!

وحين استقر رأى الام على هذا القرار مضت الى بلدتها ريثما أقيمت لها الافراح بمناسبة عودتهـا من الحج ، ثم رحلت الى القاهرة من جديد تاركة الصبى فى البلدة يتابع هوايته فى صنع التماثيل من الطين على شاطىء الترعة ، كى يتعزى بها عن غياب أمه ٠٠ ولكن لم تلبث أن نشبت بينه وبين بعض صبيان البيت ذات يوم مشاجرة خرج على أثرها الى الطريق مصمما على ألا يعود! وعند مدخل البلدة التقى بشيخ من شيوخها علم منه الصبى انه ماض الى القاهرة ، فرجاه أن يصحبه الى أمه ٠٠ واستجاب الشيخ لرجائه غير مبال بغضب أهله وذويه !

◆ **وفى القاهرة** قضى الصبى أيامه الاولى بمدرسة مجاورة للبيت ، أتم فيها ما كان قد بدأه فى الكتاب من تعلم القـــراءة والكتابة ، وتعرف الى بعض الرفاق فكان يمضى فى صحبتهم الى المصانع الصغيرة ويجتمع بهم ليسمعوه وهو يقرأ لهم حكايات ألف ليلة أو القصة الهلالية ٠٠ وعندما يتوفر لهم بعض الملاليم

يقبلون على صندوق الدنيا ليشاهدوا صور « يونس » و« السفيرة عزيزة » ويستمعون الى حكايات صاحب الصندوق الشائقة عن مغامرات الابطال وأسفارهم ..

ومضت الايام ..

انشاء مدرسة الفنون الجميلة

◆ **فى** ذلك الوقت كانت روح البعث والانشـاء يقظى فى القاهرة ، وكان انشاء مدرسة للفنون الجميلة من الحاجات التى أحست العاصمة بضرورة تحقيقها .. فقام نفر من النـابهين يدعون اليها ، وظهرت دعوتهم مقترنة بمولد دعوة انشـاء الجامعة! ونجحت الفكرتان، فتأسست مدرسة الفنون الجميلة(١) بدرب الجماميز .. واستقدم لها كبار الاساتذة من فرنسـا وايطاليا ، ثم أفتتحت لطلاب الفن فى ١٨ مايو سنة ١٩٠٨ .. كما تأسست الجامعة بفضل جماعة من كبار المصريين الذين لبوا الدعوة التى نادى بها الزعيم الشاب مصطفى كامل فى خطاب له..

والتحق محمود مختار ــ وكان قد بلغ السابعة عشرة من عمره ــ بمدرسة الفنون الجميلة ، التى تلقت فى البداية خليطا عجيبا من سكان القاهرة ، متباينين فى كل شىء . ولكن الاساتذة (لابلانى) و(فورشيللا) ــ وغيرهما ــ استطاعوا أن يلتقطوا أشعة «المواهب» التائهة وسط ذلك العدد الكبير! ومالبث الفضوليون أن انصرفوا عن المعهد فبقى فيه نحو مائة طالب بينهم فئة كان يلوح عليها النبوغ الباكر .. وعلى رأسها الطالب « محمود مختار » !

ولم تمض شهور قليلة حتى بدأ مختار يجذب التفات أساتذته اليه ، وظهرت لهم مقدرته الفنية بجلاء حين أعـد نموذجا من تمثال « فينوس ميلو » العالمى الشهير ، دون معونة أو ارشاد من أحد ..

---

(١) وقد تحولت اليوم الى « كلية » افتتح الرئيس اللواء محمد نجيب مبناها الجديد الفاخر بالزمالك يوم ١٩ مايو المنصرم .

« مختـــار » الطالب بمدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩١٠

وكانت أحلام البطولة ماتزال تستهويه ، وقد وجد لها هنا الارض الخصبة ، فان الشرارة التى أشعلها مصطفى كامل قد جذبت المصريين وجمعتهم حول حلم مشترك وهدف واحد .. فألهب ذلك كله مشاعر «مختار»، التى انطلقت الى ميادين الجهاد الشعبى .. فاذا هو يمضى مع الجموع الثائرة يهتف للوطن ويطالب بالدستور . ومن وحى روح هذه الحركة الوطنية الفوارة استلهم فكرة تمثالى « مصطفى كامل و « محمد فريد » !

وفي سنة ١٩١٠ أقيم أول معرض لاعمال طلاب مدرسة الفنون الجميلة « بكلوب محمد على » بشارع المدابغ .. فلقيت أعمال مختار كل اعجاب وتقدير ، ومضى أستاذه (لابلان) بين جموع الزائرين يشير الى ايماءات النبوغ فى هذه الاعمـــال ، مزهوا بتلميذه !

ارساله فى بعثة الى باريس

◆ ووقع الاختيار على مختار ليرحـــل الى باريس مبعوثا لاستكمال دراســـته الفنية .. فما استقر به المقام فى عاصمة النور حتى يمم وجهه شطر المثال الكبير (كوتان) ، الذى كان للقائه أعمق الاثر في نفس مختار ، فقد أمده بيد هدته فى الجو الغريب ودفعته نحو الاندماج تدريجيا فى حياة باريس ..

وها هو الآن بين المتاحف والمعارض واكاديميات الفنون يعب منها ويملأ نفسه وروحه بأمجاد الفن القديم ، ويستضىء من المشاعل الخالدة !.. وأخذت باريس تسكب فى روحه سحرها

ومرحها وما فيها من فن ومعرفة . وهناك التقى ب « جرمين » ، الحسناء التى فتنته بسحرها .. فبثها عواطفه فى غير مواربة ودعاها لتكون رفيقة لقلبه . وأجابت دعاءه ، لكنها لم تلبث أن جعلت تنظر الى علاقتها به بعين عقلها ، فى حين كان هو يهفو اليها بقلبه !.. واذا بها تتخلى عنه بعد قليل ، بغير ما سبب .. ولا مقدمات !.. فأصابته الصدمة فى قلبه اصابة قاسية ، عاش من بعدها يرهب الوقوع فى مثل تلك العاطفة المدمرة !

يتعزى بالعمل عن فشله فى الحب

وفى باريس تقوم بينه وبين الكاتب الفرنسى الكبير « تريستان برنار » علاقة صداقة وطيدة ، فيجد مختار فى فلسفة الرجل الساخرة ونظرته الخاصة الى الحياة معينا له على التحرر من مشاعر الاسى التى تزاحمت فى قلبه حين أحس خواءه من الحب ..

وعاش مختار فى باريس ثلاث سنوات ، مكبا على صقل فنه والتمكن منه .. حتى شعر أن فى وسعه تحقيق رغبة طالما راودته منذ استقر فى عاصمة الفن ، هى أن يعرض بعض اعماله فى المعرض السنوى للفنانين الفرنسيين ، أو بعبارة اخرى يعرض نفسه على النقاد والجماهير ! وثابر من اجل هذه الخطوة كما اعتاد فى كل خطى حياته ، حتى اتيح له أن يعرض فى المكان الذى طالما حلم به نموذج تمثال « عايدة » الذى نحته من وحى أوبرا « فردى » !

وتحقق له ما اشتهى من ثناء الصحف الفرنسية والعالمية ، وتقدير النقاد لاول أثر فنى مصرى يطرق أبواب معارضهم ! وفى صيف ذلك العام عاد الى القاهرة فاستقبله أساتذته وأصدقاؤه بالترحاب للنصر الذى أحرزه لبلاده فى باريس ..

أيام الجوع فى باريس !

◆ **ثم** عاد ثانية الى العاصمة الفرنسية ، ولم تلبث أن نشبت الحرب العالمية الاولى .. فابتدأت تضيق به الدنيا عندما

انقطع عنه مرتبه ، وقضى مع صديقه « فريد نجم » أياما سوداء كانا فيها من فرط الجوع يبحثان أحيانا فى القمامات عن لقمة ضالة أو بقايا طعام !

٠٠ وتتوالى عليه أيام « الجزر » ، حتى يضطر الى العمل فى مصانع الذخيرة – فى اعداد القنابل وحمل الذخائر – ليتقاضى مائتي فرنك شهريا نظير عمل يستغرق عشر ساعات كل ليلة ! وبعد هذا الجهد الشاق المضنى ينصرف فى النهار الى فنه ٠٠ وتدوم هذه الحال التعسة قرابة عام !!

ثم انقضت الايام الجافة القاتمة أخيرا ٠٠ وأقبلت فى أعقابها فترة من الرخاء العذب ، حين استدعى متحف « جريفان » الفنان المصرى ليعينه مديرا فنيا له! فكان هذا نصرا أدبيا وماديا عظيما، تلقت مصر أنباءه مزهوة فخورة ، وأخذت صحفها تشيد بهذا التقدير للنبوغ المصرى فى باريس ٠٠ وبلغ من تأثر « مختار » باعتزاز وطنه به أن بدأ يعاوده التفكير فى العودة الى مصر ٠٠ غير انه أراد قبل العودة أن يشيد لوطنه صرحا يختلف عن تلك التماثيل التى يستلهمها بعضهم من التاريخ ٠ وهذا الصرح هو اقامة تمثال لمصر الثائرة وهى تتأهب للمعركة وتستعد لمناضلة المستعمرين !٠٠ وفى لحظة من لحظات الالهام عنت له فكرة الرمز ل « نهضة مصر » بأبى الهول والفلاحة المصرية ٠٠

ملهمته الجديدة : « مارسيل »

◆ وفى تلك الفترة التقى مختار بالحسناء « مارسيل » ، ابنة أحد رجال الفن فى باريس، فأعجبت به وصارت تتردد على مرسمه وتشجعه وترقب عمله، وقد بهرها حماسه و« حرارته النفسية » ٠٠ ولكنها لم تجد من وقته لحظة ملائمة لتعبر له عن حبها ، من فرط اندماجه فى عمله بكل طاقته ٠٠ فلما انتهى أخيرا من عمله ثاب الى قلبه ، فأحس قربها منه واشراقها فى أفق حياته !٠٠ ثم نما حبهما على الايام فبقيت ترافقه فى كل الظروف ولم تتخل عنه قط كما فعلت سابقتها !

فرنسا « تكتشفه » لمصر !

وجاء الوفد المصرى الى باريس للدعاية لقضية مصر ، فدعته الجماعة المصرية هناك الى حفلة تكريم قدمت فيها « مختار » الى أعضاء الوفد ، الذين شاهدوا روائع فنه المعروضة بمتحف (جريفان) ولمسوا تقدير الهيئات الفنية الفرنسية له ، فأدركوا أن هذا الشاب المجهول هو من دواعى فخر مصر وانه يجب أن يحتل فى بلاده المكانة التى تليق به ..

وبالفعل عاد بعض رجال الوفد الى مصر وفى عزمهم أن يقدموه الى أبناء وطنه، بعد أن تجاوبت بذكره المحافل الباريسية وكتبت عنه كبريات صحفها ، مثل (الفيجارو) و (الالستراسيون) و (الطان) و (المجلة الحديثة للفنون) ، مقالات كلها ثناء واشادة بالمثال المصرى النابغة !.. وفى فورة الحركة الوطنية توجه بعض رجالات مصر البارزين ـ وعلى رأسهم واصف غالى ويصا واصف وأمين الرافعى ـ بنداءات حارة الى المصريين يدعونهم فيها الى الاكتتاب لاقامة « تمثال نهضة مصر » الذى ظفر نموذجه المصغر الذى عرض فى باريس باعجاب كبار النقاد والفنانين !

وعندئذ ـ وعندئذ فقط ـ أحس مختار بأنه انتصر ، بعد كفاح شاق طويل ، بل أحس ان اللواء قد أسلم اليه .. فليعد اذن الى مصر !!

العودة الى الوطن

◆ **استقبلت** مصر فنانها الاكبر مرحبة بمقدمه ، وها هى القاهرة التى دخلها منذ قرابة خمسة عشر عاما صبيا ريفيا مغمورا ، تفتح له اليوم ذراعيها وتستقبله بالتكريم والتبجيل ! وانطلق اسمه كالسهم بين الجماهير وعدوه « بطلا » من أبطالهم ـ بل أطلقوا عليه « النابغة » ! ـ فقد كانت مشاعرهم اليقظى تائهة تحاول التجمع حول رمز يصور يقظتها هذه فلا تجده ،

حتى جاء مختار وصـــاغ تمثاله الذى كانت فكرته ثاوية وراء مشاعرهم ، مستقرة بين أضلاعهم ..

وبدأت حركة الاكتتاب لصنع تمثال « نهضة مصر » ..

ومن القوائم التى تتوالى تطل روح مصر التى تنبعث فى الوقت المناسب فتأتى بالمعجزات ! فقد اكتتب لتمثال نهضة مصر كل مصرى تظله سماء مصر .. اكتتب له صغار العمال ، والباعة الجائلون ، والنساء الفقيرات .. حتى المتسولين على الارصفة وفى الطرقات !

فى هذا الجو الزاخر بالحماسة تكونت لجنة التمثال برياسة حسين رشدى رئيس الوزراء ، وعضوية واصف غالى وويصا واصف وحافظ عفيفى وأمين الرافعى ومحمد محمود خليل وعبد الخالق مدكور وفؤاد سلطان وعبد القوى احمد .. ورأى مختار أن ينحت التمثال من الجرانيت ، أى من هذا الحجر الصلب العنيد الذى أقام منه المصريون القدماء آثارهم ، كيما يكتمل بذلك الرمز لمعنى النهضة والبعث !!

المجد يدين لمختار !

وبدأ العمل فى اقامة التمثال ، يمده الشعب حينا بتبرعاته السخية ، وتعينه الحكومات الموالية بالمال حينا آخر .. وأخذت ساحة التمثال تحظى بزيارات متكررة من رجالات مصر الافذاذ، على رأسهم : سعد، وعدلى ، ورشدى، وثروت !.. فتحقق بذلك لمختار أول فوز وطنى شعبى . وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٨ أزيح الستار عن تمثال « نهضة مصر » في احتفال رسمى ألقى فيه رئيس الوزراء خطاب الدولة .. وكتب مختار للحكومة يتنازل عن ملكية التمثال ، فقال فى خطاب له وجهه الى الجهات المسئولة قبل ازاحة الستار : « ان تمثال نهضة مصر ليس ملكا لاحد ، ولم يقم بصنعه فرد واحد ، بل هو ملك لمصر .. مصر كلها صنعته ، وسترفعه على قاعدته »

وبعد ازاحة الستار ترددت فى البرلمان رغبـــة فى مكافاة

« مختار » على عمله ، وتقدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ بهذا الاقتراح ٠٠ فصرح رئيس الوزراء بأن « الفخار والمجد الذى ناله مختار باقامة تمثاله فى أكبر ميادين العاصمة يفوق كل مكافأة مادية »

روح تتغذى بالصداقات ٠٠ والحب

◆ **كانت** فى حياة مختار ظلال تدل على عمق مشاعره وتكشف عن خلجات نفسه وعن القيم الانسانية الرفيعة التى يزخر بها قلبه ٠ وحين تتجمع هذه الظلال تجدها تأتلف فى الصداقة ، والحب ، والمشاعر التى تمده بها مصاحبة الخالدين ٠٠

ولم يكن مختار من هذه الطائفة التى تثقلها أوضاع المجتمع وقيوده ، وانما هو روح متحررة محلقة فى أجواء الفن العريضة، ينشد المحبة ويصغى دائما الى صوت قلبه ٠ ولم يكن يقيم بينه وبين أصدقائه حواجز أو فروقا البتة ، فأحزانهم أحزانه وأمانيهم أمانيه ! وقد حفلت حياته بصداقة فاتنات كثيرات من النساء : فمن الفاتنة الامريكية (فيراكوبر) الى راقصة الباليه الروسية (أنا بافلوفا) الى غيرهما ٠٠ !

وكان اذا ارتحل الى باريس يجد الى جانبه (موريه) العجوز ، فيتذاكران معا مراحل حياتهما منذ التقيا لاول مرة فى شارع (فوجيرار) حيث كان (موريه) يعمل مع النحات (اسكولا) ٠ وكانت مثل هذه الصداقات تجعله يحس بأن الحياة جديرة بأن تحب !

والى جانب هذه الصداقات كان يقوم فى حياته ظل دائم من الحب يمده به قلب « مارسيل » الكبير، وقد هام بها منذ التقيا عندما كان يعمل على اقامة « تمثال النهضة » ، فملأت عليه حياته ووقفت الى جانبه فى أيامه الحالكة ، وشاركته أفراحه وأحزانه ٠٠ وقد تبادل واياها خطابات دلت على أن مختارا لم يكن نابغة كمثال فحسب ، بل كان أديبا مرهف الحس ، وشاعرا متدفق الشاعرية رقيق التعبيرات ٠٠!

وتظل موجات المد والجزر تتقاذف مشاعره : فيأس يعقبه رجاء ، ورجاء يعقبه يأس !٠٠ وبسمات ودموع ٠٠ وسماء صافية وغيوم ٠٠ وعواصف ورعود !٠٠ وقد تخلو حياته من الرياح والعواصف أحيانا ، ولكن الضباب يكتنفه فتفتر حماسته وتنكمش نفسه فى وحدتها ، كما قال مرة : « انى أعيش كذئب عجوز : أدخن ، وأحلم ، وأعمل ، وأستدفىء ٠٠ وأنسى حياتى ! »

الامتحان الاعظم !

◆ **وبعد** أن أقام مختار الاساس لمجده وأدى دوره كرائد لحركة جديدة فى بلاده ، كان لا بد له أن ينصرف لتدعيم فنه ٠ فهو الآن فى الثامنة والثلاثين من عمره ، أى فى السن التى كان فيها الشوامخ من العباقرة يمضون نحو ارتقاء القمة ! وكانت فورة الشباب قد هدأت فى كيانه وبدأ يستقبل مرحلة من الاكتمال والنضوج ٠ وفى استطاعته الآن أن يعرض آثاره فى الساحة العالمية التى تصدر منها الاحكام الفنية ـ باريس ! ـ وهى خطوة جريئة خطيرة فى حياة أى فنان : فهو اما دخل الساحة مكرما فارتفع اسمه وعلا صيته وسما فنه ٠٠ واما أهمل وتوارى الى غير رجعة اذا ما صدر حكم باريس ضده ، فهوى باسمه !٠٠

ولكن « مختار » يريد أن يجتاز هذه المرحلة ظافرا ٠٠ وعليه ففى أحد أيام شهر مارس سنة ١٩٣٠ كان أربعون تمثالا من أعمال مختار تتألق فى قاعة « برنهيم الصغير » فى « سانت أونوريه » ، وحولها حشد من رجال الفن والادب والسياسة والمجتمع فى العاصمة الفرنسية ٠٠!

وفى أركان القاعة وقف « النقاد » ! وكان يوما من أخطر الايام التى مرت فى حياة مختار ٠٠ انتهى بانتصاره انتصارا عالميا عظيما ، توج باقتناء الحكومة الفرنسية لتمثاله « عروس النيل » ـ الذى ترى صورتين له فى هذا العدد من « كتابى » ـ بغية

عرضه فى أحد متاحفهـــا بقصر « التويليرى » ، حيث تمثل كل المذاهب الفنية ·· فكان هذا الوسام الرسمى الرفيـــع بمثابة اعتراف « عالمى » بميلاد الفن المصرى الحديث ·· !

يهجر المجد فى الغربة ، ليخلد كفاح سعد !

◆ **على** انه ان كانت تماثيل مختار التى عرضها فى باريس قد أهلته للارتقاء نحو القمة ، الا أنها ستبقى دائما فى محيطهـــا الخاص ، أى فى المعارض وفى بيوت الهواة وقاعات المتاحف ! ·· بينما مختار يريد الآن أن يخاطب الجماهير ــ فان للميدان العام زهوه ومجده وبريقه الخاص ! ــ وعليه فقد بهرته فكرة العودة الى هذا الميدان ، فسعى الى تنفيذها ·· وغادر باريس بالفعل تاركا كل هذا التقدير والمجد ، ليقيم فى مصر « تمثال سعد » !!

وكانت البوادر طيبة ، فان كفاحه من أجل استقلال الفنان ورفعة شأنه ودفاعه عن كرامته عند اقامة « تمثال نهضة مصر » ، قد أحدث أثرا ·· وها هى ذى الحكومة تترك له الحرية الكاملة فى العمل ، وتتعاقد معه على أن يتولى كل ما يتصل بالتمثالين المزمع اقامتهما فى القـــاهرة والاسكندرية · واذن فسيمضى فى عمله دون أن يضطر الى مناضلة رجال وزارة الاشغال كما حدث فى تمثال نهضة مصر ، ولن يحتاج الى ارتداء جلد الدب الثـــائر ليصدهم عنه ويمنعهم من التدخل في شؤونه ·· ومضى يعمـــل

مختار يعمـــل فى تمثال «جنوب الوادى » بقاعدة تمثـــال سعد بالاسكندرية

٠٠ انه الآن يقف ازاء سعد، لا يعنيه منه شخصه وطباعه ومشاعره وعاداته ، وانما يعنيه أن يقيمه رمزا لكفاح الامة وطموحها ، رمزا لتجمع مصر حوله فى مرحلة حاسمة من تاريخها ٠ وقد حرص مختار على أن يسجل هذه المرحلة من التاريخ فيسجل بها معنى سعد ٠ وهكذا جعل تمثال الاسكندرية رمزا لتحطيم القيود ، وأقام تمثال القاهرة يطل على النيل وقد لاحت من مطلع الطريق ايماءة يده كأنها اشارة البعث والانتصار !٠٠

ولكن ٠٠ لكن يد الطغيان امتدت الى عمل مختار فى التمثالين عندما كانت تتعاقب على مصر حكومات ديكتاتورية تناوىء مذهب سعد ٠٠ وبدأت حلقة المضايقات التى انتهت بالغاء العقد المبرم بينه وبين الحكومة ومنع نقل أحجار الجرانيت من محاجرها فى أسوان لاتمام هذا العمل الوطنى الكبير !

ولكن مختارا لا يحتمل غضبة السلطان ولا يطيقها ، فيرتحل عن مصر الى باريس ٠٠ ولعله كان يتوقع هذه الحوادث حين كتب قبيل ذلك لصديق يقول : « لم يبق الآن غير القليل ، واذا لم أنف من مصر قسرا بتحريض أو فتنة فسأنفى نفسى بنفسى لانى لا أحب الحياة الا فى ظل حرية الفكر وفى اكتمال ممكناتها »

بداية المرض ٠٠

◆ **وفى** باريس أقبلت من جديد أيام « الجزر » فى حياة مختار ، وبدأ يدهمه الجفاف ٠٠ فظهرت عليه أولى معالم المرض فى سنة ١٩٣٠ ، حين أخذ الاعياء يتسرب الى نفسه وبدأ يحس أوجاعا مضنية تنتابه بين الحين والآخر ٠٠ وهو يطرق أبواب الاطباء ليكشفوا سر هذه الاوجاع ، غير أن شيئا ظاهرا لا يلوح لهم ، فيردون آلامه الى كثرة المجهود وشدة المقاومة ، وينصحون له بالراحة والهدوء ٠٠

وهكذا ينقضى العام بين النور والظلام ، ويستقبل مختار العام الثانى وقد استحال هشيما من وطأة المرض ، فيهجر فرنسا الى

مصر فى الشتاء يلتمس فى دفئها الشفاء لجسده المكدود .. حتى يسترد شيئا من صحته فينطلق مرة أخرى الى باريس وقد ثابت نفسه الى ظل من الطمأنينة ..

وهناك حاول الفنان أن يتم بعضا من أعماله التى بدأها ، ولكن ذراعه قد أثقلها المرض ! وفى يوليو سنة ١٩٣٣ أجريت له جراحة أضنته ، وبرغم ذلك فقد انتشرت بعدها سموم الداء فى جسده فقضى بين شدة المرض وفزع الموت ليـالى حالكة السواد . وبدأ المستشفى يحتل فى حيـاته مكان المتحف ، واستبدل عيادات الاطباء والصيدليات بالمعارض والمكاتب ودور الفنون ..!

الرحلة الاخيرة !

وهكذا عاش تلك الفترة التعسة من حياة الانسان ، التى تجبره فيها نذر الفناء على التخلص من كل مسئولياته ، وهجر كل آماله ورغباته ومعاركه ، ليعبىء كل قواه لكفاح الموت ..

ولم يجد الاطباء سبيلا لشفائه .. فنصحوا له بالعودة الى وطنه ، عله يجد فى تربته الشفاء . فاستجاب لنصيحتهم وأعد نفسه للرحيل ، بعد أن ودع أصدقاءه وألقى نظرة عميقة حزينة على « مرسمه » ، وتطلع برثاء وألم الى « ملكة سبأ » - تمثاله الذى لم يكتمل ! - ثم نظر الى صديقه العجوز « لويس موريه » وقال له : « ان هذه الآثار أمانة عندك فهى ملك الفن الذى وهبته حياتى ، فارعها واحفظها لذكراى اذا بطش القدر بى ولم أعد ..»

وكانت رحلة الباخرة التى تقله فى هذه المرة الى أرض الوطن أتعس رحلات حياته . ففى كل مرة كانت العودة الى مصر تقترن بآمال ومهام وذكريات . ولكنه فى هذه المرة يعود مثقلا بآلام المرض ، فلا آمال ولا مهام .. ولكن هناك ذكريات !!

ولما رست الباخرة فى الظلام لمح على ضوء المصابيح الباهتة صديقيه محمود سعيد وجان نيكولاييدس ، فأقبل عليهما متدثرا

بعباءة الفنانين كبطل قديم أثخنته معركة بالجراح ، وراح يروى لهما قصة كفاحه مع المرض والموت ٠٠ ثم يحاول أن ينسى فيلوذ بأذيال الذكريات !

وفى الصباح مضى به القطار الى القاهرة ، وعلى الرغم من سوء الحال ونفاد المال من يده فانه لم يفقد كبرياءه ٠٠ وهو يستقر كعادته فى فندق « الكونتيننتال » ، ولكن وطأة المرض تحجبه فى غرفته فيقبع فيها وحيدا ٠٠ وحين يقبل الليل تمر به ذكريات من الليالى الساحرة التى قضاها فى القاهرة : الساعات الزاخرة المفعمة التى قضاها مع حافظ ابراهيـم ورفاقه فى « الكافيه ريش » ، والاحتفالات المرحة التى كان يقيمها فى « بار اللواء » ، والساعات التي كان يقضيها فى ندوة « دار السياسة » مع جماعة من الاصدقاء ، وما كانت تزخر به من أحاديث عن الفن والادب ومستقبل مصر ٠٠ والاجتماعات التى كانت تتأرج بفتنة الشعر وعبير الزهور فى دار « جماعة الخيال » ٠٠

أين ذهب ذلك كله ؟ ٠٠ لقد ضاع وتبدد ، ولم يبق من هذه الامكنة غير أشباح باردة : « الكافيه ريش » ذهب عنها روادها وتغير منها كل شيء الا لافتة تحمل اسمها ٠٠ و « بار اللواء » يقضى أيام شيخوخته فى أضواء خافتة ، و « دار السياسة » قد أغلقت وتفرق روادها ٠٠ ومبنى « جماعـة الخيال » يحتضر وتقترب منه معاول الهدم ٠٠ وقد ترتعش نفس مختار من برودة هذه الاشباح ، فلا يرده عنها غير صوت صديق قادم لزيارته ٠٠

صراع مع الموت

◆ **وبعد** أيام من وصوله استأجر منزلا بمصر الجديدة على مقربة من الصحراء ، التماسا للشمس ٠ ٠ وهناك كان جماعة من الاصدقاء يترددون عليه ويؤنسون وحدته ، فكان يتحدث اليهم عن مشروعات المستقبل : عن تمثال « الاسكندر » الذى يزمع صنعه ليقيمه عند مدخل الاسكندرية ٠٠ وعن معرضه القادم الذى اختار له مكانا مدينة « برلين » ، كى يقدم الفن

المصرى الى الشعب الالمانى ٠٠ وعن تمثالى «عرابى» و«كليوباترة» اللذين يفكر فيهما ٠٠ الخ

على أن شبح الموت كان يعود ليقطع عليه أحلامه ويلوح أمام ناظريه أحيانا بصورة رهيبة ، فكان لا يقوى على تصور العجز والفناء ٠٠

نجم أفل !

وفى ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ كانت القاهرة تستقبل أحد أعيادها وقد التقت فيه بهجة العيد ببهاء الربيع ، والناس يتبادلون أطيب التمنيات ٠٠ بينما كان مختار فى غرفته بالمستشفى الفرنسى يعانى أوجاع المرض ولا يقوى حتى على الابتسام ، وقد تمدد فى جانب ضئيل من السرير وليس ثمة دليل على أنه لم يزل حيا سوى تلك الحشرجة الذبيحة والانفاس الخافتة الباهتة التى تتردد فى صدره ٠٠

كلا ! ليس هذا مختار الذى عاش مفعما بالحياة !٠٠ ليس هذا مختار الذى نحت الجرانيت وتحدى الصعاب ٠٠

وارتسمت على عينيه سحابة قاتمة ٠ وتراخت يده كأنها فى حلم تعد عجينة تمثال ٠٠ وبارحته آخر ومضة من الحياة !!

فى تلك اللحظة كان شفق الغروب الحزين قد هبط على الارض وألقى عليها ظلا من الصمت الرهيب ، قطعته أصوات تنتحب ٠ انها أم مختار تبكى وحيدها ، والى جانبه شقيقتاه تتشبثان بيديه وتتحايلان عليهما بالتدليك لتمداهما ببعض الدفء الذى لم يعد فى حاجة اليه !!

وفى الصباح الباكر كان النبأ قد شاع فى الدوائر الفنية بمصر فتوافد الاصدقاء الى المستشفى يلقون على الصديق الراحل نظرة الوداع ٠٠ وأراد بعضهم أن يحتفظوا ببعض ملامح صديقهم الراحل ، فكلفوا صديقهم وزميلهم « انطون حجار » بصب صورة من الجبس لوجهه ويده : ولكنها لم تكن صورة مختار وملامحه ٠٠ بل كانت صورة الموت وملامحه !

واتخذت التدابير اللازمة لنقل جثمـــانه الى بلدته · فحمل النعش الى ميدان المحطة حيث اجتمع فى ميدان تمثال النهضة خليط من جميع الاجناس والطبقات ، يودعونه الوداع الاخير ··

ومضى الموكب بالنعش الى جانب التمثال ، ولاول مرة لم يقو صانعه على أن يلقى عليه هذه النظرة التى تعود أن يرمقه بها فى عودته الى القاهرة وخروجه منها ··

مضى صامتا ، فى حين تحدثت الذكريات !

وصحبه الاصــدقاء الى مثواه الاخير ، حيث وورى التراب تغمره زهور الربيع ، رمزا لشبابه الذى اغتاله الموت ···

ولم تقم فوق التراب الذى استقر به أية علامة من عــلامات التمجيد والتكريم !·· ولكن الارض الذى صار جزءا منها قد ألفت أن تنبت كل ربيع زهرة لا يلبث أن يعتريها الذبول ·· تقف الى جانبها صبارة مخضرة الاوراق !!

حياة مختـــار فى سطور

١٨٩١ (١٠ مايو) : ولد ببلدة طنبارة ، مركز المحلة الكبرى ·

١٩٠٢ : قدم الى القاهرة ·

١٩٠٨ (مايو) : دخل مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة ·

١٩١١ : سافر الى باريس مبعوثا للالتحاق باكاديمية الفنون الجميلة ·

١٩٢٠ (مايو) : عرض نموذج تمثاله « نهضة مصر » بمعرض الفنانين الفرنسيين ثم عاد الى مصر ·

١٩٢٦ (مايو) : عرض تمثاليه « لقيـــة فى وادى الملوك » و « كاتمة الاسرار » بمعرض الفنانين الفرنسيين ، ولقى نجاحا يعد خطوة هامة فى حياته الفنية ·

١٩٢٨ (٢٠ مايو) : احتفل بازاحة الستار عن تمثال « نهضة مصر »

١٩٣٠ (مارس) : اقام معرضه فى باريس ·

١٩٣٠ (مارس) : تعاقد مع الحكومة على اقامة تمثالى سعد ·

١٩٣٤ (٢٧ مارس) : صعدت روحه الى بارئها ·

أعلام الفن

أوجست رودان

المثّال الذى نظم من الأحجار شعرا !

الفنان الذى خلدته فرنسا !

◆ قرأت فى مقدمة حديثنا عن « مختار » - الفنان الذى نسيته مصر - اشارة الى الفنان الفرنسى « روودان » الذى خلده وطنه ، اعترافا بنبوغه ، وتقديرا له ، واعتزازا بالتراث الفنى الذى خلفه ..

فمن هو « روودان » هذا ؟

وما هى قصته ؟

◆ فى حى من افقر احياء باريس ، رزق فلاح نورمندى ذات يوم من عام ١٨٤٠ ابنا أطلق عليه « اوجست روودان » . وكما كانت أم « مختار » امرأة متدينة ادت فريضة الحج ، كانت أم روودان امرأة متدينـــة ، تاخذ ولدها روودان واخته مارى كل يوم أحد الى كنائس باريس العتيقة ، حيث كان الصبى يمتع عينيه بمشاهدة مافى هندستها وزخرفتها من آيات فنية ..

وفى سن مبكرة أرسل روودان الى مدرسة فى الاقاليم ، حيث أظهر نفورا من العلوم الصرفة ، وميلا الى الرسم والاشغال اليدوية .. وحين عاد الى باريس فتى يافعا ، صار يقضى أكثر وقته متسكعا بين المقاهى والحانات ، مرتديا أغرب أزياء أهل الفن وأدعاها الى اشمئزاز أبيه ، الذى لم يخف احتقاره لنزعة ابنه الفنية ! لكنه ، نزولا على توسلات زوجته ، قبل آخر الامر أن يدخل ابنه « مدرسة الفنون » (التى اسسها فى سنة ١٧٦٥ الفنان « باشلييه » ، بفضل حظوته لدى خليلة الملك ، « مدام دى بومبادور » !)

واذ بلغ الفتى امنيته ، صار ينفق امسياته فى « المكتبة الامبراطورية » ، يبحث ويدرس وينقل نماذج من تحف « ميكيل انجلو » و «رفاييل» .. أو فى متحف اللوفر ، حيث كان ينعم بصحبة « رمبرانت » و «تيسيان» و « روبنز » .. فلما حل موعد اختياره فرعا من فروع الفن العديدة كى يتخصص فيه ، وقف فقره حائلا بينه وبين دراسة الرسم - بحكم غلاء الالوان الزيتية والمواد الاولية

للوحات ! ـ فقنع بدراسة فن النحت ، ومن ثم عكف على نقل نماذج من تماثيل مصر القديمة واليونان وآشور ، الامر الذى لم تكن نفقاته تتجاوز ثمن القلم والورق!

وكان اهله مايزالون يبدون تشككا فى مقدرته الفنية ، بعكس شقيقته «مارى» التى كانت من رجاحة التقدير بحيث آمنت بموهبته من البداية ، وكانت له نعم الصديق والمشجع • لكنها لم تبلغ العشرين حتى آثرت اعتزال الدنيا فى أحد الاديرة ، ثم لم تمض شهور حتى أصيبت « بالتهاب بريتونى» قضى عليها !

وانهار «اوجست» تحت وطأة الفجيعة ، حتى لقد قضى فترة يفكر جديا فى الرهبنة ، لولا أن مرشده الروحى «الأب ايمار » راى فى طبيعته تعلقا بالدنيا يتنافى مع اعتزاله اياها ، فاقنعه بتكريس كل نشاطه لتمجيد الله بازميله واحجاره •• ولم يلبث رودان أن اتخذ لنفسه مرسما صغيرا فى «اسطبل» مجاور لمصنع نسيج ، حيث بدأ يكسب بعض المال من صنع تماثيل نصفية ذات طابع تجارى!

رفيقة العمر !

◆ ثم واتاه التشجيع من مصدر آخر ، فاثناء انهماكه فى اصلاح واجهة مصنع النسيج ، لمحت عينه الفاحصة فتاة جميلة متوردة الخدين فى طريقها الى حائكة ثياب قريبة تعمل عندها • وكانت الفتاة ابنة صاحب مزرعة كروم فى اقليم (شمبانى) ، تدعى « روز بوريه » •• فماكان من المثال الشاب الا أن اعترض سبيلها فى اليوم التالى ، وكان الاعجاب متبادلا ، فالقى رودان بنفسه فى غمرة حبه الاول ـ وهو الذى لم يكن يعرف أنصاف الحلول ـ بنفس العنف والتفاني اللذين كانا طابعه فى فنه !

لكن هذا الحب لم يكد يثمر ثمرته فترزق « روز » بمولود ، حتى استيقظ فى نفس رودان تعلقه بحريته فتمرد على قيود الابوة ومسئولياتها ، وابى ان يعقد زواجه على خليلته او يتكفل بايوائها وطفلهما !•• لكن الموقف لم يلبث ان حل نسبيا حين قبل والد الفنان ان ياوى «روز» فى بيته باعتبارها « زوجة ابنه » !

وحين نشبت الحرب « السبعينية » وحاصر الالمان باريس ، ادى رودان واجبه «كجاويش» فى الحرس الوطنى •• فلما انتهت الحرب عمل زمنا فى بلجيكا ، ثم شد رحاله الى ايطاليا ليشاهد امجادها الفنية ، ثم عبرجبال «الأبنين» سيرا على قدميه (بفضل بنيته القوية العارمة !) وفى فلورنسا والبندقية اولم لمشاعره وليمة دسمة من بدائع فن ميكيل انجلو ودوناتيللو ، حيث وجد لدى الاول من القوة ، ولدى الثانى من الجلال ، ما ساهم فى تكوين مثله العليا الفنية •

◆ وفى سنة ١٨٧٥ قبل «صالون» باريس الفنى تمثاله الذى سماه « العصر البرونزى» ـ ويمثل شابا فى عنفوان قوته وحيويته ـ ثم اتخذ لنفسه مرسما صغيرا فى شارع « دى فورنو » •• وخلال ذلك لم تكف خليلته عن التوسل اليه كى ينقذ مستقبل ابنهما ويصحح الاوضاع بالنسبة لنسبه •• ولكن دون جدوى ، فقد اصر على رفض الزواج ، بل كان يعامل ابنه بقسوة غير معقولة !

وبدا صيت الفنان يذيع شيئا فشيئا ، حتى بلغ مسامع السلطات الرسمية ، واذ ذاك عهدت اليه بنحت باب سراى الفنون الجميلة بباريس ، فصاغه بوحى فكرة « جحيم دانتى » ، وقد تخيل انه الباب المؤدى الى الجحيم ، مصورا فى مشاهده عذاب الاشرار فى جهنم ! وكان نجاحه فيه بمثابة المفتاح الذى فتح له باب المجد ، فانهالت عليه الطلبات والاموال ، وعهدت اليه بلدية (كاليه) بصنع تمثال « نواب كاليه » - وهو التمثال الخالد الذى يقوم اليوم نموذج منه بالقرب من دار مجلس العموم البريطانى فى لندن ! - وعلى اثر ذلك طار صيت الفنان الى انجلترا ، فابتاع احد متاحفها تمثاله « يوحنا المعمدان » ، وكتب الاديب «روبرت لويس ستيفنسون» يصف المثال بقوله : « هذا رجل تعيش تماثيله وتتكلم ، وتنطق باشياء تستحق ان تقال » .. فلما زار رودان لندن بعد ذلك استقبله طلبة احدى مدارس الفن بها بفك لجام عربته واطلاق الخيل منها ثم جر العربة بايديهم فى شوارع العاصمة !

وفى وطنه ، ظفر «النبى» اخيرا بالتكريم الذى يستحقه ، فاهدته الحكومة دارا كبيرة فى ميدان « الما » - وهى الدار التى صارت بعد ذلك متحفا لتماثيله .. ثم ابتاع رودان « فيلا » اخرى فى ضواحى باريس استقبل فيها من العظماء الذين نحت لهم تماثيل نصفية : برناردشو ، وكليمنصو ، وغيرهما ..

يقظة ضمير !

◆ وذات يوم سقط من سلم الدار فلازم فراشه اسابيع ، اتيحت له خلالها فرصة مراجعة ضميره .. فانتهى من ذلك الى اعتزام التكفير عن جحوده لحقوق « روز » عليه ! وهكذا عقد « زواجهما » الشرعى فى احد صالونات الدار الباردة ذات صباح ، بحضور بعض الاقارب والاصدقاء . وقد علق رودان على ذلك بقوله وهو يهز كتفيه : « ان النساء يعرفن دائما كيف يصلن الى اهدافهن فى النهاية ! »

واستطاعت « روز » اخيرا ان ترفع راسها ، فدعت جميع من تعرف من النساء الى زيارتها ، وصارت تتحدث فى فخار عن رسالة «زوجها» الفنية .. لكنها لم تنعم بهذا الهناء طويلا ، فقد ماتت بعد شهور !

ولم يلبث رودان ان لحق بها ، بتاثير اجهاده نفسه فى العمل .. فلفظ انفاسه فى نوفمبر سنة ١٩١٧ . ولعل ابلغ مثل من امثلة تفانيه فى فنه وتحمله المشاق فى سبيله ، انه لكى يصنع تمثالا نصفيا للاديب (بلزاك) لبث يجمع المعلومات عنه اربع سنوات كاملات ، زار خلالها موطن بلزاك ، و « درس » جميع رواياته ، وتحدث الى كل من عرفوه ، واخيرا نحت عدة «مشروعات» للتمثال قبل ان يستقر رايه على المشروع النهائى !

وكان شعاره الدائم فى فنه : « لا تضيع وقتك فى محاولة الابتكار ، وانما حسبك ان تقلد الطبيعة ، فهى التى ينبغى ان تكون المرشد الوحيد لك ! »

إقرأ معى

كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى أعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- **آراء جريئة فى الحياة : للفيلسوف الانجليزى المعاصر ((جود))**
- **آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو**
- **كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى**
- **الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك**

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة الجديدة التى ترجمت الى جميع اللغات - برغم حداثة صدورها - ورفعت مؤلفها الروائى الايطالى المعاصر « البرتو مورافيا» الى مصاف أعظم كتاب القصة القائمة على التحليل النفسى الحديث ، وعلى كشف بواطن الطبيعة البشرية تمهيدا لمعالجة نقائصها وعقدها المتأصلة ..

وفى الاعداد القادمة ازمع ان اقدم لك فى هذا الباب الكتب الشائقة التالية، وغيرها :

كازانوفا : وليم بوليثو
جرائم نسائية : ج. أليز
العظماء الاربعة عشر : فرانسو مورياك .. الخ .. الخ

LUCA
By
ALBERTO
MORAVIA
مراهق!
قصة كبرى للروائى الإيطالى المعاصر
البرتو مورافيا

المؤلف .. المفترى عليه !

◆ « البرتو مورافيا » روائى ايطالى معاصر بالغ اوج المجد ، وترجمت رواياته الى كل لغة .. الا العربية !.. ولعل ذلك راجع الى شهرة اسبغها عليه أولئك الذين قراوا مؤلفاته قراءة سطحية ، دون تعمق أواستيعاب، فخيل اليوم أنه اباحى ، لانه قصر محور العدد الاكبر من قصصه على طور المراهقة ، وماينتاب المرء فيه من أحاسيس، ونزوات ، ومن أحلام واوهام.. وكان صريحا فى تحليلاته ، ولكنها صراحة الطبيب العالم حين يحاضر تلاميذه فى تركيب الاجهزة الجنسية فى الجسم الانسانى .. فهو لايستغل تحليله النفسى الرائع للمراهقة والجنس كى يثير العواطف الرخيصة لدى قرائه ، وانما هو يستخدمها لارشادهم وهدايتهم ..

والرواية التى نلخصها عنه لقراء العربية اليوم ـ وهى أول ماينقل عنه الى لغتنا ـ درس للآباء والامهات ، كى يدركوا أن اتفه كلمة وابسط عمل ياتونه دون وعى أو قصد ، قد يخلق رواسب تتحول الى عقد وازمات فى نفوس أولادهم !.. كما انها بمثابة ضوء يلقيه المؤلف على نفسية المراهق ، فيكشف خباياها لوالديه كى يتعاونا على مواجهتها بالتفهم السليم والعلاج الصائب .. ثم ان القصة من ناحية اخرى درس للابناء انفسهم ، يبصرهم بحقيقة ما يساورهم من مشاعر فى مرحلة المراهقة .. واذا ادركنا ان من علماء النفس من يعتقد ان علاج العقد النفسية لايتاتى الا عن طريق شرحها وتحليلها وتبسيطها للمرضى ، استطعنا ان نقول ان هذه الرواية أيضا علاج .. علاج للآباء والابناء معا !

- ١ -

◆ عاد « لوكا » الى المدينة من المصيف وهو متوعك المزاج ، وسرعان ما سقط مريضا ٠٠ وكان طوله قد ازداد فى الفترة الاخيرة بسرعة غير عادية ، حتى غدا فى طول الرجل الناضج وهو لما يتجاوز الخامسة عشرة ٠٠ غير انه ظل نحيلا ، ضامر الوجه ، شاحبه ٠٠ ولو انه كان يعى دقة حالته الصحية وما تستتبع من أخطار ، لسأل أبويه أن يعفياه من الدراسة ، ولكنه لم يستطع أن يتعرف العلاقة بين ضعفه البدني وبين نفوره من دروسه ، ففى هذه السن تستيقظ الحساسية بينما يظل الوعى نائما !٠٠ وقد اعتاد أن يذهب الى المدرسة ، لذلك لم ير داعيا لان يكف عن الذهاب ، وكانت الدروس تبدو له متراكمة كجبل أملس السفح فلا موطىء يستطيع أن يثبت فيه قدمه ليتمكن من تسلقه ٠٠ وبدا له أن العزيمة لم تكن تنقصه ، وانما الذى كان يعوزه هو القوة البدنية ، اذ كان يحس أحيانا بجسده يتداعى كجواد منهك حمله راكبه من الارهاق ما لا قبل له به ٠٠

وكان يدهشه أن ذلك الجسد الذى أوتيه كان يثور عليه أحيانا ، لاسباب تافهة ، لا لامور جسام ٠٠ وكانت تتولاه نوبات من الغيظ يحس خلالها أن الجسد المرهق يحرق ما تبقى فيه من قوة ، فى لهيب من الكراهية والتمرد ٠٠ وكثيرا ما تأتى هذه النوبات عن استعصاء أشياء بسيطة عليه ، فيحس أن لا سبيل له الى استعمالها الا بجهد أو عناء ٠٠ كما لو انعقد رباط حذائه فتعذر عليه أن يفكه ٠٠ أو انقلبت المحبرة على كراسة «الواجبات» فاضطر الى أن يعيد نقل الصفحة التى غمرها المداد !٠٠ وقد يصر على أسنانه غيظا ، أو يلقى بالمحبرة الى الارض ، أو ينفجر فى بكاء يخيل اليه انه يفضفض به عن أسى عظيم، متغلغل، عميق!٠٠ وهكذا كان يحس أن الدنيا تعاديه، وأنه يعادى الدنيا،

وكان يشعر أنه يعلن على كل ما يحيط به حربا شعواء تحطم الاعصاب ٠٠ !

وكان غيظه من هذه الاشياء التى لا حول لها ولا حياة ، وعجزه عن أن يحبها ويسيطر عليها ، قد بلغا أشدهما فى هذا الصيف وهو فى المصيف ٠٠ وزاد الامر سوءا انه بدأ يشعر بأن عطف أمه وحنانها لم يعودا يسريان عنه همه فى الحال ، كما كان عهده بهما ٠٠ وانما فقدا سحرهما وتأثيرهما القديم !٠٠ بل لقد تبين أخيرا أن والديه لا يحبانه أو يراعيان شعوره كما كانا قبلا ٠٠ من قبيل ذلك ما حدث له وهو عائد بالقطار من المصيف : كانت أمه قد أوحت اليه بأنهم سيتناولون غداءهم فى عربة الاكل الملحقة بالقطار ٠٠ وأطربه ذلك، فما سبق له أن ولج عربة للاكل ٠٠ ولكن عندما مر خادم عربة الاكل فى القطار ، تشاغل عنه والد « لوكا » ٠٠ حتى اذا ابتعد الخادم قال الاب : « لا بأس ٠٠ نستطيع أن نبتاع من المحطة التالية سلالا من تلك التي تضم كل منها وجبة للغذاء » ٠٠ وأحس « لوكا » بغضب محتدم يتقد فى أعماقه ، فقد آلمه أن أحدا من والديه لم يعن بتعرف رأيه ، كأنه ليس انسانا له آراء وذوق ورغبات !٠٠ وشعر فى الوقت ذاته باستياء شديد ، اذ كانت فكرة الغداء فى عربة الاكل قد أبهجته ٠٠ والى جانب هذين الاحساسين ، تولاه ذلك الغيظ الذى اعتاد أن يجتاحه اذا ما شعر بالاشياء أو بالناس تقاوم ارادته ٠٠ وخيل اليه أن هذا الغيظ ينبعث من أعماق سحيقة فى نفسه ، فينفخ نارا تكويه وتهز كيانه ٠ وامتقع وجهه ، وصر على أسنانه ، وأغمض عينيه ٠٠ وكأنما شل جسده لفرط الثورة !٠٠ ثم فتح عينيه وتأمل وجهى أبويه، فبدت له صرامة أمه وقوة سلطانها، وطيبة أبيه وشفقته ، كما لو كانت خلالا تنطوى على عداء له !

ووجد نفسه ينهض الى دورة المياه ، فيتأمل وجهه وقد قربه من المرآة ، ويفتح فاه عن آخره كما لو كان يصرخ من أعماق

نفسه دون صوت !٠٠ وظل كذلك برهة وهو يتخيل انه يصرخ بصوت يعلو على ضجيج القطار ٠٠ ثم عاد الى مجلسه

ولم يجد بنفسه رغبة للطعام حين قدم اليه ، ولكنه تناوله كارها ٠٠ حتى اذا فرغ منه ، خيل اليه انه وقف فى حلقه فلم يقو على الانزلاق الى جوفه ! وظل غضبه قائما ، وان بدا أقل من ذى قبل ايلاما ، كأنما فقد جسده الحس ، واختل فكره ٠٠ وشرد وعيه ٠٠ لكم هو حانق على كل الموجودات ، حانق على القطار الذى حمله الى المدينــــة ، ليذهب الى المدرسة ويلتقى بالدروس ٠٠ حانق على أبويه الذين عدلا عن أن يتيحا له الغداء فى عربة الاكل ، دون أن يسألاه رأيه ، أو يتعرفا رغبته !

✽

◆ **وما أن** استقر فى البيت الذى طالما شهد ثوراته تذوب فى جو الملل والسأم ، حتى اتخذ غيظه شكلا آخر جديدا عليه٠٠ وكأنه فطن الى خطل العنف فتحول فجأة الى رغبة فى الاستسلام والاستخذاء ، ولم يعد جسده يتوتر فى فوراته الساخطة ، وانما غدا يتراخى ٠٠ وكثيرا ما كان يستغرق فى النوم على المنضدة التى أعدت فى غرفته للاستذكار ، لغير ما داع يبرر حاجته الى النوم٠٠ وكان حين يستسلم لمثل هذه النوبات الطارئة يستشعر نوعا من الرضى الحاقد ــ رضاء الناقم اذ يثأر لنفسه ــ ويدرك أن هذا الشعور ينطوى على ناحية هدامة ، ويكشف عن عدائه للدنيا ٠ وما نومه الا لون من الاستسلام يركن اليه لعجزه عن المضى فى هذا العداء ٠٠

ولقد حاول فى البداية أن يغالب نوبات النوم هذه ، أو أن يحكى أمرها لوالديه ــ كعادته كلما ظن أنه مريض ــ ولكنه فى هذه المرة أحس بأن حاله هذه ليست وليدة ضعف ، وانما هى مظهر لغرض ، اذ أنه تخلى عن زهوه بأنه طالب علم ، ولم يعد يعبأ بالدراسة التى أسقمته ، فوجد فى النوم والتكاسل وسيلة

لاهمالهما ٠٠ بل وأخذ يشجع نفسه على الاسترسال فيهما، ليقنعها بأنه يصدر فى كسله عن رغبة حرة ، لا تحت ضغط مرض أو سبب فوق قدرته ٠٠ ولما كان من غير المستطاع أن يمضى فى النوم الى ما لا نهـــاية ، لذلك راح يبحث عن منفث آخر لتمرده على الدروس ٠ وهداه التفكير، واللذة الناقمة التى كان يستشعرها فى التمرد ، الى ما أسماه بلغته الخاصة : « التدرب على تشتيت الفكر » ، فكان يقرأ عبارات دروسه أو يكتبهـــا فى تواتر آلى رتيب ، وقد صرف ذهنه عنها تماما ، فلا تلبث أن تغدو حفنة من حروف جوفاء ، خاوية ، لا معنى لها ٠٠ كأنها كلمات ميتة ، صيغت بلغة مجهولة !٠٠ وكان هذا الشرود يفضى به عادة الى النوم ، فيقبل عليه مغتبطا بأنه لن يكون ملما بدروســــه فى المدرسة فى الغد !

أما فى المدرسة ، فكانت مهمته أبسط وأسهل ٠٠ كان يكفيه أن يجلس فى مقعده ، وأن يسدل على عينيه وأذنيه غشاوة من الانصراف ، فيبدو له شرح المدرس ككلمات غريبة وتعـــاويذ غامضة ، أو كحديث الاحياء فى أذنى ميت !٠٠ ولقد كان فيما مضى يحرص على قدر نفسه ، ويتقدم زملاءه دائما ، ولكنه غدا منذ بداية العام الدراسى الجديد من أسوأ الطلبة ٠٠ وكانت التقارير السيئة التى انهالت عنه تبعث فيه نوعا غريبا من اللذة والرضى ٠٠ وان لم يكن يتمالك أن يشعر بمرارة ممضة وهو يرى أحواله فى المدرسة تتدهور يوما بعـــد يوم ٠٠ وكثيرا ما اعترف لنفسه بأنه لا يجد محفزا أو واعزا يحضه على ذلك ، اللهم الا تبريرا سلبيا ٠٠

وكان يسأل نفسه محيرا : « لماذا أفعل كل هذا ؟ » ٠٠ ولا يجد جوابا ٠٠ والايام تمضى سراعا

❊

◆ **وواتاه** الجواب يوما ٠٠ صدفة ، عن طريق حادث تافه ! فلقد قدر له وزملاؤه فى الفصل أن ينصرفوا من المدرسة مُبكرين

ذات يوم لمرض أحد المدرسين ، فدعاه اخوانه ليشاركهم لعبة كرة القدم ٠٠ وود لو يقبل ، فقد رأى فى العرض فرصة ليبين مهارته الرياضية ، ولكن شعورا غريبا من الصد تحكم فى لسانه فجعله ينطق رفضا ! ولم يضيع حامل الكرة وقتا ، بل تحول الى زميل آخر لم يتردد فى قبول العرض ٠ وانطلق الاولاد فرحين الى البقعة التى اختاروها ميدانا للعب ، وهم ينقلون الكرة بينهم ٠٠ بينما وقف « لوكا » يرقبهم وقد بدأ يفيض فى أعماقه احساس من الرضى أجهد نفسه حتى تذكر انه من نوع ذاك الرضى الذى يداخله اذ يتبين انه يهدم حياته الدراسية ٠٠ وخيل اليه والاولاد يبتعدون ، ان مرحلة الصبا قد ولت عنه الى غير رجعة ، وان اقرانه سينبذونه من ألعابهم بعد اليوم ٠٠

وشغل فى الايام التالية بالمقارنة بين الشعور الذى خامره اذ رفض اللعب ، وذاك الذى داخله وهو يهمل دروسه ٠٠ كان يظن أن كراهيته اقتصرت على الدروس ، ولكنه غدا بعد هذا الحادث يوقن من أنه كره كل الاشياء! ولكن أى الاشياء ، ولماذا ؟ وهيأ له منطقه أن الدنيا ــ ممثلة فى والديه وأساتذته وزملائه ــ تريده على أن يكون ابنا صالحا ، وتلميذا صالحا ، وزميلا صالحا ، ولكنه لا يكن للدنيا ، ولا للادوار التى تريد أن تفرضها عليه ، أى حب ٠٠ فمن واجبه اذن أن يعصى ويتمرد !٠٠ لا فى عنف ، وانما فى انصراف هادىء ، وتشاغل ، كأنه يطبق القواعد التقليدية فى لعبة مألوفة !٠٠ وطابت له من ذلك اليوم كلمة « العصيان » ، ومشتقاتها ومرادفاتها ٠٠ وبعد أن كان العصيان لا يتجاوز نطاق الدراسة المحدود ، أصبح ــ منذ ذاك الحادث ــ يستمرىء التمادى فيه حتى يتعدى ذلك النطاق ، الى كل نطاق ٠٠ ولذ له أن يرى فى ذلك لعبة مسلية ٠٠ لعبة وعرة ، هدامة ، ولكنها مع ذلك جديدة تنطوى على متعة التجربة ٠٠ فهو فى كل لحظة يكتشف أن الحياة تتطلب منه أعمالا معينة ، وأن الموت

وراء اتيان ضدها ، ومع ذلك فهو يختار دائما الضد ! وكان هذا كفيلا بأن يروعه، اذا هو فطن الى أنه ضرب من الانتحار ٠٠ ولكنه على العكس لاح له أمرا ممتعا وهو يستخفى تحت ستار اللعب والتجربة !

❖

◆ **وكان** فى البداية يكن لوالديه لونا من التقديس ، ويرى فيهما نوعا من الكمال الذى يتطلب الحب دون جدال أو مراء ٠٠ وكان عطفهما عليه ، وسخاؤهما فى منحه ، وحرصهما على أن يوفرا له ألوان الرفاهية ، مما يضاعف من تقديسه اياهما ٠٠ كانا كالشمس الساطعة ، لا تستطيع أن تحدق فيها ، ولا أن تتبين دقائق شكلها أو حدودها ٠٠ ولكن هذه الشمس لم تلبث أن أصابتها عتمة ، فاستطاع أن يتطلع اليها ٠٠ واذا بوالديه يهويان فى نظره ، لانه استطاع أن يراهما كما هما ٠٠ فقد حدث أن تسلل الى مخدعهما ذات مساء ، فاذا بهما يحملان كومة من الاوراق المالية ـ وقد تجلت على أساريرهما معالم الجشع ـ الى حيث يدسانه فى خزانة كانا يخفيان بابها فى الجدار خلف صورة للعذراء ٠٠ وبهت !٠٠ فلقد طالما دعته أمه فى طفولته الى أن يركع أمام هذه الصورة ، وأن يضم يديه الى صدره ، ويتلو الصلوات التى كانت تلقنه اياها ٠٠ فلما كشف سر الخزانة المخفاة وراء الصورة ، ثارت نفسه تقززا : اذن فقد كان والداه يسوقانه الى الصلاة بين يدى مالهما ؟ وهكذا أخذا يهبطان فى عينيه الى مرتبة الاشياء ٠٠ والاشياء التى يشعر انها تكرهه ، وانه لا يحبها !

ومن ذلك اليوم ، فقدت النقود قيمتها وقدرها فى عينيه ، وانتابه ميل الى بعثرتها والتفريط فيها ، فقد أحس نحوها بكراهية مقيتة ، وحقد مرير ، كحقد المرء على طاغية اعتزم أن يتمرد على سلطانه ٠٠ وكان شعوره هذا يتزايد كلما تذكر حرص

والديه على المال ، وكيف انه قضى دهرا وهو يصلى أمام صورة أخفت الخزانة التى كان أبواه يجمعان فيها أكداس النقود !

ثم تطور به العصيان الى مرحلة أخطر ، راح يوغل فيها بطريق غير مباشر ، ودون أن يدرى ٠٠ فلقد شرع يراقب شهوته الى الطعام ويحاول أن يحد منها ، كما حد من رغبتـــه فى التفوق على زملائه فى الدراسة ! وهكذا مضى يقلل من المستوى الذى كان يكفيه قوتا ٠٠ بحيث صار ينهض عن المائدة جائعا ، ولكن الشعور بالجوع كان لا يلبث أن يتلاشى ٠٠ فاذا عاد اليه ، سعى الى قمعه بالنوم ٠٠ ولاح له أن لكل من الحياة والموت قواعد خاصة : فاذا كانت الحياة تستدعى التحمس للدروس ، وحب الوالدين ، وادخار المال ، والتعلق بالاشياء ، والاقبال على الاكل ٠٠ فان الموت يســتلزم عدم الاكل ، والتخلص من كل ألوان العاطفة نحو الاشياء والناس ، ثم ٠٠ النوم !

ولم يبد على والديه فى البداية انهما لاحظا التطور ٠٠ ولكن أمه لم تلبث أن لاحظته يوما ، فقالت له فى لوم جاد : « لم لا تأكل ؟٠٠ انك فى هذه السن تحتاج الى التغذية ، وخليق بك أن تحمل نفسك على الاكل ولو لم تستشعر جوعا ٠٠ والا ، فكيف تقوى على الدراسة ؟ » ٠٠ وابتسم فى نفسه ساخرا ، وقد سره أن والديه كانا أبعد من أن يظنا به الانصراف عن الاكل طواعية وعمدا !٠٠ واستمرأ شعوره بأن العزوف عن الاكل هو أخطر ألوان العصيان ، وأهمها أثرا فى تقويض السلطان المفروض على المرء ! أو لم يأخذ والداه على عاتقهما منذ مولده ان يغذياه ، فأرضعته امه فى حداثته ، وكان ابوه يخرج فى كل صباح ـ كما كان يخرج الانسان البدائى مسلحا بقوسه وسهمه ـ سعيا وراء القوت من اجله ؟٠٠ ومن ثم فقد احس بانه بلغ اوج العصيان حين أصبح يقل فى الاكل ، وأن لعبته دخلت فى أخطر أطوارها ٠٠ كان يريد ان يستل من جسمه كل قوة ، وان لم يكن الموت قد بدا له حتى ذاك الوقت هدفا محددا ٠٠

وأحضر له أبوه يوما فطيرة من نوع اعتاذ أن يحبه ، ولكنه أبى أن يمسها !٠٠ وقال الاب فى اغراء : « تناول قطعة منها ٠٠ قطعة صغيرة لترضى أباك ٠٠ » ثم التفت الى زوجتـــه قائلا : « أتذكرين كيف كنت تفعلين وهو صغير ٠٠ كان يكفى أن تناشديه أن يأكل « من أجل خاطر بابا » فيقبل على الاكل فورا ٠٠ لقد ابتعت هذه الفطيرة من أجله خصيصا ! »

لكنه أصر على الرفض في عناد ، وان أحس فى دخيلته بأسف وتأثر ٠٠ وغاظه انه ما زال مرتبطا بعاطفة البنوة ، فازداد عزمه من ذلك اليوم على أن يخمد البقية الباقية منها فى نفسه ٠٠

- ٢ -

◆ **وصادف** أن مرضت خالة له فى تلك الاثناء ، فرؤى أن ينتقل أطفالها الثلاثة ومربيتهم الى دار أم « لوكا » ٠٠ وكانت المربية امرأة فى الخامسة والثلاثين، لم توفق فى زواجها فعاشت كأرملة ٠٠ لم تؤت رشاقة ولا جمالا يستلفتان الانظار ، ولكن الطبيعة عوضتها عنهما حيوية ونشاطا ، ومرحا وخفة روح ٠٠ فكانت اذا لاعبت الاطفال اندمجت فى جوهم حتى تلوح كأنها منهم ، تلعب لعبهم ، وتهبط بعقليتها الى مستواهم ، فتغضب للتوافه كما يغضبون ، وتضحك فتسرف فى الضحك كما يفعلون، وتصرخ وتثير من الضجيج ما يثيرون ٠٠

وكانت المربية تلاعب أطفالها فى قاعة الجلوس المجاورة لغرفة « لوكا » ، فكانت جلبتهم تتناهى الى أذنيه كلما آوى الى غرفته بعد الظهر ٠٠ وكانت المربية تفتح عليه الباب فى بعض الاحيان فتطل برأسها تسأله ان كانت الجلبة تعكر عليه صفو الاستذكار، ولكنه اعتاد أن يجيبها بالنفى دون أن ينظر اليها ، فقد وجد فى الجلبة مساعدا على صرفه عن الدروس !

وأحب « لوكا » فى المربية انها كانت بسيطة ، رقيقة ، مرحة، على العكس من أمه التى كانت تؤمن بسياسة الشدة والصرامة

فى التربية ·· وفيما كان يرقبها وهى تحبو ـ أثناء لعبها مع الاطفال ذات يوم ـ ألفى عينيه تتجهان على الرغم منه الى فتحة الطوق فى ثوبها وقد تكشفت عن نحرها وأعلا ثدييها اللذين تدليا فى صدرها متأرجحين ·· ومع انه أنكر على نفسه أن ينظر ، الا أنه لم يقو على تحويل بصره ·· وفجأة ، فطنت المربية الى نظرته ، فارتفعت يدها كأنما تهم أن تغطى نحرها ، ولكنها توقفت فجأة ، ثم اتجهت الى شعرها تسويه ، واستأنفت حبوها صائحة ، ضاحكة ، متعمدة أن تهز ردفيها فى خلاعة لم تخف على « لوكا » ، بل انها بعثت فى نفسه شعورا من القلق الغامض ··!

ولاحظ على نفسه انه أخذ يكثر فى الايام التالية من مغادرة غرفته والوقوف فى باب الغرفة المجاورة·· وحاول أن يبحث عن علة تبرر هذا التطور ، ولكنه لم يكن قد تعود أن يكذب على نفسه ، فأخذ يحاول أن يسيطر على هوايته الجديدة فيقضى عليها فى مهدها ·· وعمد الى تكشف مواطن الدمامة والقبح فى المرأة لينفرنفسه منها·· ولكنه ألفى الرابطة العجيبة تقوى وتستفحل، على العكس مما كان يرجو !·· وتبين لدهشته ان عيوب جسمها هى التى كانت تجذبه اليها ، وانه على الرغم من المرارة التى استطاع أن يوحى بها لنفسه ازاءها ، لينفر منها ، غدا يشتهيها ويتمناها بدرجة بدت له أقوى من اشتهائه الموت وتمنيه ··!

وكأنما لاحظت المرأة أمره ، فاتخذت مسلكا ايجابيا ازاءه · تعودت أن تقتحم حجرته والاطفال خلفها كأنها فى لعبها تنشد الفرار من مطاردتهم ! ثم تلقى بنفسها على فراشه ، وتروح تصدهم عنها فى هرج مرح ، وفى غير تحرز !·· وما لبثت أن ابتكرت لعبة تقتضى أن يغيب أحد المشتركين فيها عن المكان الذى يضم الباقين فترة ، فكانت اذا جاء دورها تلجأ الى غرفته، فتقف خلفه ثم تنحنى لتتأمل الكتاب المفتوح أمامه على مكتبه ··

فاذا التفت ألفى وجهها يكاد يلاصق وجهه ، وعينيها الواسعتين تطلان عليه فى ابتسام وتمعن ..!

وذات يوم ، استلقى عند الغروب على فراشه ، وماكاد النعاس يتملكه حتى شعر بأجساد تهوى فوقه ، واذا المربية وأطفالها يتصارعون فى ضجيج مرح .. وحاول أن يطرحهم عنه ، فاذا هو يندمج فى صراعهم .. ولاحظ أن يديه تمتدان على الرغم منه تتحسسان فى حركة غريزية جسد المرأة ، وقد بدا له أنها بدلا من أن تخلص نفسها ، كانت تطيل هرجها مع الاطفال فوق فراشه .. حتى اذا تخلصت منهم فى النهاية ، اقترحت لعبة من ألعاب الاستخفاء ، تطفأ فيها الانوار ، ثم يختار أحد اللاعبين ليتولى البحث عن الباقين الذين يبادرون الى الاختفاء فى الظلام ، فاذا ما اكتشف أى واحد منهم وناداه باسمه الصحيح ، انتهت اللعبة وأضيئت الانوار !

ودعت المربية لوكا الى مشاركتهم اللعبة .. وجاء من حظه أن يكون هوالباحث فى الظلام عن الباقين، فوقف فى حجرة الجلوس بينما أطفأت المربية نورها ثم خرجت مع الاطفال .. وسمع لوكا وقع أقدام ، وأصوات أبواب تفتح وأخرى تغلق ، وضحكات مكتومة ، وهمسات ، وارتطامات .. ثم ساد الصمت والظلام.. وفجأة تسلل ضوء سيارة عابرة فى الطريق ، خلال نافذة حجرة الجلوس ، وفى تلك اللحظة الخاطفة لمح « لوكا » المربية تقف متصلبة الجسم فى أحد أركان الغرفة ، بين صوانين قائمين .. وأدرك انها بمكرها الفائق اختارت مكمنها حيث يجثم الصائد ! فقرر أن يبدى بدوره شيئا من الخبث ، فخرج الى الردهة يتخبط وكأنه يبحث عن صيده ، وبعد برهة عاد يسعى الى مكمن المربية مادا ذراعيه .. ومست أصابعه خدها ، فلم تتحرك .. وترك أصابعه تنحدر الى ذقنها ، فطغى عليه احساس شديد منفعل .. ولذ له أن يتحسس وجـــه المرأة ويستمتع بنعومته ، وكأنما

اشتعلت فى صدره وقدة من نار .. ثم انحدرت أصابعه الى العنق ، فالنحر .. وكأنما سئمت المربية هذا التسلل المتردد ، فأمسكت بيده ودستها فى صدرها .. وأحس « لوكا » بليونة الثدى الذى توترت عضلاته .. وفجأة ، سمع الاطفال يتحركون فى الغرفة المجاورة فصاح وكأنه اكتشف صيده لتوه : « السنيورينا ! » .. وفى اللحظة التالية ، أضىء النور ، وأقبل الاطفال صاخبين ، ضاحكين ..

وأعيد اللعب .. وكانت المربية هى الباحثة عن المختبئين فى هذه المرة .. وأطفئت الانوار ، فألفى لوكا ساقيه تحملانه على الرغم منه الى الركن الذى اختبأت فيه المربية أول مرة ! وأحس بها تفعل ما فعل : تخرج الى الردهة ، وتتعمد الاصطدام ببعض الاثاث ، وكأنها تبحث بحق ، ثم تسعى فى خطى خفيفة الى مكمنه .. فتحيط عنقه بذراعها ، وتلصق شفتيها بشفتيه فى قوة .. وأحس للقبلة المحرمة الاولى فى حياته ، بحلاوة وغضاضة .. فى آن واحد !.. واشتد ضغط شفتيها .. ثم انبعث لسانها من بينهما كالمبرد يشق طريقه بين شفتيه وأسنانه ، ثم يمضى يتثنى ويتلوى ، وكأنه يريد أن يبلغ أعماق جوفه .. وخيل الى « لوكا » وهو يفكر فيما يجرى ، أن لسان المرأة كان أشبه الاشياء بثعبان رفيع أصابه مس من خبل .. واقتربت المرأة منه بكل جسمها .. وأخذت تزداد به التصاقا .. وأحس لوكا انه بدأ

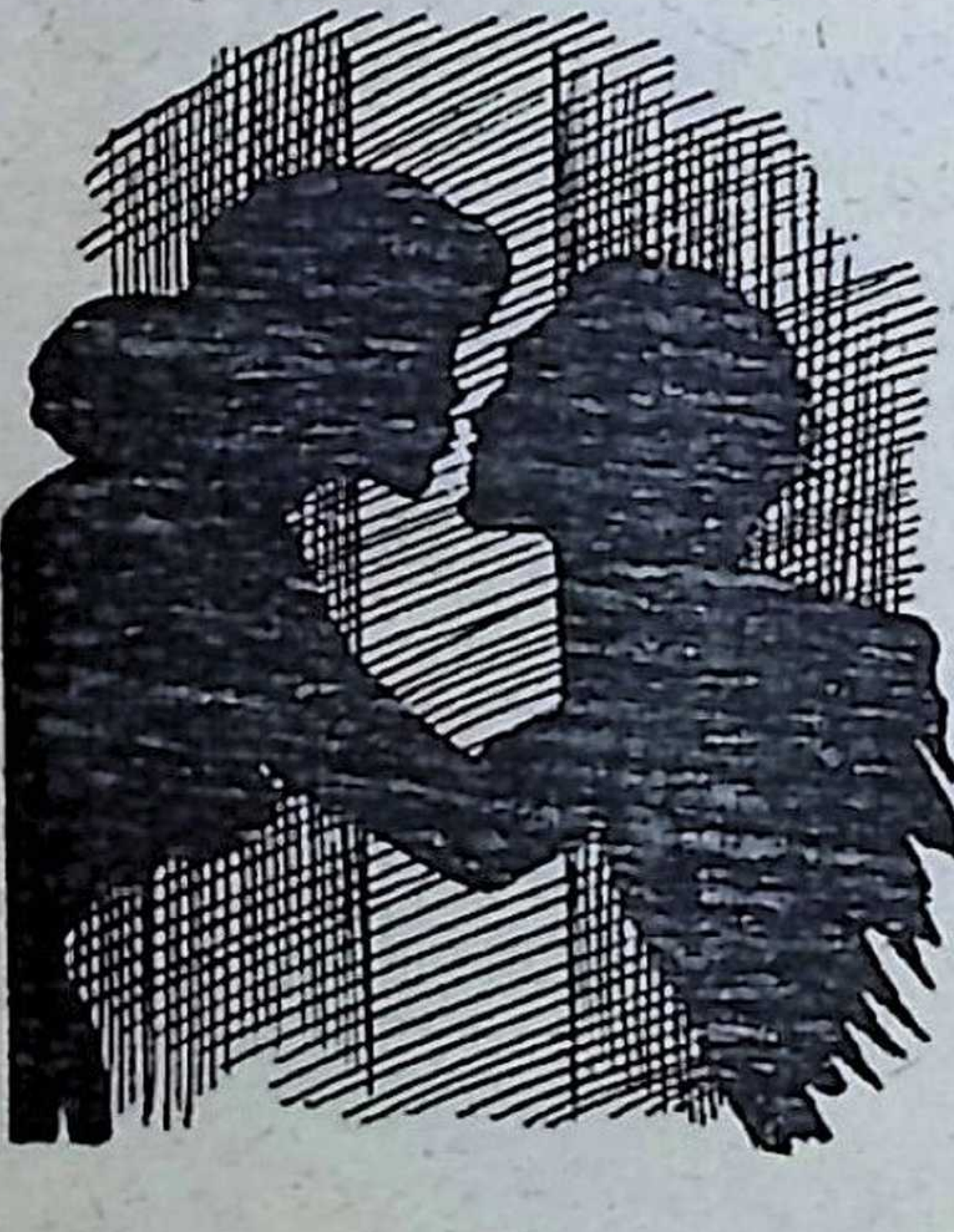

يضيق ، ولكن المرأة بدت مصرة على المضى ٠٠ وفجأة ، انبعث صوت أحد الصغار من الحجرة الاخرى صائحا : « ما هذا ؟٠٠ انك لا تبحثين ٠٠ » ٠٠ وخيل الى لوكا انه يسمع صوت طهره ينبعث مستغيثا فى اللحظة التى أوشك فيها هذا الطهــر أن يحترق بنيران الشهوة ٠٠ ومع انه أحس بتقزز من القبلة الاولى، الا انه اشتهى أن تتكرر ٠٠!

وانتهى اللعب فآب الى غرفته واستلقى على فراشه ، وسرعان ما دهمه النوم ٠٠ حتى استيقظ فجأة على شعور بأن ثمة شخصا فى الغرفة ٠٠ وتبين المربية تنحنى فوقه هامسة : « أأنت نائم؟ » ٠٠ فحاول النهوض وهو يقول: «أجل» ٠٠ واذ ذاك قالت بصوت خفيض : « لم لا تأتى فتزورنى فى بيتى ؟٠٠ اننى ألازم مسكنى طيلة يوم الاحد ! » ٠٠ وأدلت اليه بالعنوان ، ثم انحنت ٠٠ والتقت شفاهما فى قبلة أطول من الاولى ٠٠ أسرعت المربية على أثرها تغادر الغرفة !

❖

◆ **كان** ذلك فى يوم الخميس ٠٠ وفى الثلاثة الايام التالية، كان لوكا لا يكاد يستقر على نية تلبية دعوة المربية ، حتى يعود فيقرر تجاهلها! ٠٠ وبدأ يلاحظ القط الذى يربونه فى البيت وكيف كان يحوم حول أليفته ، فخيل اليه انه يرى فيهما نفسه والمربية ٠٠ كلاهما حيوان ٠٠ ولكن القطين لم يكونا يتمردان على الطبيعة لانهما لم يكونا سوى جزء منها ٠٠ أما هو ، فكان يقاوم فى نفسه ذلك الانصياع للطبيعة ويرى فيه خنوعا ومذلة ٠٠ ولا يملك الا أن يسائل نفسه : اذا هو استسلم للغريزة ، فلأى عذر اذن أهمل دروسه ، وحرم نفسه متعة الشبع من الطعام ؟

وجاء يوم الاحد وهو متردد ٠٠ ثم قرر أن لا يوافى المربية كوعده ، فراح يهيم فى الشوارع على غير هدى ٠٠ **لم يكن ثمة شك فى انه كان يرغب فى أن يخف الى المربية ٠٠ ولم يكن من**

شك أيضا فى أنه لم يكن راغبا فى الذهاب !.. وكانت الحالان متساويتين في نظره ، حتى خيل اليه أن سروره انما يقع فيما بينهما ، فى ذلك الجمود الحائر المعتم الكئيب !.. وخيل اليه ـ وهو سارح فى أفكاره ـ أن المربية « محطة » فى طريقه ، وانه قد تجاوز هذه المحطة ، فبدأ يسائل نفسه : كيف كاد يسمح لقبلة أو اثنتين بأن تعرقلا سيره فى الخطة التى انتهجها فى المرحلة الاخيرة من حياته ؟.. ان المربية تنتظره فى مسكنها كما يرتقب والداه عودته الى البيت ، وكما يتوقع زملاؤه ومدرسوه عودته الى المدرسة .. كلهم يتآمرون على استغلال ضعفه.. وعلى استدراجه الى معمعة الحياة وابقائه فيها ، وان اختلفت أساليبهم .. ولو ان والديه ومدرسيه لا يقرون أسلوب المربية !

وكان الظلام قد اشتد فقام مغادرا الحديقة .. واذ ذاك عادت المربية الى فكره .. وخشى أن لا يستطيع فى اليوم التالى أن يقاومها اذا ما التقى بها ..

❊

◆ **ولكنه** لم يلتق بها ، لان خالته شفيت ، ولم تعد ثمة حاجة الى أن تنتقل المربية بالاطفال الى بيت خالتهم ..

وأحس لوكا بشعور من الاستياء خيل اليه فى البداية انه استياء رجل أعد نفسه للمعركة ثم تبين فى اللحظة الاخيرة أن لا معركة على الاطلاق !.. ولكنه ما لبث أن تبين ان هذا الاستياء انما انبعث عن الرغبة فى أن يرى المربية ثانية .. وبدت هذه الرغبة بسيطة ، وطبيعية ، كالشهوة الى الطعام والشراب ! لذلك ألفى نفسه فى صباح الاحد التالى يتصل بها تليفونيا . وخيل اليه أن صوتها كان خلوا من مرحه وهى تقول : « أجل انتظرتك .. ولكنى لم أنتظر طويلا » .. فلما سألها ان كان له أن يوافيها فى يومه ، أمسكت برهة تفكر ثم قالت : « لا .. ليس اليوم.. فاننى أشعر بوعكة.. أجل.. لست على ما ينبغى .. تعال يوم الاحد المقبل .. »

وطرح عنه طيلة الاسبوع كل ميل الى المقاومة ، وراح يفكر فى المربية ٠٠ ولم يعد الموت يجول بخاطره ، بل كانت الشهوة تنأى به عن طريقه السابقة !٠٠ وبدا له أن كل شيء فقد كيانه وأهميته ، عدا المرأة التى راح خياله يصـــورها له فى شتى الاوضاع المغرية المغوية ٠٠ وحدث ما كان يخشى أن يحدث : وجد ما يذكى اهتمامه بالحياة من جديد ٠٠ ولكنها غدت فى نظره حياة زرية ، ضيقة الحدود ، اذ أدرك انه ما كان يحب تلك المرأة ، ولا كان من الممكن أن يحبها يوما ، وانما كان مسوقا اليها بشهوة وضيعة ، حيوانية ٠٠!

ولكنه لم يجدها فى انتظاره حين بلغ مسكنها يوم الاحد التالى ، وانما استقبله جو مشبع بروائح الادوية ، وعجوز مقرحة الاجفان أنبأته وهو يقف جامدا ، أبكم ، مذهولا ، بأن السنيورينا مريضة ٠٠ مريضة جدا !

وعاد الى البيت فى عجلة ، فأوى الى غرفته ، وارتمى عـــلى فراشه ٠٠ ولم يحس فى قلبه رثاء للمربية ، وانما أحس حقدا على نفسه ٠٠ أو بالاحرى على ذلك الجزء من نفسه الذى جعله يسعى خلال طرقات المدينة الى حيث كان يرجو لقاء غراميا ، فوجد موتا يحوم متحفزا ٠٠ وغاظه أن غررت به شهوته فجعلته يتشبث بالحياة ثم صدمته فى غدر ، ومن ثم ارتد أشد ما يكون قنوطا ، وتمردا على تلك العبودية ٠٠ عبودية الشهوة ٠٠ عبودية الحياة !٠٠ وغدا أكثر يقينا من حكمة مسلكه فى طلب الموت ٠٠ وخطر له فجأة أن المربية قد تشفى من مرضها ، وقد لا تموت ، فأحس بوقدة الرغبة توشك أن تشتعل من جديد ، فاذا به يرتد أشد مايكون حقدا على نفسه ، واستنكارا لها ٠٠ كأنما كان عاجزا عن أن يرجو الحياة للمربية الا ارضـــاء لغريزته !٠٠ وانقلب يرجو لها أن تموت ٠٠ ويتمنى الموت لنفسه أيضا !

❁

◆ **وكان** يظن أن وفاة المربية كفيلة بأن تلهمه شعورا من التحرر من سلطانها ٠٠ ولكنه تبين بعد أن بلغه نبأ موتها ، انه مسوق على الرغم منه الى التفكير فيها فى رغبة وحنين ، كما لو كانت على قيد الحياة !٠٠ وكأنما وجدت الاحاسيس التى أيقظتها تلك المرأة فى نفسه من خياله ما كان يذكيها ويؤجج أوارها يوما بعد يوم ٠٠ حتى يسوق له القدر من تشغل مكان الميتة من قلبه ٠٠ وفى حرص وشقوة راحت ذاكرته تهدهد فى أعماقه تلك الاحاسيس التى هدته المرأة اليها ، والتى أصبحت تفوح أخيرا برائحة الموت ٠٠ **وأيقن من انه لم يحب المربية حبا مثاليا ، وانما أحب منها ذلك الجسد الذى استحال الى رمة ٠٠ ولم يكن قد خبر منها فى الواقع سوى القبلة التى صهرت فيها شفتيه بحرارة أنفاسها ، فغدت ذكرى تلك القبلة ذخيرة خيل اليه انه على استعداد لان يعيش عليها سنين طويلة ٠٠ وراح يقضى الليالى مسهدا ، يحس أن شفتى المرأة تنبعثان من الوسادة ، لحما ودما ٠٠ فاذا غفت عيناه ، استيقظ فجأة ليجد انه كان يعض الوسادة فى شبق ٠٠!**

وهكذا كانت تغلى فى رأسه أفكار مضـــطربة ، مختلطة ، متضاربة ، وكان كلما حاول أن يتخلص من تأثير المربية عليه ، ألفاها تخرج اليه من العدم حين يخلو الى نفسه فى حجرته ، في أبهى آيات مرحها وغوايتها ، تؤكد له أن كل محاولة يبذلها للتحرر من اسار الشهوة ٠٠ محاولة باطلة !

❁

◆ **وبلغت** حالته هذه أقصى مداها ذات صباح وقد ذهب الى المدرسة وهو كاره ٠٠ وحين دخل المدرس الفصل نهض لوكا مع الطلبة ، حتى اذا عادوا الى الجلوس ظل هو واقفا ، وقد شعر ان الرغبة فى العصيان توحى اليه بالتمرد على كل مالوف ٠٠

وسأله المدرس عن سر وقوفه، ولكنه لم يحر جوابا ! وتطلعت اليه أنظار زملائه ٠٠ وعاد المدرس يسأله عن وقوفه ، فقـال : « لا شيء » ٠٠ وأمره المدرس بالجلوس ، ولكنه بقى واقفا ، والطلبة يرقبونه فى عجب ٠٠ ثم جلس فجأة !

وكان الدرس من دروس المطالعة ، وكان مقررا أن يطالع الطلبة فيه الفصل الخاص بالمطهر فى « جحيم دانتى » ، فطلب اليه المدرس أن يقرأ على زملائه ٠٠ وأحس لوكا بجاره يدفع اليه الكتاب وقد فتحه عند الصفحة التى سيبدأ القراءة منها ٠٠ **وفجأة قفزت الى فكره المريبة! ولاحظ وهو يغادر مقعده الى منصة المدرس أن الجو قد اكفهر واعتم ، وأن المطر بدأ يتساقط ٠٠ فوقف جامدا ، شـاردا ، حتى فطن الى المدرس يصيح فيه : « ألم تسمعنى ؟ ٠٠ فيم وقوفك كالعمود الجامد ٠٠ أمريض أنت ؟ »**

وتأمله المدرس طويلا ، ثم قال له : « انك لست فى حال طيبة ٠٠ احمل كتبك وانصرف الى دارك ! »

وفى غير وعى حمل كتبه وغادر المدرسة ، وهو يحس برعدة تسرى فى جسده ، تعقبها موجة من حرارة الحمى ٠٠ وكان المطر يهطل مدرارا فى الخارج ، ولكنه لم يحجم عن السير تحته ٠٠ وتشبعت ثيابه وكتبه بالماء ٠٠ وراحت قدماه تخوضان فى برك ومستنقعات ٠٠ وهو ماض ٠٠ حتى اذا بلغ الدار ، يمم شطر حجرته ، وألقى بنفسه على الفراش ، وراح يرتجف فى عنف كان يهز كيانه كله ٠٠

- ٣ -

◆ **وظل** ثلاثة شهور طريح الفراش ٠٠ وكانت حرارته طيلة الشهر الاول مرتفعة جدا ، ولكنه ظل محتفظا بصفاء ذهنه ٠ كان يشعر انه مقبل على الموت ، فأرضـاه ذلك ، ومضى يرقب اقترابه فى سرور خفى! **انه سيتحرر أخيرا من تحكم والديه، ويعصى أمانيهما ، ويقتص منهما ! وأحس أنه لم يعد يكره نفسه ، بل**

راح ينظر الى تلك القوى التى بقيت فى أعماقه تقاوم وتحاول شده الى الحياة ، نظرة المنتصر المستخف بها .. كانت تلك القوى هى التى حببت اليه يوما دروسه، ووالديه، والمربية .. وهى التى حرمت اليوم من عنفوانها ، فراحت تتشبث جاهدة بالقشات الاخيرة قبل أن يغمرها الموت .. فكان اذا استحثته أمه على أن يتناول شيئا من الغذاء ليقوى على المرض ، ود لو يصيح بها : « ولكننى لا أريد أن أقوى عليه ، اننى أريد أن أموت »..

ولكن هذه القوى المنهارة كانت تصده عن ذلك ، وتحمله على أن يترفق بأمه وعواطفها .. وكان يتعزى بأن هذا المسلك منه انما كان ارضاء لحياة سواه ، لا لحياته هو ، فان هذه الحياة قد أقلعت الآن عن الشواطىء التى طالما تلكأت عندها .. وهكذا وجد نفسه مذ بدت له أمارات الموت ، يتخذ شخصية مزدوجة : فهو مع والديه رفيق ، رقيق ، وادع ، كأى مريض .. حتى اذا خلا الى نفسه ، انقلب شخصا موشكا على الموت ، يرقب النهاية فى رجاء !.. وكان يستعذب قياس حرارته كل صباح ، والتأكد من أن مرضه يطغى على وعيه تدريجيا ، والشعور بأن الموت قد يختطفه أثناء اغفاءة من تلك الاغفاءات الوجيزة ، المحمومة ، التى تنتابه فى الليل ..!

وكانت أمه تجلس اليه فى بعض ساعات النهار تمنيه بما أعد له بعد ابلاله من رحلات فى الخارج ، وبما ينتظره من عودة الى الدراسة.. فيتمالك جاهدا صيحات الاحتجاج التى تريد أن تنطلق من أعماقه ، ويجاريها متلطفا .. ولكنه ذات مرة لم يستطع أن يقوى على كتمان تلك الصيحات ، فقال لها : « أنا أعرف اننى موشك على الموت »

وروعت أمه ، وعادت الى صرامتها وهى تقول: « ما هذا الهراء؟ .. ماذا تعنى ؟.. انك لن تلبث أن تبل من مرضك »

وأثارته هذه الكلمات .. غاظته الديكتاتورية التى تريد أن

تفرض عليه الحياة ، فلما خلا الى نفسه بعد انصراف أمه ، صاح بصوت عال ملؤه التحدى : « من يزعم اننى سأشفى ؟.. اننى مقبل على الموت .. ولسوف أموت » !

وذات مساء ، أيقظته من نومه فجأة رعشة مؤلمة ، ظن معها انه يحتضر .. أو بالاحرى ، لمس المعني الحقيقى لاشتهاء الموت .. فقد أحس أن الموت عملية سحرية كفيلة بأن تنقله الى عالم أحب وألطف وآنس من العالم العادى !

لكنه كان مجرد كابوس .. بل انه منذ ولد وهو يعيش فى كوابيس متصلة .. منها ذلك الذى واتاه اذ شهد والديه فى ثياب النوم يحملان النقود الى الخزانة المخفاة وراء صورة العذراء !.. وتبين فجأة انه ما نشد الموت الا بسبب والديه، وليحرر نفسه من الشعور المقيت ، المزدرى ، الذى أوحيا به اليه ، والذى ضرب على حبه لهما بسياج من نفور ! .

◆

◆ **ولكنه** لم يمت ، وانما غاب فى نوبة طويلة من الهذيان والرؤى المفزعة ، والاحلام المروعة ، التى كان يرى نفسه خلالها محوطا بوحوش ضارية، وثعابين طويلة ، وحشرات عجيبة ذات أشكال رهيبة ، ومخلوقات غريبة .. وبين هذه الرؤى كان يلوح له وجه ناسك عجوز ملتح يسكب عليه نظرات هادئة، مشجعة.. ثم يبرز من الحائط المقابل للسرير بطن امرأة عارية ، منتفخة كأنها الطبل المشدود !.. وكان لوكا اذا أشاح عنها ملتفتا الى الناسك ، رأى ابتسامة تشع على وجهه ، ثم ينفرج فمه ويندفع منه لسانه فجأة .. ويقع فى روعه أن ذاك لسان المربية !.. فيصرخ مستنجدا بوالديه، وعندئذ تصم أذنيه صيحات مسرحية غريبة ، أو همهمة غير ذات معنى ، أو رنين أجراس تجلجل فتهز الهواء ، أو صفير حاد أو صوت بخار مكتوم وجد منفذا ضيقا .. فكان يشتد صراخه وفزعه ، فى بحران الحمى وهذيانها ..!

ولكنه فى غمرة هذا كله ، لم يلبث أن أخذ يشعر أن حاله كانت تتقدم نحو التحسن ٠٠ الى أن صحا من اغفاءة ذات يوم، فاذا امرأة تجلس الى جواره ، وقد أسندت جبينه باحدى يديها ، وأخذت تطعمه باليد الاخرى ٠٠ وكانت امرأة من دم ولحم لا من خلق الاحلام المحمومة ٠٠ غطت رأسها بعصابة بيضاء بدا تحتها وجه أسمر ، عبثت به الايام ولكنه لا يزال يحتفظ بملاحته وطراوته ٠٠

وتمتم لوكا بكلمات شاكرة، ففاضت من عينى «الممرضة» نظرة عطف ، وافترت شفتاها عن ابتسامة ٠٠ وأدرك انهم ولا بد قد أتوا بهذه الممرضة لترعاه حين استفحلت وطأة المرض ٠ وكانت تبدو فى أوسط العمر ، أميل الى البـــدانة ، ومع ان عينيه تبينتا بعض التجاعيد تحت المساحيق التى كانت تكسو وجهها، الا أنه لم يملك أن اشتهى تحسس تلك التجاعيد ٠٠ وكانت شهوة من النوع الذى يساور المرء ازاء زجاجة زرية المظهر ، لكن بجوفها عصيرا سائغا !٠٠ وأجال عينيه فى الحجرة فاذا هى نظيفة مرتبة ، واذا كل ما فيها يوحى اليه بجو من الطمأنينة البيتية أدهشه أن ارتاحت اليه نفسه ٠٠ وازدادت دهشته حين ألفى الممرضة تغسل له وجهه وتمشط له شعره وتسويه ، فكأنما اجترف الماء معه المرض والهذيان !٠٠ وتأمل وجهه فى المرآة فخيل اليه انه يبرز مطهرا من غيوم عاصفة هوجاء ٠ وأحس بدبيب الحب يخالجه نحو ذاك الوجه المراهق الذى يطالعه فى المرآة ، بعينيه الحالمتين ٠٠ حب كذلك الذى داخله نحو الممرضة ونحو أثاث الحجرة !٠٠ واذ تذكر الكراهية التى كانت تملأ قلبه يوما نحو نفسه ، أيقن أن هذا الحب من أهم معالم الانقلاب الجديد فى حياته ٠٠

وطلب الى الممرضة أن تساعده على الجلوس قليلا ، فانحنت وأعانته ٠٠ وقال فجأة : « أحسبنى كنت فى مرض شديد ٠٠

لقد كنت أتمنى الموت!» ٠٠ فنهضت ومسحت بيدها على شعره وهى ترمقه فى حنان وقالت : « ولكنك الآن بخير» ٠٠ وأحس بعواطفه تجيش ، فتدافعت الدموع الى عينيه ٠٠ وسمع الممرضة تقول : « ٠٠ ولسوف تتحسن أكثر اذا ما أبديت طاعة واقبالا على كل ما ينبغى أن تتبعه » ٠٠ فلم ينبس ببنت شفة ، بل أمسك بيدها وطفق يقبلها فى لطف ، والدموع تنساب من مقلتيه !

✥

◆ **وذات** يوم فى أواخر مرحلة النقاهة ، أعدت له الممرضة حماما ٠٠ وكانت فى رواحها وغدوها تتأمله فى سرور ، كأنما أبهجها أن يقدم على هذه الخطوة الجديدة فى طريق الصحة والعافية ٠٠ ثم بسطت له « روب دو شامبر » جديدا من وبر الجمل ـ ابتاعته له أمه بمناسبة تماثله للشفاء ـ وهتفت : «هيا ٠٠ انهض ! » ٠٠ وهم أن يقوم ولكنه عجز فارتد فى استخذاء وضعف ، فأحاطت الممرضة وسطه بذراع قوية وشدته حتى استقام على قدميه ٠٠ وبدأ ينقل قدميه سائرا فى وهن ، معتمدا على ذراعيها ، وقد أحس بأن القدمين الكليلتين مشوقتان الى الارض !

وألفى حوض الحمام مليئا بماء ساخن ٠٠ وأغلقت الممرضة الباب ، ثم تحولت تختبر حرارة الماء ٠٠ وخلع لوكا « الروب دو شامبر » ، ثم وقف حائرا مترددا ، وقد هم أن يسأل الممرضة أن تغادر المكان ريثما يخلع « البيجاما » ، ولكنها التفتت اليه قائلة : « هيا ٠٠ أنض عنك البيجاما واهبط الى الحوض » ٠٠ وأطاع ٠٠ وانحنت فشدت سرواله الى أسفل ، ثم نهضت وقد تضرج وجههـا ٠٠ حتى اذا بدا عاريا ، وقف لحظة مترددا ، فأحاطت الممرضة خصره بذراعها وقادته الى الحوض ٠٠ وفى بطء، انزلق الى الماء٠٠ وأقبلت الممرضة تكسو بالصابون جسده، فلم يحس بعار أو استحياء من كشف عورته أمام المرأة ٠٠ وانما

شعر بحساسية جعلته يفطن الى أشياء ما كان يفطن اليها فى الماضى !

واذ فرغت الممرضة من بسط الصابون على ظهره وصدره وبطنه انحدرت يدها الى ساقيه ، ثم صعدتا الى ركبتيه ، تبسطان الصابون ، حتى اذا تجاوزتا الركبتين ، اشتدت حساسيته .. وتوقع أن يحدث بينه وبين الممرضة ما حدث مع المربية منذ شهور، ولكنه ألفى نفسه - فى هذه المرة وبعد التطور الجديد - على استعداد لان يقبل ما كان يرى رفضه واجبا فى الماضى ! .. ولم يخالجه من ذلك أى استنكار أو نفور ، بل خيل اليه انه ملك يدى المرأة ، وقد تجرد من كل ارادة الا أن يكون لطيفا ، مطيعا ..

وفطن من أفكاره على المنشفة الدافئة تلفها حول جسده .. ولاحظ وهو يغادر الحمام انه لم يكره الانفعال البدنى الذى دب فى جسده أثناء الاغتسال .. بل خيل اليه أن تلك الظواهر الغريزية أصبحت تروق له ، بعد أن كان ينفر منها ويقاومها فى الماضى ..

❖

◆ **وتوثقت** عرى الصداقة بينه وبين الممرضة فى الايام التاليه . وبدلا من عدم الاكتراث الذى كان يشعر به نحو كل انسان وكل شىء - فيما مضى - ألفى نفسه يهتم فى فضول بأمرها ، ويستدرجها الى الحديث عن نفسها وماضيها .. فاذا بها لا تكاد تذكر له من ذلك الماضى سوى مغامرات الغرام مع الرجال ، موغلة فى الصراحة ، والحديث المكشوف .. وسره انها كانت تخال نفسها لا تزال شابة ، مرغوبة ، وانها كانت تجد لذة فى الحديث عن أنوثتها وجمالها ! وكان يبدو عليها أنها فقدت الرجاء فى استدراجه أو اغرائه ، بل كأنما داخلها الندم على أنها كشفت له تلميحا عن استعدادها .. وقرأ فى نظراتها

اليه حسرة وقنوطا ، وكأنما كان يحزنها أن لا تجد من نفسها الجرأة على أن تطرح عنها دواعى التحفظ وتغتصب منه المتعة التى تحن اليها ..

الى أن كان ذات مساء ، وقد حملت اليه العشاء .. ثم جلست على طرف السرير وقالت: « أحسب ان هذا آخر يوم أقضيه معك » .. فرفع اليها طرفه فى شىء من الخبث وقال : « هذا يؤسفنى .. متى ترحلين ؟ » .. وأجابت وهى تحدق فى وجهه: « مساء غد .. أنا الاخرى آسفة » .. ولاحظ أن وجنتيها كانتا أكثر تضرجا ، وعينيها أكثر بريقا، من المعتاد.. وسمعها تقول: « يبدو لى اننى ألفت معشرك .. بل لعلنى أشعر بشىء من الحب نحوك ! »

وكان يتوقع كل شىء الا هذا الجهر بالحب ، فقد كان كل عهده بالحب تلك التجربة التى أتاحتها له المربية ، وكان يظن ان المرضة ستلجأ مثلها الى الاثارة دون القول .. فلمـــا غضت بصرها ، سمع نفسه يقول لها فى حرارة : « أحقا ؟.. أظننى أنا الآخر قد علقت بك .. ولكن الامر كان يتوقف عليك .. »

ولم يتم عبارته ، اذ أذهله أن يتكلم بمثل هذه الصراحة الآثمة .. ولمعت عينا الممرضة وهى تسائله: « اذن، فلو اننى أردت.. » .. وهز رأسه موجسا ، فقد خيل اليه انها ستلقى بنفسها عليه فى عنف وجنون ! ولكنها على العكس ، ربتت على وجهه فى رفق، ثم قالت : « اذن .. فهل يروقك أن آتيك الليلة ؟ سآتى .. »

وخلا الى نفسه ، فحاول أن يقرأ احدى الروايات ، لكنه سرعان ما تبين انه لا يفقه شيئا مما كان يقرأ . وأحس بوقدة تلهب وجنتيه فى عنف ، كأنما خلفت نظرات الاشتهاء التى أصلته اياها المرأة ضراما فيهما !.. وبعث فيه هذا الشعور نشـــوة ونشاطا ، وحمله على أن يستعرض ما كان من مسلكه نحو المرأة: انه كان صادقا معها ، لم يخدعها فى شىء ، ولم يموه عليها بشىء .. وقد كان به نهم نحو النساء ، بل نحو هذه المرأة بالذات !

وكأنما أرهقه التفكير ، فسرى دبيب النعاس الى جفنيه ·· وراوده حلم لعله كان من ايحاء الجوع العاطفى الذى كان ينهش قلبه ·· ثم تنبه من نومه ، فاذا الليل قد جاوز منتصفه بربع الساعة ، وخيل اليه أن نهم عواطفه يستفحل ويطغى فينطلق به الى حيث يرتاد عوالم مجهولة لا عهد له بها !·· واغرورقت عيناه بالدموع وقد تملكه انفعال لا قبل له بالسيطرة عليه !·· وفجأة، فتح الباب ، وانسابت خلاله المرأة فى قميص للنوم من حرير شفاف · ورآها تضع اصبعها على شفتيها تحثه على السكون ، ثم أدارت المفتاح فى قفل الباب توصده فى حذر ·· وتناولت منشفة أحاطت بها المصباح الخافت الجاثم على المنضدة ·· وراح يراقبها وهى تفعل ذلك فى حركات هادئة ، كأنما مرنتها وألفتها !·· ثم أقبلت على فراشه وعيناها تشعان بوميض نفاذ، فخلعت قميصها ، ووقفت برهة الى جوار الفراش وكأنها تعرض عليه جسدها ليملى عينيه منه !·· وأخيرا ، اندست الى جواره فى الفراش ·· وخيل اليه انها تمسك بيده تقوده الى الحياة التى كان يعافها من قبل ، وكأنها كاهنة ترشده الى طقوس دين مبهم ·· فى كهف يخيم عليه الغموض !

واذ عوفى لوكا ، أعدت العدة كى يسافر فى رحلة للنقاهة ، تصحبه أمه ·· فلما انطلق به القطار بأقصى سرعته ، وقد غاص هو فى مقعد مريح ، أحس بين ضجيج القطار الرتيب المنتظم كأنه « قشة » فى غمار تيار قوى لا قبل لها بمقاومته ، وليس لها من أمل سوى أن تطفو على سطحه ·· الى النهاية !·· وراق له أن يشعر انه محمول الى مصير لا يدرى عنه شيئا، ولكنه مطمئن الى القوى التى تحمله·· وقد بزغ فى أعماقه أمل أصبح يرافقه، ويؤنسه فى رحلة الحياة !

كتب الأولون

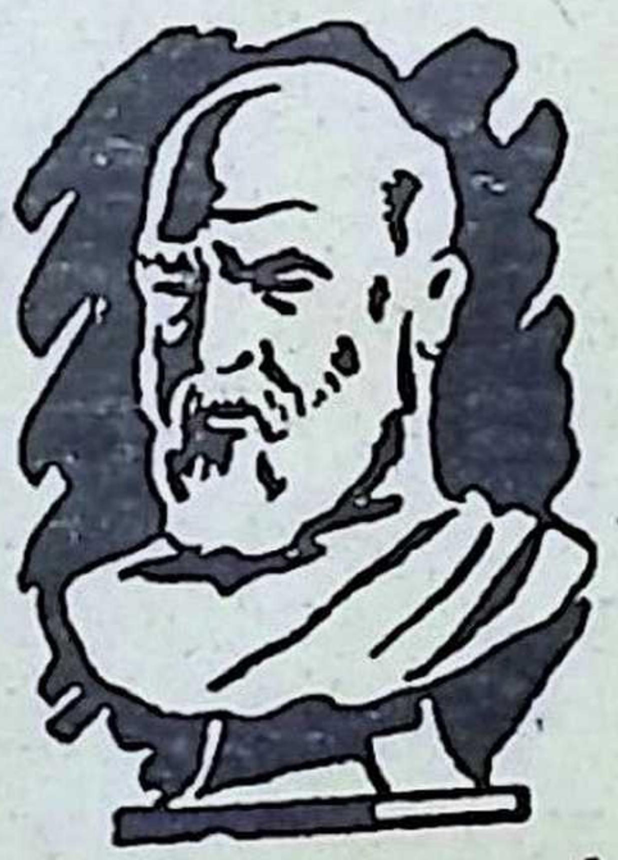

كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

فى اعداد السنة الاولى من «كتابى» استخرجت لك من كنوز الكتب القديمة على التوالى :

«ديكاميرون» تاليف بوكاشيو
«دون كيشوت» تاليف سرفانتس
«الالياذة» تاليف هوميروس
«اميل» تاليف جان جاك روسو
«حى بن يقظان» تاليف ابن طفيل
«روبنسن كروزو» تاليف دانييل ديفو
«غرام الاخوين» تاليف (كاتب فرعونى مجهول)
«يوتوبيا» تاليف توماس مور
«الجمهورية» تاليف افلاطون
« الكوميديا الالهية » تأليف دانتى

واليوم اقدم لك فيما يلى ملحمة هوميروس الخالدة التى اشتقت ولابد الى قراءتها منذ بعيد ، وهى « الاوديسة » .. وفى الاعداد القادمة نواصل باذن الله سياحتنا معا عبر الاجيال والاقطار ، فتقرا معى فى هذا الباب :

الامير : مكيافيللى
العقد الاجتماعى : جان جاك روسو
السياسة : ارسطو
البخلاء : الجاحظ .. الخ

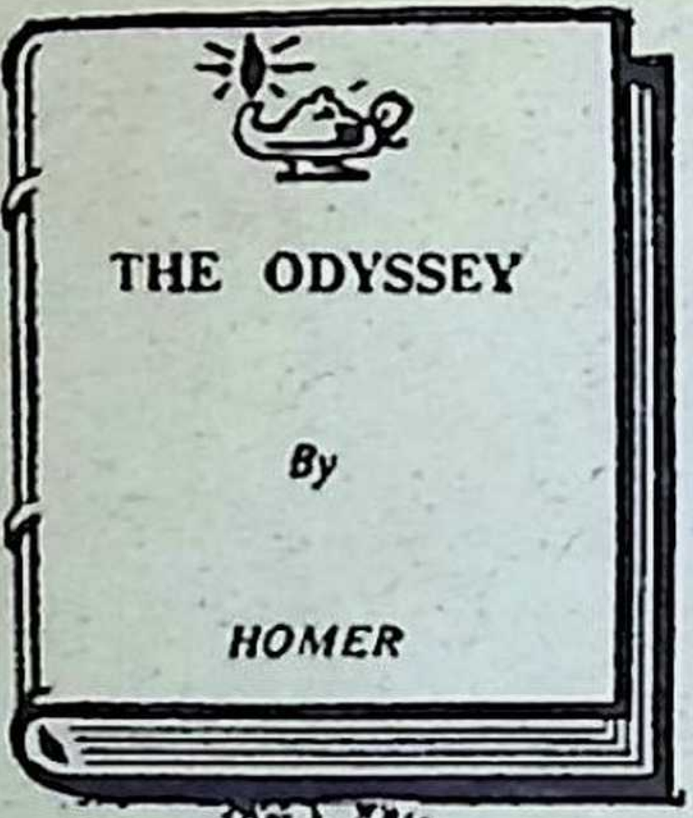

هوميروس

الأوديسة

الأنشودة التي تتغنى بها الإنسانية
منذ ثلاثين قرناً!

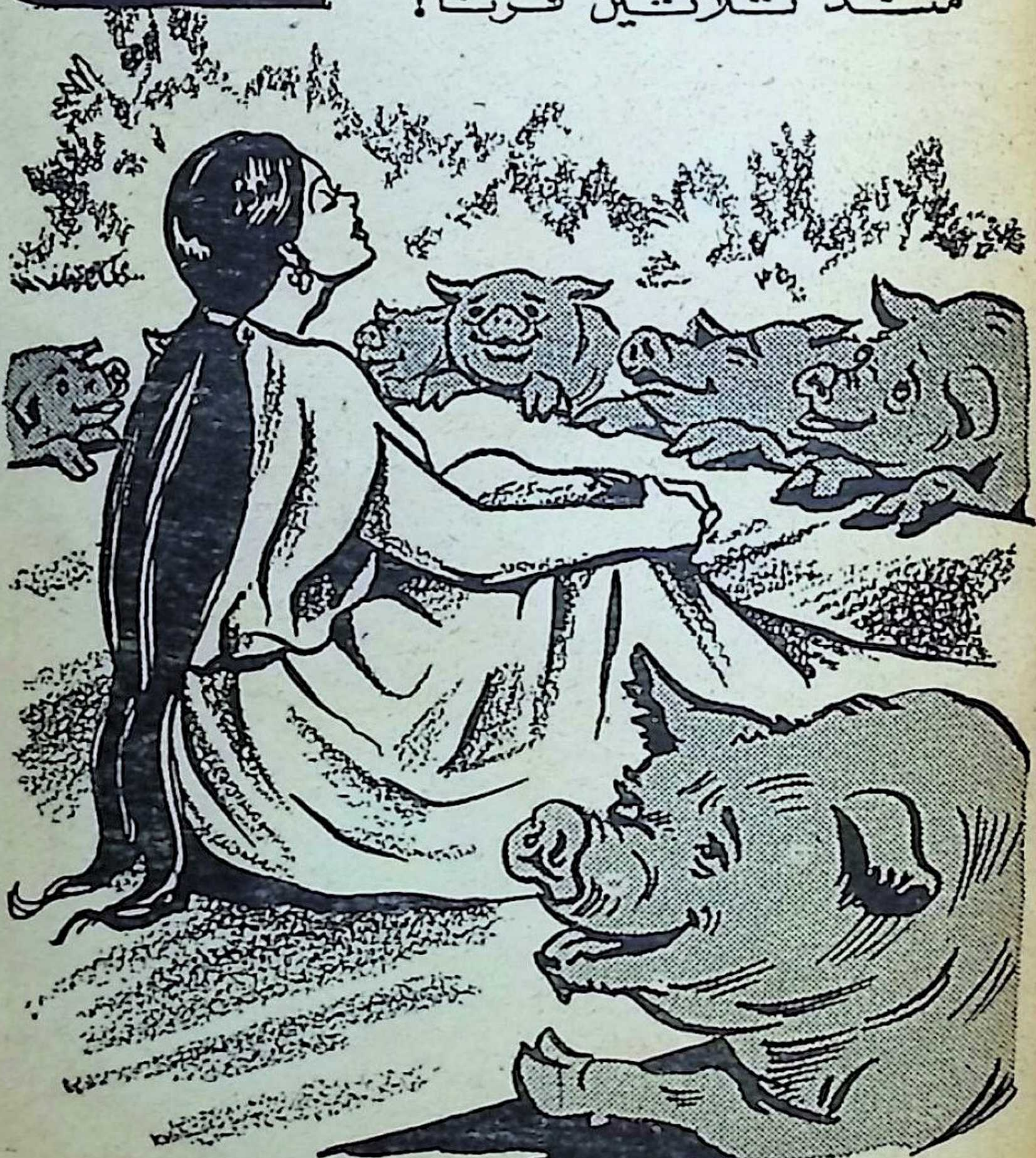

الالياذة .. والاوديسية

هوميروس

◆ فى القرن العاشر قبل الميلاد كان الشاعر الضرير الفقير «هوميروس» يتجول فى مدن اليونان من بلد الى بلد ، منشدا اشعاره القصصية كلما وجد مستمعا يدفع الثمن - (مثلما يفعل شعراء الربابة فى بلادنا) - وقد تألفت من مجموعة اشعار ذلك الشاعر الموهوب ملحمتان خالدتان تتغنى بهما البشرية منذ ثلاثين قرنا ، ولن تفتأ تتغنى حتى انقضاء الدهر ، هاتان الملحمتان هما « الالياذة » و « الاوديسة » .

اما الالياذة - التى لخصتها لك فى «كتابى» الثالث - فقد روى فيها هوميروس قصة «حرب طروادة » ، تلك الحرب القديمة الضروس التى نشبت بين مملكة « اسبرطة » اليونانية ومملكة « طروادة » (وكانت تقوم على شواطىء آسيا الصغرى) .. وقد كانت لنشوبها قصة طريفة ، بدأت يوم اغرت افروديت (آلهة الحب والجمال) الامير الشاب «باريس» ، ابن ملك طروادة ، بان يبحر لزيارة ملك اسبرطة .. فلما حل ضيفا عليه فى قصره انتهز فرصة تغيب مضيفه عن القصر ذات يوم فاختطف زوجته « هيلين » - التى كانت «اجمل نساء الارض» فى ذلك العصر ! - ثم فر بها الى بلاده .. فلما اكتشف ملك اسبرطة الحادث ارسل الف سفينة محملة بالجنود والعتاد لمهاجمة طروادة واسترداد زوجته ، وبذلك بدأت الحرب الطاحنة التى استمرت عشر سنوات ، صمدت خلالها طروادة لحصار رهيب وهجمات متكررة ، حتى تفتقت حيلة الاغريق المهاجمين عن خدعة بارعة تسلل بها نفر منهم الى داخل اسوار المدينة فى بطن حصان خشبى ضخم ، ثم فتحوا لجيشهم ابواب المدينة على مصاريعها فدخلها وحرق حصونها وقهر مقاومتها !

تلك كانت القصة التى رواها هوميروس فى « الالياذة » .. اما الاوديسة - التى الخصها لك فيما يلى - لقد روى فيها الشاعر مغامرات احد أبطال اسبرطة ، المدعو « اوديسيوس » - او «عولس» ULYSSES كما اطلق عليه الرومان - فتعال معى نصغى الى شاعر اليونان الضرير ينشدها من خلال الاجيال :

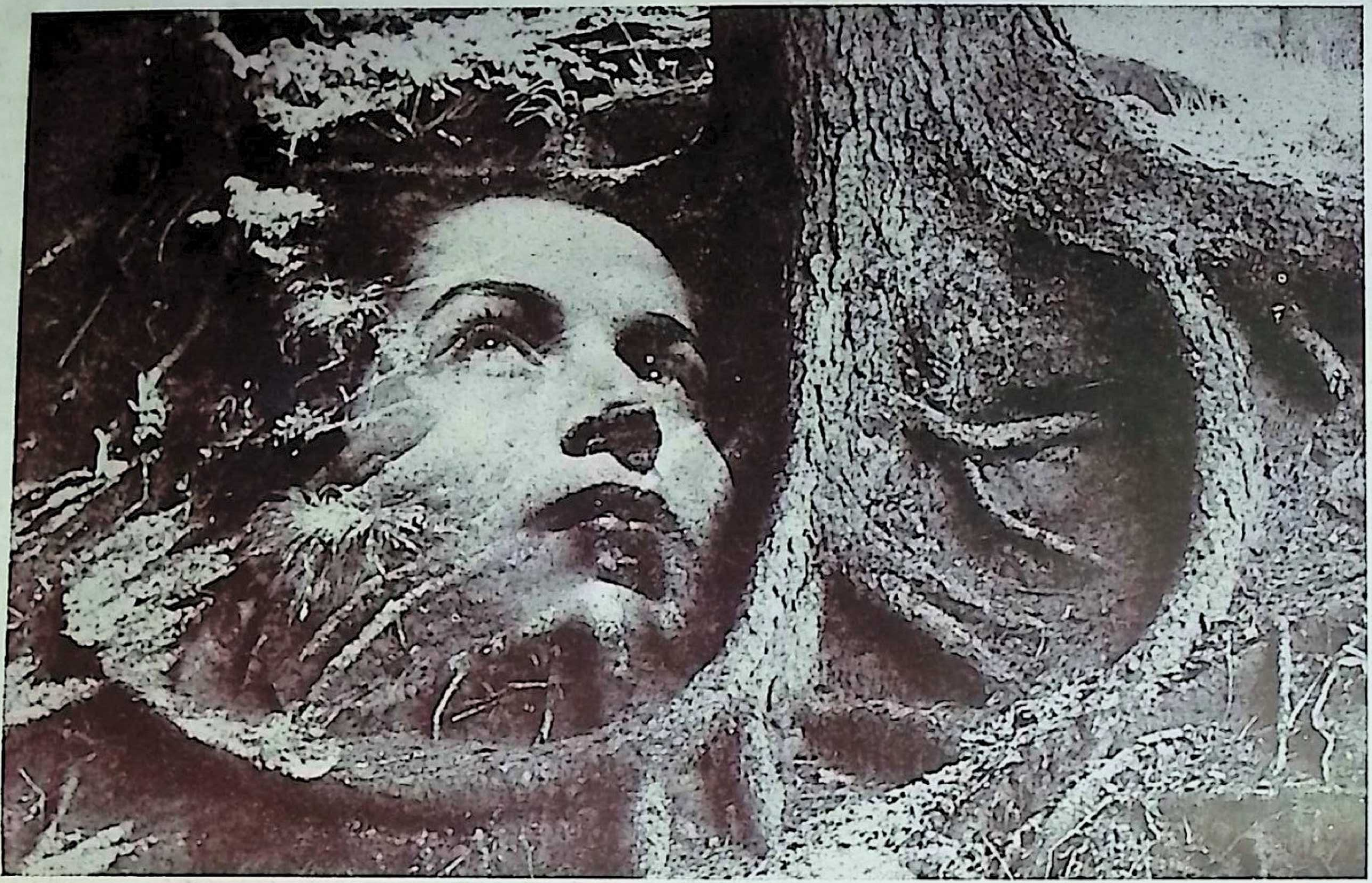

أصل كل الشرور ! (حواء ٠٠ والشجرة)

صورة رمزية ، للدكتور « رولان صيداوى »

الاخطار الثلاثة ! (صورة رمزية ، للاستاذ رمزى زقلمه)

- ١ -

◆ على أثر انتهاء حرب « طروادة » بسقوطها فى يد الاغريق الظافرين ، عاد جنودهم جميعا الى بلادهم وبيوتهم ، ما عدا البطل « أوديسيوس » ، الذى جلب على نفسه ـ ببعض تصرفاته ـ غضب آله البحر « بوزيدون » فأقسم ليحرمنه من العودة الى أحضان زوجته الوفية « بنيلوبى » أو رؤية بيته الحبيب فى « ايثاكا » مرة أخرى !

ونفذ الآله الناقم قسمه ، فلبثت الزوجة المكلومة وابنها « تيليماخوس » ينتظران عودة عائلهما المحبوب عشر سنوات كاملة ، دون جدوى .. وبرغم ذلك فانهما لم يفقدا يوما الامل فى عودته فى النهاية !.. أما أهل المدينة جميعا فقد أيقنوا من موت « اوديسيوس » ، **فتقاطر الامراء والنبلاء من شتى جزر اليونان المجاورة على بيته يطلبون يد زوجته الحسناء «بنيلوبى» . لكن المرأة الصابرة رفضت عروضهم جميعا ، وبقيت على وفائها ، وأملها !**

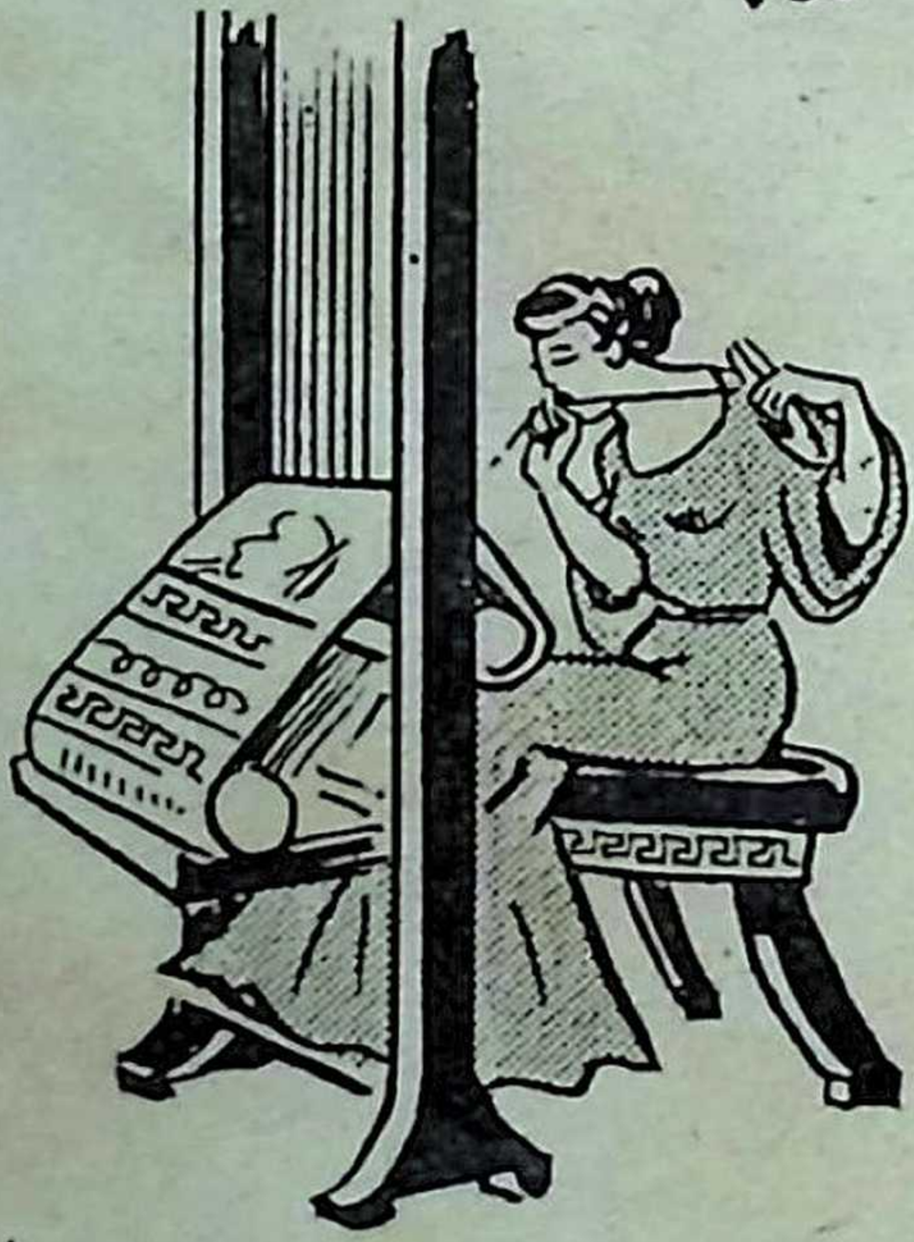
بنيلوبى .. تنسج فى غياب زوجها

ورغم ذلك فقد أصر الطامعون فيها على ملاحقتها بتوسلاتهم ، ومغرياتهم .. بل انهم استبقوا الحوادث فاعتبروا البيت بيتهم وأقاموا فيه الى جانبها يمرحون ويصخبون ويقيمون الولائم والحفلات البهيجة ، أملا فى أن يثنوها بالحاحهم عن عزمها فتلين قناتها وتقبل أحدهم زوجا !.. وفى أثناء ذلك كانت

كراهيتهم لابنها « تيليماخوس » وخدم اوديسيوس الاوفياء تزداد وتتفاقم يوما بعد يوم ، حتى اعتزموا أن يهلكوهم ليتخلصوا من مضايقاتهم !

◆ **وطيلة** تلك السنوات ، كان البطل الغائب «أوديسيوس» سجينا فى جزيرة الحورية « كاليبسو » ، التى وقعت فى هواه فعرضت عليه أن تمنحه الخلود اذا بادلها الحب وأقام معها ، لكنه لم يبال بعروضها ومغرياتها ٠٠ وانما ظل يقضى النهار كل يوم جالسا على شاطىء البحر ، يحدق فى أمواجــه بنظرات زائغة ، ويذرف الدمع حنينا الى بيته فى « ايثاكا » ، وزوجته الحبيبة بنيلوبى !

وبقى آله البحر « بوزيدون » على عدائه لاوديسيوس ، لكن بقية الآلهة ـ وعلى الاخص آلهة الفكر ذات العينين الغبراوين « أثينا » ـ أدركتهم الشفقة على البطل المغترب ، فانتهزوا فرصة تغيب آله البحــر فى ايثيوبيا وأمروا الحورية باطلاق سراح سجينها وتزويده بعائمة خشبية تحمله الى « ايثاكا » ٠٠ لكن أوديسيوس خشى على نفسه فى البداية من الغرق ، ثم ما لبث أن قنع بهذه الفرصة للنجاة فأعد للعائمة شراعا وتزود ببعض المؤن ثم انطلق فى البحر ٠٠

وانقضت عليه فى البحر أربعة أيام على خير حال ٠٠ ولكن فى اليوم الخامس عاد بوزيدون من « ايثيوبيا » ، فرآه على ظهر عائمته فى عرض البحر ، **فاحتدم غيظه وبادر فكاثف السحب وحرك الامواج بصولجانه فأثار ثائرتهــا ، ثم أطلق الرياح والعواصف تعربد فى الجو وتزار بكل عنفوانها** ٠٠ فتخاذلت ركبتا اوديسيوس فزعا وهتف ضارعا : « يا لى من تعس ! ليتنى مت بحراب أهل طروادة ولم أعش لاعانى عذاب الاسر والوحدة وهذه الميتة الرهيبة فى الغربة ! »

٠٠ وفيما هو يحدث نفسه هكذا انقضت عليه موجة هائلة ، حطمت الشراع وألقت به فى اللجة المتلاطمة ٠٠ لكنه برغم كل

شىء لم ينس أن يتشبث بما بقى من العائمة بكل قوته ، ولبث يصارع الموج ، ويتجنب الصخور ، ويغوص ويطفو ، حتى رأفت حورية البحر بحاله فألقته على الشاطىء فى آخر رمق ٠٠ وهناك انبجست من جوفه عن طريق فمه وأنفه كميات كبيرة من ماء البحر ، ثم استكان جسمه بلا حراك كالجثة الهامدة فترة طويلة ٠٠ حتى عاودته قواه تدريجيا فنهض وتسلق السفح الى حيث وجد ظلة كثيفة رقد تحتها وغطى جسمه ببعض أوراق الشجر ٠٠

وكانت لحاكم تلك الجزيرة ابنة تدعى « نوزيكا » ، ظهرت لها الآلهة « أثينا » فى حلم وأوحت إليها بأن تنهض فى ذلك الصباح وتأخذ ثياب أبيها واخوتها الى شاطىء البحر كى تغسلها هناك ، فأمرت الاميرة وصيفاتها بأن يملأن من تلك الثياب عربة يجرها بغل ، كما زودتها أمها بسلة مليئة بكافة أنواع الطعام ، وزجاجة من النبيذ ، ثم قارورة من زيت الزيتون كى تدهن به هى ووصيفاتها أجسامهن بعد الاستحمام ٠٠

فلما فرغن من غسل الثياب والاستحمام ، ثم تناولن طعامهن ، خلعن ثيابهن وبدأن يلعبن الكرة ٠٠ واذ أوشكن على الانتهاء من اللعب حركت الآلهة « أثينا » ذراع الاميرة بحيث أخطأت الرماية فبدلا من أن تصوب الكرة الى احدى وصيفاتها ألقت بها الى البحر ٠٠ **فأطلقت الفتيات فى صوت واحد صرخـــة ثاقبة ، أيقظت « أوديسيوس » من نومه فنهض من حيث كان راقدا واتجه نحوهن وقد حجب عورته بغصن مورق ٠٠ فلم تكد العذارى يلمحنه عاريا وقد امتلأ جسمه بزبد الماء الملح حتى فررن منه جميعا متصايحات ٠٠ ما عدا الاميرة « نوزيكا » التى وقفت فى مكانها متصدية له دون وجل !**

وتحير الشاب برهة بين أن يلمس ركبتى الحسناء ويلقى اليها بطلبته ، كما يقضى العرف ، وبين أن يقف حيث هــو ويناشدها من بعيد أن تقوده الى المدينة وتوفر له المأوى باعتباره غريبا ضالا ؟٠٠ واختار الإجتمال الثانى ، خشية أن يغضبها

فيما لو لمس ركبتيها .. فوقف في مكانه وأفضى اليها برجائه ، فى عبارات عذبة ماكرة .. فما سمعت نوزيكا شكواه حتى رثت لحاله فأعطته من ثياب اخوتها وقادته الى المدينة حيث قصر أبيها حاكم الجزيرة، الذى استقبله مرحبا وأكرمه ثم طلب اليه أن يروى قصته .. فانطلق البطل يروى كل ماوقع له منذ سقوط طروادة .

- ٢ -

◆ « انا اوديسيوس ، ابن لايرتس ، الذى بلغت شهرتى عنان السماء .. وهذه قصة الكوارث التى صبها « زيوس » وآلهته على راسى منذ غادرت طروادة فى طريقى الى بلدى ..

« كانت الريح قد حملت سفينتى الى ارض عشائر « سيكونس » ، فنهبت مدينتهم وذبحت الكثيرين منهم ، ثم قسمت زوجاتهم وخيراتهم بين رجالى . ولو رحلنا بعد ذلك مباشرة لما حدث شىء ، ولكن بعض اتباعى ذبحوا ماشية على الشاطىء وانتظروا ليقيموا منها مادبة فى المساء ، فتجمع اهل الجزيرة فى تلك الاثناء وهاجمونا عدة هجمات أصبنا خلالها بخسائر فادحة ..

« ثم تقاذفتنا امواج البحر الهائجة تسعة ايام ، وفى اليوم العاشر رسونا على شاطىء جزيرة « اكلة اللوتس » ، فارسلت ثلاثة من رجالى سفراء الى شعبها ، فاستقبلهم القوم مرحبين واطعموهم من اللوتس الذى ياكلونه ، وهو فاكهة مذاقها كالشهد ، اذا أكلها انسان احب موطنها وأبى مغادرته الى اى مكان آخر ! وهكذا اضطررت الى تقييد وثاق رجالى الثلاثة وحملهم الى السفينة قسرا ، ثم اقلعنا قبل أن ياكل غيرهم من اللوتس فيتمردون ويابون العودة !

« ووصلنا إلى بلاد قوم يطلق عليهم « سيكلوبس » ، وهم مردة متوحشون لهم عين واحدة فى وسط جبينهم ، فاخذت اثنى عشر من رجالى وهبطنا الى الشاطىء . وبعد مسيرة مسافة قصيرة صادفنا كهفا كبيرا مملوءا باوانى اللبن والجبن الشهى ، فدخلنا واكلنا فى انتظار قدوم سيد الجزيرة . وفى المساء عاد الرجل فاذا هو مخلوق ضخم مخيف ادخل ماشيته السمنة الى داخل المغارة ثم اغلق بابها بحجر هائل الحجم ، لا يقوى حشد من الرجال على زحزحته ! وبعدئذ حدجنا بركن عينه وسالنا عن مطلبنا ، فقلت له : « نحن يونانيون قادمون من طروادة جئنا نلتمس ضيافتك ، باسم زيوس كبير الآلهة وحامى الغرباء » .. فماكان من العملاق الا ان اجابنا بصوته المخيف : « لقد اخطاتم اذ حسبتمونا نبالى بـ «زيوس» او آلهته ، فنحن ابناء « بوزيدون » الذين نفوقهم حسبا ونسبا ! » .. ودون ان يضيف حرفا وضع يده على كتفى اثنين من رجالى فالقاهما بقوة على صخور المغارة بحيث تفتتت جمجمتهما ، ثم قطعهما اربا اربا

واعد منهما عشاءه ! وحين انتهى من التهامهما ، لحما وعظما ونخاعا ، تمدد على الارض وسط خرافه واستغرق فى النعاس !

« فكرت ان استل سيفى الحاد واجهز عليه .. لكنى تذكرت اننى لو فعلت لهلكنا جميعا ، فماكان فى وسعنا جميعا تحريك الحجر الذى يسد مدخل المغارة ! وهكذا لبثنا نبكى وننتحب فى انتظار شروق الفجر .. فلما لاح استيقظ العملاق فاشعل ناره وحلب ماشيته ثم استدار الى اثنين آخرين من رجالى فاعد منهما وجبة افطاره ! وحين فرغ من التهامهما دحرج الحجر وخرج يسوق اغنامه ثم اعاد سد باب المغارة بالحجر مرة اخرى ومضى الى سبيله ، تاركا اياى اشحذ ذهنى بحثا عن مخرج من مأزقنا ..

« واخيرا اهتديت الى خطة : كانت فى المغارة هراوة ضخمة من خشب الزيتون الاخضر ، بحجم صارى مركب من ذوات العشرين مجدافا ، فقطعت منها جزءا طوله ستة اقدام وجعلت رجالى يسنون طرفها ويجففونها فى النار ، ثم اخفيتها تحت اكوام السماد التى تحتل ركنا من المغارة ! .. فلما اقبل صاحبنا فى المساء مع اغنامه دحرج الحجر وتعشى ايضا باثنين آخرين منا .. وعندئذ قدمت له كاسا من النبيذ القوى الذى كان معنا ، فجرعها دفعة واحدة وقال وهو يلعق شفتيه بلسانه مستمرئا : « لكأن هذا رحيق الآلهة ! والآن هلا ذكرت لى اسمك كى امنحك منحة الغرباء ؟ » .. فاجبته وانا اقدم له كاسا اخرى : « اسمى (لا احد) ، فلا تنس المنحة التى تحدثنى عنها ! »

« وعندئذ اجابنى بلهجة افزعتنى : « (لا احد) ، لسوف آكلك عندما افرغ من التهام رجالك جميعا . هذه منحتى التى اقدمها للغرباء ! » .. ثم استدار على جنبه واستغرق فى نعاس ثقيل من تأثير النبيذ .. بعد ان تقيا بضع قطع من اللحم البشرى الذى التهمه ! .. وللحال تهيأت لتنفيذ خطتى : القيت بالهراوة فى بقايا النار المشتعلة حتى احمرت كالجمرة ، ثم فقأت بها عينيه بكل قوتى ، وانا ادير سنها المحمى فى محجريه .. حتى احترقت عيناه واجفانه واهدابه جميعا ، وهى تتلظى على آثار النار وتحدث صوتا شبيها بصوت الحديد المحمى حين يغمسه الحداد فى الماء البارد !

« واطلق العملاق صرخة رهيبة اهتزت لها جدران المغارة ، ففررنا من وجهه الى ركن قصى ، بينما انتزع هو الهراوة من عينه والقاها بعيدا وهو يصرخ مناديا قومه الذين يقطنون كهوفا مجاورة .. فتجمعوا على استغاثته امام باب المغارة وصاحوا يسألونه عمن يهاجمه ، فاجابهم بأعلى صوته : « (لا احد) يهاجمنى ، (لا احد) يؤذينى ! » .. وعندئذ قالوا له : « مادام لا احد يؤذيك او يهاجمك فلابد ان الاله بوزيدون قد اصابك بمرض ، وفى هذه الحالة لانستطيع مساعدتك ! » .. ثم مضوا وتركوه !

« وعندئذ تحسس العملاق طريقه الى باب المغارة فدحرج الحجر وجلس فى الباب مادا يديه ، لمنع اى واحد منا يحاول الفرار ! .. لكننا تسللنا فى هدوء

الى الخراف فتعلق كل منا ببطن واحدة منها متشبثا بصوفها . وهكذا مررنا به في خروجنا آمنين ، وهو يتحسس ظهور الخراف بيده ، ونحن متعلقون ببطونها ! .. فلما صرنا خارج المغارة دفعنا الخراف أمامنا الى السفينة وابحرنا فيسلام . وحين ابتعدنا عن منطقة الخطر ناديت العملاق شـامتا معيرا ، فدفعه الغيظ الى ان ينتزع قطعة ضخمة من التل ويقذفها في الاتجاه الذى سمع منه صوتى ، فكاد بذلك يغرق سفينتنا .. لكننى مضيت اعيره واشمت به ، فلم يجد وسيلة ينفث بها عن حنقه سوى ان يدعو آلهه «بوزيدون» كي ينتقم له .. فسمعه الاله ووعد بالاستجابة لدعائه !

◆ « وبلغنا جزيرة (ايولاس) ـ الاله المتحكم في الريح ـ فأعطانى حقيبة حبس فيها جميع الرياح المضادة لاتجاه سيرنا ، وربطها بخيط فضى رفيـع لايحتمل أبسط ضغط . ثم أرسل رياحه الغربية لتدفعنى في اتجاه موطنى .. فقضينا تسعة أيام فى احسن حال . وفى اليوم العاشر لاحت لنا ارض الوطن الحبيب ، حتى لقد لمحنا قومنا يشعلون النار لارشادنا الى مدخل الميناء ، فغلبنى الفرح والتعب واستغرقت فى النعاس .. وفى أثناء نومى تناقش بحارتى فى أمر الحقيبة التى أعطانيها ايولاس ، مرجحين ان تكون محتوياتها منحة ثمينة من الذهب والفضة ! ودفعهم الفضول الى فتحها ، فاذا الرياح الحبيسة فيها تنطلق باقصى قوتها فتعيدنا القهقرى مسافة بعيدة الى عرض البحر !

« وبعد عدة أيام وصلنا الى جزيرة الالهة « سيرك » ، فأرسلت نصـف رجالى لاستكشاف أمر الجزيرة .. فمضوا حتى بلغوا قصر « سيرك » ، التى استقبلتهم هاشة مرحبة ثم سقتهم نبيذا ممزوجا بمخدر خاص ينسيهم وطنهـم وبيوتهم .. وفى النهاية سحرتهم بصولجانها فصاروا خنازير ، وان احتفظوا بعقول البشر !.. فلما انقضى وقت طويل دون أن يعودوا الينا أخذت سـيفى ويممت شطر القصر . وفى الطريق ظهر لى « هرمس ذو الحذاء الذهبى » فاطلعنى على مصير رجالى واعطانى عشبا خاصا يحمينى من سـحر « سيرك » ، ثم اوصانى أن أرفع سيفى عليها اذا ما همت باشهار صولجانها فى وجهى ، وعندئذ تسألنى الرحمة وتصير صديقتى !.. وقد حدث هذا كله بالفعل ، ورفعت « سيرك » سحرها عن رجالى فعادوا سيرتهم الاولى .. وعشنا جميعا مع الالهة فى جزيرتها عاما كاملا ! (انظر الصورة صفحة ١٦٥)

◆ « فلما انقضى العام ناشدت (سيرك) أن تسمح لنا بالذهاب ، فقبلت ، ولكنها اشترطت أن نمضى أولا الى مملكة (هيدس) كى نسأل العراف الاعمى « تيريسياس » عن مصيرنا وعن الطريق الذى نسلكه .. فوعدتها بتنفيذ رغبتها واقلعنا . وحين وصلنا الى غايتنا الفيناها تقع عند أقصى حدود العالم ، حيث كل شئ يغلفه الضباب والغمام . . فحفرت خندقا وسكبت فيه دماء خراف التضحية ، فلم تكد ارواح الموتي تشم رائحة الدم حتي أقبلت تتجمع بالقرب

منه .. وكانت بينها عرائس ، وشبان عزاب ، وشيوخ طاعنون فى السن ، وفتيات ناضرات .. لكنى شهرت سيفى فوق الخندق واشترطت على الارواح ألا تقترب منه الا اذا تحدثت أنا أولا الى العراف « تيريسياس » !.. ولمحت بين الارواح روح أمى التى تركتها حية حين رحلت الى طروادة فى بداية الحرب ، فبكيت لمرآها .. لكنى أصررت على عدم السماح لها بالاقتراب من الدم الا بعد مقابلتى للعراف !

« واخيرا جاءنى « تيريسياس » وفى يده صولجان ذهبى ، فشرب الدم القاتم الذى فى الخندق .. وبدأ يتنبأ : « أرى أمامك كوارث عديدة ، لكن فى استطاعتك أنت وجماعتك أن تصلوا الى بيوتكم سالمين اذا حرصتم لدى وصولكم الى جزيرة « تريناشيا » على عدم ايذاء قطعان ماشيتها التى من سلالة « هليوس » الذهبية . اما اذا مسستموها باى أذى فسوف يحيق الدمار بسفينتك ورجالك ، وحتى لو عدت أنت وحدك حيا فستكون عودتك فى ظروف سيئة يخيم فيها على بيتك الحزن والاسى . وسوف يصيبك الموت فى البحر ، ولو فى أرذل العمر .. الخ »

« وبعد أن فرغ العراف من نبوءته شاهدت كافة أنواع العذاب التى تصيب الاشرار فى الجحيم ، وكانت من البشاعة بحيث بادرت بالفرار من المكان عائدا الى السفينة ، ثم اقلعنا تسوقنا ريح هادئة ..

◆ « وكانت (سيرك) قد حذرتنا من عرائس البحر التى تنادى ضحاياها بصوت عذب يفيض اغراء ، كما حذرتنا من الاقتراب من حقل ازهار تلك العرائس .. فلما دنونا من جزيرتها صهرت شمعا وسددت آذان رجالى به كى لا يسمعوا النداء المغرى ، ثم أوصيتهم بأن يقيدونى الى صارى السفينة ولا يحلوا وثاقى مهما الححت ، حتى نجاوز الجزيرة الخطرة !.. وحدث بالفعل اننا لم نكد ندنو من هناك حتى نادتنى العرائس بصوت عذب ، متوسلات الى أن اقضى معهن فترة من الوقت ، فانتابنى حنين دافق الى اجابة ملتمسهن ، واشرت الى رجالى كى يحلوا وثاقى .. لكنهم بدلا من ذلك احضروا حبالا أخرى وشددوا بها من قيودى ، حتى جاوزنا منطقة الخطر !

« وبلغنا أخيرا جزيرة (تريناشيا) التى ترعاها قطعان (هليوس) ، فحذرت رجالى من نبوءة العراف ، ووعدونى بعدم المساس بتلك الماشية .. لكنهم أثناء احدى فترات تغيبى عنهم أغراهم الجوع وتحريض شرير منهم فذبحوا بعضا من الابقار وأكلوها !.. واذ ذاك احتدم غضب (هليوس) العظيم وناشد (زيوس) كبير الآلهة أن يعاقب أولئك المجترئين على ماشيته ، فوعده بما طلب .. وهكذا لم نكد نبحر حتى هبت عاصفة عاتية حطمت السفينة فاغرقتها بجميع من فيها ، سواى !.. ثم لفظتنى الامواج على شاطىء جزيرة (كاليبسو) حيث عشت أسير ربتها ثمانى سنوات .. وأنتم تعلمون طبعا كل ماجرى لى هناك خلال تلك المدة ، فلماذا أكرره ؟ »

- ٣ -

◆ **واذ** فرغ البطل « اوديسيوس » من سرد قصته على مسامع مضيفيه - حاكم الجزيرة ونبلائها - لاذوا جميعا بالصمت ، وقد أدركتهم الشفقة عليه .. ثم أمر له الحاكم بسفينة سريعة تحمله فورا الى موطنه « ايثاكا » .. وهناك لم يكد يهبط الى الشاطىء فيستلقى عليه ليستريح ، **حتى ظهرت له الآلهة « اثينا » ذات العينين الغبراوين وحدثته عن المحاولات التى يبذلها نبلاء ايثاكا لاستمالة زوجته « بنيلوبى » وخطب ودها ! ثم نصحته « اثينا » بأن يتنكر فى زى متسول طاعن فى السن ، كى يرى كل شىء بنفسه رؤية العين !..** فتنكر أوديسيوس كما أوصته ، ثم سلك طريقا وعرا مهجورا الى كوخ راع للخنازير كان يحبه ، يدعى « يومايوس » ، وهناك كشف للراعى نقاب تنكره ، فأكرم هذا وفادته . وصادف فى تلك الاثنــاء أن دخل الكوخ ابن اوديسيوس - المدعو « تيليماخوس » - فلما تعرف على أبيــه تعانق الاثنان عناقا حارا وفاضت من أعينهما دموع الفرح .. ثم رسم الاثنان خطة احباط مؤامرة النبلاء الطامعين فى الزوجة الوفية !

وكان هؤلاء يقيمون فى تلك الليلة احدى ولائمهم الصاخبة فى بيت اوديسيوس ، فمضى البطل المتنكر الى هناك وجلس أمام الباب يتسول ويطلب طعاما .. ثم انتهز فرصة فتسلل الى داخل البيت ، مارا بكلبه المسن « أرجوس » الذى كان راقدا مريضا ، تعيث فى جسمه الحشرات .. فعرف الكلب سيده ، لكنه لم يقو الا على أن يهز له ذيله مرحبا !.. أما السادة السامرين فلم يروا فى الرجل المسن غير شحاذ يستجديهم خبزا ولحما ، فتصدقوا جميعا عليه، عدا واحداكان أغناهم جميعا وأرفعهم شأنا - ويدعى انطينوس - فقد انتهره ثم ضربه بمقعد ، فتقبل البطل الاهانة صاغرا وهويتوعد النذل فى سره ويطوى قلبه على نية الانتقام منه!

وفى تلك الاثناء أوحت « أثينا » الى بنيلوبى أن تضع حدا

لانتظارها العقيم لزوجها المفقود ، فتخرج قوسه العظيم وجعبة من السهام الى القاعة الكبرى وتعلن على ملأ من خاطبى ودها ان من يقوى منهم على شد القوس واطلاقه تقبله زوجا لها وتمضى معه من فورها الى داره !

فلما أعلنت بنيلوبى النبأ هلل له الجميع مرحبين ، لكنهم حين جربوا القوس لم يستطع واحـــد منهم أن يثنيه ، برغم استماتتهم فى المحاولة ٠٠ وعندئذ برز الشحاذ « أوديسيوس » من وسطهم وأمسك بالقوس ، فضج الحاضرون بالضـــحك والسخرية ٠٠ لكن ضجيجهم انقلب الى صمت ذاهل حين رأوه يجذب القوس ويطلقه فى سهولة ويسر ! ثم ينفض عنه أسماله ويظهر لهم على حقيقته ، بكل بأسه وجبروته ، وقد خف ابنه تيليماخوس الى جواره يتألق فى حلة برونزية براقة ٠٠

وجذب البطل قوسه وأطلق ســهمه الاول ، فأصاب غريمه « أنطينوس » فى حلقه وهو يجرع كأسا من النبيذ ٠٠ فسقط يتخبط فى دمه ، وقلب المنضدة بقدميه وهو ينتفض انتفاضته الاخيرة كالمذبوح ٠٠ وساد الهرج والمرج ، وهب الباقون على أقدامهم فزعين ، وتلفتوا يبحثون عن الرماح والدروع التى كانت معلقة على الجدران ٠٠ لكن تيليماخوس الماكر كان قد سارع فأخفاها ! واذ ذاك استل الاشرار سيوفهم ذات الحدين واختطفوا المناضد فاتخذوا منهـا دروعا ثم اندفعوا نحـــو أوديسيوس مستميتين ٠٠ لكنه مضى يصرعهم بسهامه واحدا بعد الآخر ، وابنه يعاونه برمحه الطويل ، وخدمه الاوفياء يشدون أزره بكل ما فى وسعهم من حيلة أو بأس ، ويذبحون من بقى من الاشرار بأى سلاح يجدونه فى متناولهم ٠٠ حتى سالت دماء هؤلاء أنهارا ولوثت صحاف الاطعمة الفاخرة التى أعدوها لمأدبتهم !

وحين لم يبق منهم على قيد الحياة أحد ، مضى البطل الظافر أوديسيوس الى زوجته العفيفة ، الوفية ، الصابرة ، « بنيلوبى » فعانقها عناقا حارا ، صب فيه أشواق ٠٠ عشرة أعوام !

الحياة قصة

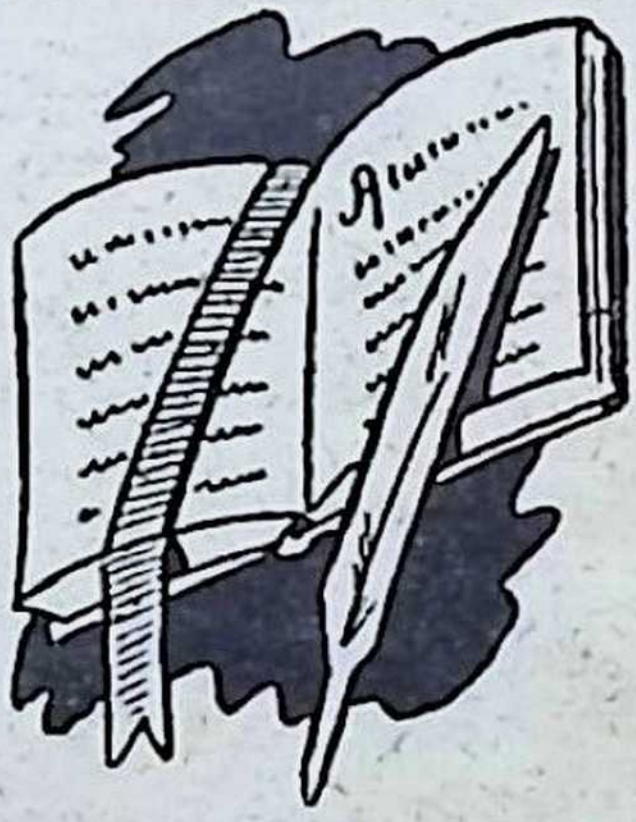

روائع القصص العالمي

عزيزي القارىء ...

قرأت معي في الاعداد الماضية من «كتابي» ، القصص العالمية الاتية على التوالي :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء : جون جالزورثي
- مرتفعات وذرنج : اميلي برونتي
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام : فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتي
- ايام بومباي الاخيرة : لورد ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة : جورج أونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين : سنكلير لويس
- الشيطان على الارض : برتراند رسل

واليوم اقدم لك القسم الثاني من هذه القصة التي سكب فيها (برتراند رسل) عصارة تجاربه طيلة ثمانين عاما ويزيد .. وفي الاعداد القادمة اقدم لك باذن الله المزيد من هذه القصص العالمية ، وفي مقدمتها :

- تاييس : أناتول فرانس

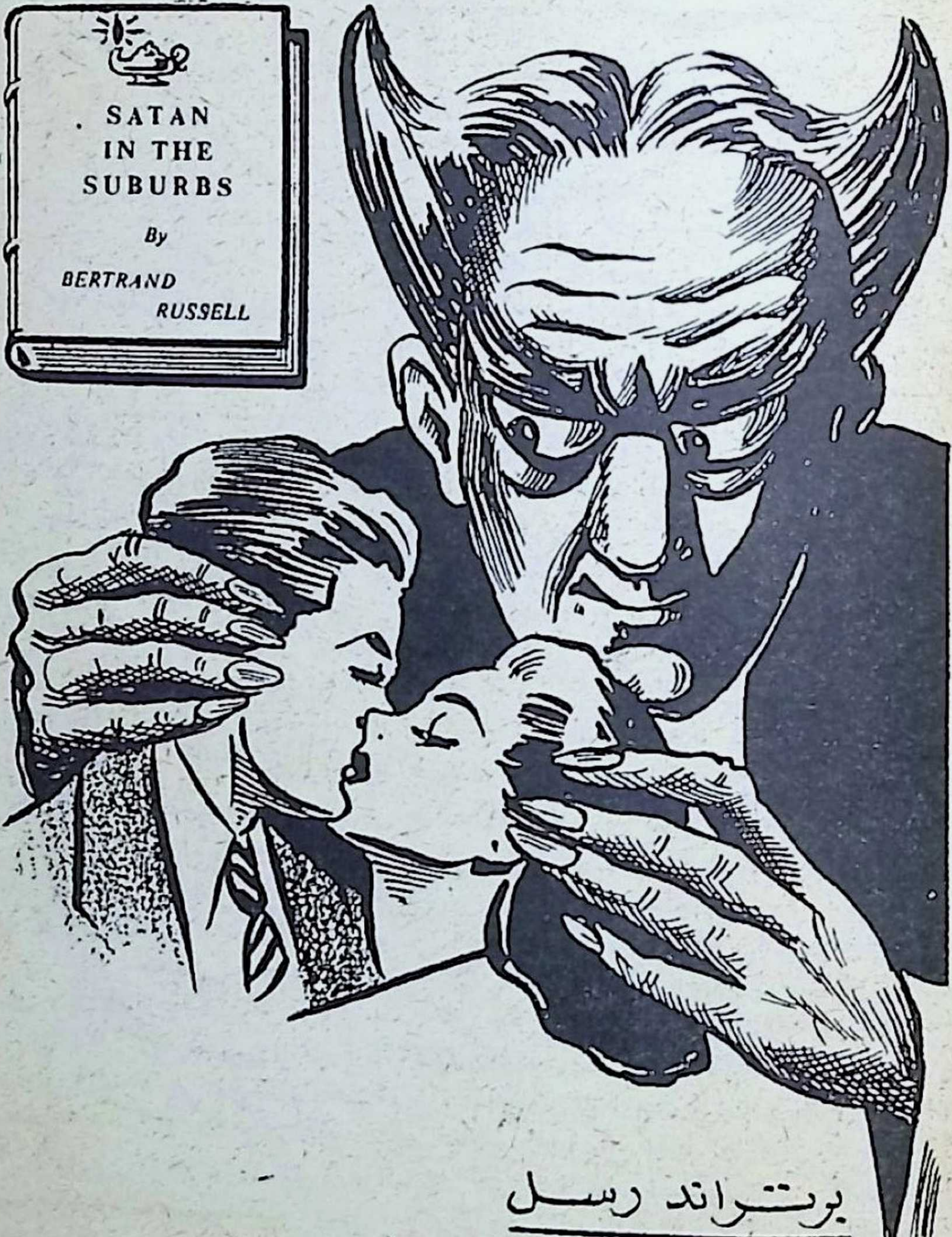

برتراند رسل

الشيطان .. على الأرض !

هذه القصـــــة

◆ منذ كتب شاعر الالمان العظيم « جيتة » مسرحيته الشعرية الخالدة «فاوست» ـ التى قدمتها لك فى كتابى الرابع عشر ـ لم يصور كاتب عالمى معركة « الخير والشر » ، وحيرة الانسان المريرة بين ارضاء ربه والانتصـار على نفسه الامارة بالسوء ، وبين الخضوع لغواية الشيطان والولوغ فى المتع المحـرمة ٠٠ مثلما صورها الفيلسوف العالمى المعاصر « برتراند رسل » فى قصته هذه ، الاولى والاخيرة ، التى صدرت حديثا ـ منذ شهرين فقط ـ والتى كتبها « رسل » بعد أن جاوز الثمانين ، فجمع فيها حكمة وتجارب هذا العمر الطويل الذى قضـاه الفيلسوف الكبير فى البحث والدراسة وملاحظة أحوال البشر ٠٠ والتمرس بالحياة !

وقد ذكرت لك عند تقديمى اليك هذه القصة فى كتابى الماضى ، ان روعتها تظهر فى سياقها التحليلى وتسلسلها التفصيلى ، أكثر مما تظهـر فى حوادثهـا ذاتها ٠٠ ومن ثم فقد عز على أن أفقدها بالتلخيص الموجز شيئا من جمالهـا ، فآثرت أن أقدمها اليـك فى تلخيص مطول أقرب الى الترجمة الكاملة ، ولو اضطرنى ذلك الى تجزئتها الى عددين أو أكثر ، سيما وانها بطبيعتها مؤلفة من عدة أقسام بل عدة قصص تكاد تكون مستقلة كل عن الاخرى تمام الاستقلال ، وان جمعتها فى البداية والنهاية وحدة شخص الراوى ، ووحدة المغزى والهدف !

وقبيل أن أقدم اليك الحلقة الجديدة ، شبه المنفصلة ، من هذه القصة ٠٠ يحسن أن أذكرك ـ فى سطور ـ بالحلقة الاولى السابقة :

❖

◆ يقول الراوى : « عند عودتى من عملى ذات مساء الى حيث اقطن فى ضاحية (مورتليك) ـ من ضواحى لندن ـ لمحت لافتة نحاسية وضعها المستاجر الجديد لدار كنت امر بها فى طريقى الى بيتى كل يوم ٠ وكانت اللافتة تعلن عن مهنـة هذا الساكن الجديد ـ ويدعى « الدكتور ملاكو » ـ وهى معالجة الذين يشكون الضجر والسأم من الحياة بارشادهم الى مغامرات أو « مخاطرات » تعطى لحياتهم طعما جديدا ، أو بالاحرى تقلب نظام حياتهم رأسا على عقب !

وأثارت اللافتة فضولى ٠٠ ثم زاد من حدة هذا الفضول اننى لمحت ذات مساء جارى « مستر أبركرومبى » خارجا من تلك الدار فى حال من الاضطراب والشرود تلفت النظر !٠٠ وفى الليالى التالية رأيت ثلاثة آخرين من سكان الضاحية فى نفس المكان ، ونفس الاضطراب !٠٠ ثم علمت بعد أيام أن الاربعة قد احتجبوا فى بيوتهم فى ظروف غامضة ، فمضيت لزيارتهم واحدا بعد الآخر ٠٠ لكنهم ابوا جميعا أن يفصحوا لى عما اصابهم فبدل حالهم ٠ ٠ وعندئذ دفعنى القلق الى زيارة الدكتور ملاكو نفسه ، لعله يشرح لى جلية أمر زواره الاربعة ، لكنه

صدمنى معتذرا بأن الاسرار التى ياتمن عليها المرضى « اطباءهم » ، لهـا حرمة الاعتراف الدينى !٠٠ وهكذا قنعت مرغما بانتظار ماتاتى به الايام ٠٠ حتى فوجئت ذات يوم بنبأ القاء القبض على اولهم « مستر ابركرومبى » ، ثم بنبـأ انتحار الثانى « مستر بوشامب » !٠٠ ومن حديثى مع الاول فى سجنه ، ومن الرسالة التى تركها الثانى للمرأة التى احبها ، وقفت على ماساتيهما : وتتلخص ماساة الاول ـ وكان مديرا لاحد المصارف ومرشحا لعضوية البرلمان ـ فى ان الشيطان الارضى « الدكتور ملاكو » قد اغراه باختلاس مبلغ كبير من المال ومحاولة الصاق التهمة باحد مرءوسيه ، لكن امره كشف فقضى على مستقبله وزج به فى السجن ! ٠٠ اما الضحية الثانية ـ وكان رجلا فاضلا يعيش من توزيع الكتب الدينية ـ فتتلخص ماساته فى انه وقع فى حب امراة لعوب ، فلما ذهب يستشير الدكتور ملاكو فى كيفية اغراء هذه المراة بان تبادله حبه ، هداه « الشيطان الارضى » الى ان انجع وسيلة لكسب المراة هى اغداق المال عليها بلا حساب ٠٠ اما كيفية الحصول على هذا المال فليس ابسط منها : ففى وسع الرجل ان يتفق مع احد ناشرى الكتب المبتذلة والمطبوعات المريبة على ان يتقاضى منه اجرا كبيرا نظير الدعاية لمطبوعاته باعتبارها نماذج تشرح لقراء الكتب الدينية ماهية الخطايا التى تحذرهم منها كتب الدين !

وبعد معركة رهيبة بين ضمير الرجل وبين اغراء هذا الشيطان ، انتصر الاخير ٠٠ فوقع مستر بوشامب فى الفخ ، واعد عدته لتنفيذ ذلك الاتفاق الشائن ٠٠ لكن امره انكشف بواسطة بوليس الآداب ، فلم يجد التعس مخرجا ينقذه من السجن والعار سوى الانتحار ٠٠ ففعل بعد ان ترك رسـالة وداع للمراة التى احبها وارتكب من اجلها ما ارتكب ، يشرح لها فيها ماساته ٠٠

وبعد هذا الموجز السريع للحلقة السابقة من قصة برتراند رسل ، تستطيع ان تتابع القراءة ، فتنصت للراوى يستانف قصته :

✻

◆ بعد هذا المصير المفجع لمستر بوشامب ، انقضت اسابيع قبل ان اقف على ما جرى للضحية الثالثة « مستر كارترايت » ، الذى وان جاء مصابه ارحم واخف وطأة مما اصاب سابقيه ، الا انه على اية حال مصاب لايرحب به انسان !

كان مستر كارترايت مصورا شهيرا من محترفى فن التصوير الفوتوغرافى ، يحظى بلقطات عدسته اشهر نجوم السينما ورجال السياسـة ٠ وكانت له « مساعدة » ذات حظ وافر من الجمال تدعى « لاليج سكراجز » ، لايشوب جمالها ـ فى نظر عملائه ـ غير فتورها الملحوظ نحوهم !٠٠ على انه يقال ان هذا الفتور كان معدوما فى علاقة المراة بشخص مستر كارترايت ، بل انهما كانا على صلة عاطفية حارة لايدعمها ـ للأسف ـ اى رباط شرعى !

على ان هناء مستر كارترايت كان يشوبه منغص واحد شديد : هو أنه برغم انهماكه فى عمله ليل نهار ، وبرغم ان عملائه من علية القوم كانوا يزدادون يوما بعد يوم ، فقد كان عاجزا عن اشباع مطالبه المادية ومطالب معشوقته الفاتنة «لاليج» ، بسبب جشع وتعسف ٠٠ مصلحة الضرائب !

كان الرجل يحدث نفسه فى مرارة : « ماجدوى كل هذا العناء الذى اقاسيه ، اذا كانت الحكومة تستولى منى على تسعة أعشار دخلى لتنفقه على كذا وكيت من الامور التى لا تهمنى فى شىء !؟»٠٠ وقد تفاقم تذمره هذا بمرور الايام حتى أفسد حياته ، وجعله يفكر جديا فى المهاجرة الى مملكة « موناكو » الحرة مثلا ، كيما ينجو من قبضة مصلحة الضرائب !٠٠ فلما قرأ لافتة « الدكتور ملاكو » خطر له أن يزوره ، لعله يجد عنده مايبدد ضجره من الحياة بسبب الغبن الذى يلحقه من تلك المصلحة ٠٠ وحصل منه بالفعل على موعد فى عصر يوم لم يكن مطالبا فيه بتصوير أية ممثلة سينمائية ، او وزير ، او سفير دولة أجنبية ! ٠٠ حتى سفير الارجنتين الذى كان قد وعده بان يدفع له أجره «عينا» من اللحم البقرى ، اختار للدفع يوما آخر !

❖

◆ وفى الموعد المحدد مضى الرجل الى دار «الطبيب» ، فلما ساله الدكتور ملاكو عن طلبه ، أجابه : « أريد الاهتداء الى طريقة لكسب المال لاتقع تحت طائلة مصلحة الضرائب ٠٠ فاذا استطعت ان ترشدنى الى مثل هذه الطريقة كنت لك شاكرا ممتنا » ٠٠ فماكان من الدكتور ملاكو الا ان اجابه بقوله : « اعتقد أن فى وسعى ارشادك الى ماتطلب ، فان الامر قد بات يمس كبريائى المهنى ، بحيث يخجلنى ان اخذلك ٠٠ واليك قصة قد تعينك فى هذا الصدد : لى صديق يعيش فى باريس ، هو بدوره مصور فوتوغرافى نابغ مثلك ، وله مثلك مساعدة حسناء فاتنة ، شديدة الولع بمتع باريس وملاهيها ـ وبالتالى شديدة الاسراف فى نفقاتها ! ـ وقد أرهقته الضرائب بتقديراتها الباهظة ، فهداه تفكيره آخر الامر الى ممارسة مهنته بطريقة تقدمية مبتكرة : هى ان يتتبع حركة كبار القادمين الى العاصمة من ذوى الشخصيات الكبيرة والاسماء اللامعة ، فاذا علم بوصول واحد منهم رابط فى انتظاره فى مدخل الفندق الذى اختاره لمقامه ٠ وهناك تقف المساعدة الحسناء بالقرب من مكان موظف (الاستعلامات) المختص بتسجيل اسماء نزلاء الفندق وارشادهم الى ارقام حجراتهم ٠٠ فلا يكاد الزائر الكبير يقف امام الموظف المذكور ليتم اجراءاته حتى تتظاهر المساعدة الحسناء بانها قد أصيبت بدوار وانها على وشك السقوط مغمى عليها ٠٠ فيخف العظيم « الشهم » طبعا الى نجدتها ٠٠ وفى اللحظة التى يحيطها فيها بذراعيه ليحميها من السقوط ، يلتقط المصور الماكر صورتهما فى ذلك الوضع !٠٠ وفى اليوم التالى يمضى

لزيارة صاحبنا فى جناحه الخاص ومعه نسخة مطبوعة مكبرة من الصورة التى التقطها له بالامس ، ثم يسأله عن المبلغ « الدسم » الذى هو مستعد ان يدفعه ثمنا للحصول على أصل الصورة وجميع النسخ التى طبعت منها ! فاذا كان «سياسيا» أمريكيا او رجلا بارزا من رجال الدين مثلا ، لم يتردد فى دفع مبلغ كبير اتقاء للفضيحة ! ٠٠ وبهذه الطريقة ضرب صاحبى ثلاثة عصافير بحجر واحد: أولها انه يربح أرباحا طائلة ، وثانيها انه لايخضع لرقابة أو سلطان مصلحة الضرائب ٠٠ وثالثها انه بعد ان كان يعمل ليل نهار ، صار يعمل يومين فقط فى الاسبوع : اليوم الذى يلتقط فيه الصورة ، واليوم الذى يزور فيه الضحية ! اما مساعدته الحسناء فعملها قاصر على يوم واحد فقط ٠٠ وبقية أيام الاسبوع يقضيانها معا فى اللهو وانفاق المال ! » .

وختم الدكتور ملاكو قصته قائلا لزائره : « لعلك تجد فى هذه الحكاية الواقعية مخرجا لك من الغبن الذى تشكوه » ٠٠ والواقع ان القصة راقت فى نظر المصور المشهور ، فلم يجد فيها غير عائقين : أولهما خوفه من افتضاح امره ، ووقوعه فى قبضة رجال البوليس ٠٠ والعائق الثانى – والأقوى – غيرته على مساعدته الحسناء من التقلب فى أذرع الرجال البارزين ، التى قد تجد بينها ذراعين تفضلهما على ذراعيه هو !

ولكن فيماهو متردد يقلب الامر على وجوهه ، تلقى اخطارا بوجوب دفعه مبلغ اثنى عشر الف جنيه ، « كضريبة دخل ، وضريبة ارباح استثنائية » !٠٠ ولما كان الرجل لايؤمن بفضيلة الادخار ، ولم يكن فى وسعه تدبير هذا المبلغ الضخم بأية وسيلة ، فانه لم يبق امامه غير ان يحذو حذو ذلك المصور الباريسى الماكر !

وبعد تفكير وموازنة ، قرر ان يكون ضحيته الاولى اسقف اقليم « بوريا بولاجا » – بأواسط افريقيا – وكان الاسقف يزور لندن لمناسبة عقد مؤتمر دينى كبير فيها ٠٠ وسار كل شىء طبقا للخطة الموضوعة ، فسقطت المساعدة الحسناء بين ذراعى الاسقف الوقور ، واحاطت الذراعان بجسمها اللين دون ادنى اجفال ظاهر ! وبرز مستر كاترايت من مكمنه فى اللحظة المناسبة ، ثم زار الاسقف فى جناحه فى اليوم التالى حاملا اليه معه صورة كبيرة « معبرة » !

وكان الثمن «المتواضع» الذى طلبه المصور من الاسقف ثمنا لتلافى الفضيحة الف جنيه كاملة ، عجز الرجل عن دفعها فاعطى دائنه كمبيالة بها تعطيه الحق فى الحجز على مرتبه اولا باول !٠٠ وهكذا خرج «كارترايت» معجبا بسعة صدر رجل الدين وسهولة اقتناعه بمقتضيات الموقف ٠٠

*

◆ على ان الاسقف كان – لسوء حظ كارترايت – رجلا واسع الحيلة قاسى الدعابة ، الامر الذى ادى الى لوم رؤسائه الدينيين له فى عدة مناسبات وابعادهم

اياه الى ذلك المركز التبشيرى النائى فى أواسط افريقيا .. وهكذا لم يكد يقع فى مازق تلك الصورة الفاضحة التى التقطت له ، حتى راح يقدح زناد فكره بحثا عن وسيلة ينجو بها من قبضة المصور ، ويوقعه فى قبضته هو اذا استطاع ! .. واخيرا هداه تفكيره الى هذه الحيلة : أرسل الى كارترايت رسالة تبدو صادرة من السفير السوفيتى ، يدعوه فيها الى مقابلته فى فندق عينه . وفى الساعة المحددة ارسل ممثلا مغمورا وجده شديد الشبه للسفير المذكور ، كى يقابل المصور منتحلا صفة السفير .. وبعد أن صافح السفير المزعوم صاحبنا سلمه فى يده ظرفا كبيرا .. وفى تلك اللحظة بالذات سمع كارترايت صوتا خافتا مالوفا لديه . كان صوت آلة تصوير تلتقط صورة له من وراء ستار وهو يتناول الظرف من السفير السوفيتى ! وعندئذ نظر كارترايت الى الظرف فاذا مكتوب عليه تحت اسمه ، باضخم خط : « عشرة ملايين روبية »

.. وفى اليوم التالى كان الاسقف هو الذى زار كارترايت ، ليعرض عليه الصورة الخطيرة ويقول له : « والآن ياصديقى ، احسبك لاتجهل انه اذا كانت صورتى وانا أعانق امراة حسناء فيها شيء من الغضاضة بالنسبة لمركزى الدينى فى (بوريا بولاجا) ، فلاشك أن صورتك وانت تقبض هذا المبلغ الضخم من السفير الروسى ، تنطوى فى نظر سلطات الدولة على مغزى أخطر بكثير من تلك الغضاضة !.. على اننى لن أقسو عليك ، فانى معجب فى الواقع بعبقريتك ، ومن ثم لن أطالبك فى نظير تسليمك أصل هذه الصورة ونسخها باكثر من رد كمبيالة الدين الذى فرضته على ، ثم وضع بعض القيود على استمرارك فى ممارسة مهنتك الجديدة . ومن مقتضى هذه القيود أن تقصر تهديداتك المصورة هذه على فئة الاشرار الخونة من الرجال البارزين ، وان يكون نصيبى من الاموال التى تحصل عليها بهذه الطريقة : تسعين فى المائة !.. ولتثق اننى لن أستخدم هذا المال لمنفعتى الشخصية ، وانما لمحاربة الوثنية بين قبائل زنوج افريقيا .. سيما واننى اتبارى فى هذا الشان مع اسقف بلاد « نيام نيام » ، واملى أن افوز عليه فى عدد الرؤوس التى اهديها الى حظيرة الايمان . وقد تبينت أن سكان كل قرية هناك يعتنقون الدين السماوى بمجرد اعتناق رئيس القرية له .. وان رئيس القرية يقبل ذلك عادة مقابل اهدائه ثلاثة خنازير ، يساوى ثمنها هناك نحو ١٥ جنيها .. ولما كان فى منطقتى الف قرية ، فيها الف رئيس ، فان هدايتهم جميعا تتكلف نحو ١٥ الف جنيه ، هى التى ساتقاضاها منك لاتمام رسالتى عن طريق حرفتك الجديدة !

✻

◆ ولم يكن أمام كارترايت غير أن يرضخ لهذه الشروط .. فبدا يطارد العظماء بآلته التصويرية على نطاق واسع ، حتى أكمل « الاتاوة » التى فرضها الاسقف عليه .. وحين سلم اليه المبلغ ، تقبله هذا شاكرا « لشريكه » معاونته

على استئصال الوثنية من قلب القارة .. فاجابه كارترايت متسائلا : « والآن ، احسبنى قد استرددت حريتى منك ؟ »

فانبرى له الاسقف : « لا تتعجل .. فما زالت الصورة فى حوزتى ، فضلا عن أن فى وسعى اقامة الدليل لدى السلطات على انك جمعت المبلغ الذى تبرعت به لاسقفيتى بوسائل غير شريفة ! ومع ذلك فانى كماذكرت لك سيد رحيم ، ورغم انك ستظل عبدا لى فانى سوف أجعل عبوديتك امرا يمكن احتماله .. فهناك عقبتان ماتزالان فى حاجة الى جهودنا : الاولى ان الرئيس الاعلى لقبائل (بوريا بولاجا) لايزال مخلصا لعقيدة اجداده الوثنية .. والثانية ان تعداد هذه القبائل لم يصل بعد الى تعداد قبائل (نيام نيام) . وفى وسعك انت ومساعدتك الحسناء تذليل هاتين العقبتين : فقد ارسلت صورتها الى الرئيس الاعلى ، فجن بها حبا ، وقبل أن يعتنق ايماننا اذا زوجناه منها !.. اما العقبة الثانية ففى وسعك تذليلها بالاقامة فى (بوريا بولاجا) ، حيث سازودك «بحريم» كبير زاخر من نساء القبائل ، بحيث تكون مهمتك أن تنجب منهن اكبر عدد من النسل ، مابقيت لك القوة على ذلك ، كى اهدى هذه الارواح الناشئة الى حظيرة الدين .. وفى حالة ثبوت أى اهمال منك فى تادية واجبك - كما يظهر من تعداد المواليد فى القبيلة - سوف أبادر فورا الى ابلاغ السلطات عن نشاطك الاجرامى السابق !

« على اننى لن اجعل هذا الحكم عليك « مؤبدا » ، فحين تبلغ سن السبعين سنسمح لك وللحسناء «لاليج» بالعودة الى انجلترا .. والآن ، دعنى احذرك من اللجوء الى العنف للفرار من قبضتى ، فقد اودعت فى المصرف ظرفا مختوما تقضى تعليماتى بأن يفتح فى حالة وفاتى فى ظروف مريبة ، وفيه كل المستندات الكفيلة بتدمير مستقبلك !.. وأخيرا فانى اتطلع فى شوق الى اليوم الذى سوف استمتع فيه بصحبتك فى منفانا المشترك .. سعدت صباحا ! »

*

◆ ومرة اخرى ، لم يجد كارترايت مفرا من الرضوخ لهذا الحكم الصارم . وكانت آخر مرة وقع فيها بصرى عليه على ظهر السفينة التى ابحر عليها الى افريقيا ، وكان يودع مساعدته الحسناء وداعا حارا اليما - فقد اجبرها الاسقف على أن تسافر على سفينة أخرى - ولم أملك نفسى ساعتئذ من الرثاء لحاله ، لكنى وجدت عزاء له فى كونه ساهم بنصيب مشكور فى نشر رسالة الدين فى تلك الاقطار الوثنية ..

.. وكانت هذه خاتمة الضحية الثالثة من ضحايا الشيطان الارضى « الدكتور ملاكو » .. وفى كتابى القادم باذن الله نرى ماكان من مصير الضحية الرابعة .. ثم مصير الشيطان نفسه !

نحن وأكبادنا

البيت والعائلة والطفل

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد الثلاثة الماضية قدمت لك من القصص العالمية المبسطة للصغار :

حلم ليلة صيف : لشكسبير

أوليفر تويست : لتشارلس ديكنز ..

الصندوق الطائر : لهانز أندرسن ..

واليوم اقدم لك فيمايلى قصة اخرى من قصص شكسبير ، هى : « الليلة الثانية عشرة » ، المبسطة عن المسرحية المشهورة للشاعر الكبير ، وقد وصفها النقاد بانها «اسعد» كوميديات شكسبير المرحة على الاطلاق ..

فاذا فرغت من قراءة القصة لطفلك طالعت معى فى هذا الباب اختبارا نفسانيا ـ و «عمليا» فى الوقت نفسه ـ للازواج والزوجات ، كتبه عالم نفسانى معروف لارشاد قطبى الاسرة الى درجة نجاح او فشل زواجهما ، واسباب هذا النجاح اوالفشل .. وسترى من صيغة الاسئلة التى صيغ فيها الاختبار ـ انها ذاتها توحى للزوجين بالعلاج الكفيل باصلاح الحالة وتقوية رباطهما المقدس .

وفى الاعداد القادمة اقدم لك باذن‌الله المزيد من هذه القصص المبسطة ، والاختبارات النفسية والابحاث التربوية .. الخ

قصص "شكسبير" للأطفال

الليلة الثانية عشرة

المرأة ذات القناع !

◆ **كان** فى قديم الزمان أمير اسمه الدوق أورسينو ، يحكم مدينة تدعى « ايليريا » ٠ وكان شعبه يطالبه بالزواج، كى ينجب لبلده وليا للعهد يخلفه على العرش عندما يأتى أجله ٠٠ ولكن الدوق لم يستطع تحقيق أمنية شعبه ، لان الفتاة الجميلة التى كان يحبها ويود الزواج منها ـ وكان اسمها أوليفيا ـ لم تكن تحبه كما يحبها هو، فلم تهتم بعواطفه ولا بكلمات الحب الجميلة التى كان يوجهها اليها ٠

وكان للحسناء أوليفيا أخ ، ثم مات هذا الاخ ، فأرسل الدوق أورسينو يعزيها ويخطبها ٠٠ لكنها ردت الرسـول خائبا ، وكلفته أن يقول للدوق :

ـ سأقضى سبع سنوات فى حزن ، ولن أسمح حتى للهواء أن يلمس وجهى ٠٠٠ فسألبس قناعا كلما خرجت من بيتى ، علامة على الحزن الشديد على أخى المحبوب الذى لن أنساه أبدا !

وحزن الدوق اورسينو حزنا شديدا لرفض اوليفيا الزواج منه وتحريمها عليه أن يتصل بها أو يتقرب اليها ٠٠ وتمنى لو وجد انسانا يحكى له قصة حبه وحزنه ، حتى يفرج عن نفسه هذا الالم ٠

وصادف أن وصلت الى المدينة فى تلك الايام سفينة تجارية كبيرة ، لكنها قبل أن تدخل الميـنـاء كسرتها العواصف قرب الشاطىء ، فلم يبق حيا من ركابها غير قائدها وفتاة حسناء اسمها « فيولا » ٠

لكن فيولا لم تفرح بنجاتها ، بل حزنت حزنا شديدا ، لانها اعتقدت أن أخاها التوأم « سباستيان » الذى تحبه الى درجة العبادة قد غرق مع بقية الركاب ! وكان أخوها هذا يشبهها فى كل شىء شبها تاما ، بحيث لا يستطيع أحد أن يميز بينهما اذا لبسا ملابس متشابهة !٠٠ ولم يهدأ حزن فيولا قليلا الا حين

أكد لها قائد السفينة انه لمح أخاها سباستيان متعلقا بشراع السفينة ، وانه قد يكون استطاع النجاة الى شاطىء قريب ..

فتاة فى ثياب رجل !

◆ **وسألت** فيولا أين هى .. فلما عرفت انها فى مدينة ايليريا التى يحكمها الدوق اورسينو الشاب ، قررت محافظة على شرفها وهى غريبة وحيدة أن تتنكر فى ثياب شاب وتلتحق بوظيفة فى حاشية هذا الدوق لتعيش ، بعد أن أطلقت على نفسها اسم « سيزاريو » .. ونجحت بالفعل فى تنفيذ هذه الفكرة ، وظنها الجميع « شابا » جميلا . بل ان الدوق اورسينو نفسه أعجب بالشاب واتخذه صديقا له يقضى وقته فى صحبته ويحدثه عن حبه العظيم لاوليفيا الحسناء ..

وعطفت فيولا فى أول الامر على الدوق الحزين ، ثم تحول العطف فى قلبها الى حب ! .. وذات يوم فكر اورسينو فى ارسال صديقه المهذب العذب الحديث ليستعطف قلب اوليفيا ويقنعها بقبول الزواج منه ، فذهبت (فيولا) - أو سيزاريو ! - الى أوليفيا .. لكن خادمها رفض أن يدخل الشاب الغريب.. فألح هذا وصمم على التحدث الى الحسناء شخصيا !

وسمعت أوليفيا المناقشة الحامية ، فأمرت بالسماح له بالدخول.. **ودخل سيزاريو ، فصرفت أوليفيا الخدم، واستمعت الى عتاب الدوق من لسان هذا الشاب الجميل .. لكنها بدلا من أن يرق قلبها للدوق ، وقعت فى هوى رسوله الجذاب !**

فلما انصرف الرسول بعد قليل ، فاشلا فى مهمته الاصلية ، فكرت أوليفيا فى أن ترسل اليه هدية تعبر بها له عن الحب القوى الذى شعرت به نحوه .. فكلفت رئيس خدمها أن يسرع خلف سيزاريو ، وأعطته خاتمها ليعطيه له قائلا :

- لقد نسيت هذا الخاتم يا سيدى !

وفهم الشاب - أو فهمت فيولا - قصد أوليفيا ، فانها لم تنس

عندها خاتما ، وعلمت أن أوليفيا وقعت فى حبها .. فعادت الى الدوق حزينة القلب جدا ، من أجل الدوق ، ومن أجل أوليفيا ، ومن أجل حبها هى للدوق ، ذلك الحب الذى لا تستطيع التصريح به وهى فى ثياب الشبان !

السر المكتوم !

ولما رأى الدوق اورسينو حزن صديقه سيزاريو (فيولا) قال:

– آه يا صديقى سيزاريو ! أراك أنت أيضا وقعت فى الحب ...

– نعم ..

– وما شكل المرأة التى أحببتها ؟

– مثل شكلك يا مولاى !

– وعمرها ؟

– مثل عمرك يا مولاى !

– انها عجوز بالنسبة لك . ومن المستحسن أن تتزوج المرأة رجلا أكبر منها ، ليحميها ..

– هذا هو رأيى أيضا يا مولاى !

وحاول الدوق أن يجعل سيزاريو (فيولا) يزور أوليفيا مرة أخرى لتكرار العتاب والاستعطاف ، لكنه ماطل وراوغ فى الذهاب ، بل حاول أن يرجع مولاه عن عزمه ، قائلا له :

– خبرنى يا مولاى . ما رأيك اذا كانت هناك سيدة تحبك مثل ما تحب أنت أوليفيا ؟ !

– هذا مستحيل !

– ولكنى أعرف الى أى حد تستطيع المرأة المخلصة أن تحب الرجل . وقد كانت لى أخت أحبت رجلا حبا عظيما جدا .. وربما لو كنت أنا فتاة ، لكنت أحببتك يا مولاى !

– وما قصة أختك هذه مع حبيبها ؟

– قصة لا خاتمة لها .. فقد كتمت حبها ولم تصرح به لحبيبها ،

فكان الكتمان يأكل قلبها ، حتى اصفر وجهها ، وهى صابرة لا تتكلم ... أليس هذا حبا عظيما يا مولاى ؟

ـ وهل ماتت أختك بسبب هذا الحب ؟

ـ مولاى ! الحقيقة ان أبى لم يرزق بنتا أو ولدا سواى .. فهل أذهب الآن الى الكونتس ؟

فنسى الدوق قصة الفتاة ، وتذكر حبيبته فقال :

ـ اذهب بسرعة . واعطها هذه الجوهرة ..

فذهبت فيولا (سيزاريو) .. ولم تستطع اوليفيا فى هذه المرة أن تكتم حبها له ، فاعترفت له صراحة ، فخرج سيزاريو مسرعا من عندها وهو يقول لها :

ـ هذه آخر مرة أحمل اليك رسائل مولاى ...

ولكنها أرسلت خلفه رسولا تستعطفه أن يعود اليها . فرق قلبه لها وعاد .. فأعطته هدية ثمينة ،عربونا لحبها

مبارزة !

◆ **وكان** لاوليفيا معجب آخر غير الدوق ـ اسمه « اندروز »ـ يطاردها بحبه ، ويعرض عليها أن تتزوجه .. لكنها كانت تكرهه وتحتقره جدا .. فلما رآها قد أحبت الشاب سيزاريو ، أكلت الغيرة قلبه !.. فانتهز عم ظريف لاوليفيا هذه الفرصة وأقنع ذلك المعجب المنبوذ ـ اندروز ـ بأن يبارز سيزاريو !

وكان اندروز جبانا ، ولكنه خاف الفضيحة فقبل الاقتراح ، وجرد سيفه لمقاتلة سيزاريو المسكين ، الذى كان لا يعرف كيف يبارز ، وكان يخشى أن يفتضح سره ، ويعرف الجميع انه فتاة!

ولكن حدث لحسن الحظ أن مر فى هذه اللحظة بعض ضباط الدوق ، فمنعوا المبارزة .. !

◆ **وفى** هذه الاثناء كان « سباستيان » (شقيق فيولا الذى يشبهها شبها تاما) قد نجا من الغرق ، وراح يتنقل بين البلاد حتى وصل الى مدينة « ايليريا » وأراد الالتحاق بخدمة الدوق اورسينو ..

وفيما هو ذاهب الى القصر ، التقى فى الطريق بذلك المعجب الثقيل اندروز ، فحسبه اندروز منافسه سيزاريو - الذى فاز دونه بحب أوليفيا - فلطمه على وجهه غاضبا .. وعندئذ هجم سباستيان على اندروز وجعل يضربه حتى وقع على الارض . فأسرع صديقه عم اوليفيا وخلصه من يده ..

وسمعت اوليفيا بالمشاجرة التى وقعت أمام قصرها ، فحضرت مسرعة وصرفت عمها وصاحبه الثقيل سير اندروز ، ثم التفتت الى سباستيان - الذى حسبته هى أيضا حبيبها سيزاريو ! - ووجهت اليه كلاما رقيقا جدا ، ودعته الى دخول بيتها .

ورأى سباستيان جمالها الباهر ورشاقتها ، فوافق على الدخول مسرورا .. فانتهزت أوليفيا الفرصة وعرضت عليه الزواج ، فقبل .. وتم الزواج فى الحال !

تحسبه زوجها !

◆ **أما** سيزاريو (فيولا) فانه عاد الى قصر الدوق مذعورا ، وروى الضباط للدوق قصة المبارزة التى منعوها أمام قصر أوليفيا ، فقرر الدوق أن ينتهز الفرصة فيصحب سيزاريو الى قصر أوليفيا لتصفية الموقف ..

وهناك قابلتهما أوليفيا على باب القصر ، فحسبت سيزاريو زوجها ، وعتبت عليه مفارقته لها بهذه السرعة .. فقال لها الدوق غاضبا : « أتحبين هذا الغلام وتفضلينه على أنا ؟ اذن سأقتله لانتقم منك ! »

فقال سيزاريو (فيولا) لمولاه : « اننى أرحب بالموت

ألف مرة اذا كان فى ذلك راحة لك ! »

لكن أوليفيا ذعرت وخافت على سيزاريو الذى ظنته زوجها ، فصاحت معترضة : « كلا يا زوجى العزيز سيزاريو ‥ لا تذهب معه ! »

فصاح الدوق غاضبا : « أأنت زوجها يا سيزاريو ؟ »

ـ كلا يا مولاى ٠ هذا غير صحيح !

فغضبت أوليفيا ونادت القس ، الذى قرر انه زوجهما فعلا منذ قليل !‥ فصاح الدوق بالشاب : « أيها الخائن !‥ خذها وارحل من هذا البلد حتى لا تقع عليك عينى بعد اليوم ! »

السر ينكشف !

وفى هذه اللحظة دخل السير اندروز ووجهه ملطخ بالدماء ، وقال ان سيزاريو جرحه وجرح عم اوليفيا فى مشاجرة‥ فصرخ سيزاريو قائلا : « أنا لم أجرحك ولم ألمسك ! »

ولكن أحدا لم يصدق كلامه بالطبع !‥ وزادت دهشة الجميع حين دخل « سباستيان » بعد قليل فقال لاوليفيا ‥ « عفوك يا زوجتى ، فقد جرحت عمك ، ولكنى اضطررت الى ذلك ، فسامحينى ‥ »

فصاح الدوق وهو ينقل بصره بين سباستيان وسيزاريو ، مذهولا : « وجه واحد ، وصوت واحد ، فى شخصين ! »

وصاح سباستيان نفسه بسيزاريو ، حائرا : « ليس لى أشقاء ٠ ولكن لى أختا غرقت ، فلو انك كنت فتاة أيها الشاب لعانقتك وقلت هذه أختى فيولا بعثت من الموت ! »

وهنا اعترفت فيولا بالحقيقة ، وعانقت أخاها بين دهشة الجميع ‥ وتحرك قلب الدوق اورسينو فأحب فيولا ، وتذكر ما حدثته به عن حب أختها المزعومة ، فعلم أنها تحبه حبا عظيما‥ وتزوجها فى ذلك اليوم باحتفال رائع ٠

وتمت سعادة الجميع على أكمل وجه

امتحن زواجك

◆ هذا امتحان طريف مبنى على أسس علمية ونفسية ، وفق احصاءات خبير الزواج الانجليزى « فرانك فيلدمان »

وطريقة اجراء هذا الامتحان أن تجيب ـ أو تجيبى ـ على كل من الاسئلة التالية باحدى هذه الاجابات الثلاث « نعم » ٠٠ أو « ليس دائما » ، أو « لا » !

ولاتحاول أن تقرأ طريقة احصاء الدرجات ـ المبينة فى نهاية المقال ـ قبل أن تنتهى من الاجابة على الاسئلة !

١ ـ **هل** يعود الصفاء بينكما بسرعة بعد حدوث مشادة أو سوء تفاهم لسبب من الاسباب ؟

٢ ـ **هل** كان زواجكما آمنا من الناحية المالية منذ البداية ؟

٣ ـ **هل** تفضل أن تذهب الى السينما أو الملاهى فى صحبة شريك حياتك ؟

٤ ـ **هل** تعرف بالضبط مبلغ مايدخره شريك حياتك من مال ، سواء فى البنك أو فى دولابه الخاص مثلا ؟

٥ ـ **هل** تقضى اجازاتك مع شريك حياتك ؟

٦ ـ **هل** أنت فى سلام مع حماتك أو حماك أو شقيقات أو أشقاء شريك حياتك ؟

٧ ـ **هل** تحب أن تنجب أطفالا ٠٠ وهل سررت حين رزقت طفلك الاول ؟

٨ ـ **هل** أنت وشريك حياتك تحترفان مهنة واحدة ؟

٩ ـ **هل** تتفقان دائما بصدد أوجه انفاق المال ؟

١٠ ـ **هل** لكما أصدقاء مشتركون ؟

١١ ـ **هل** يقتصد كلاكما مالا لهدف مشترك فى الحياة ؟

١٢ ـ **هل** تتغاضى عن ملاحظات شريك حياتك الانتقادية التى يوجهها اليك ؟

١٣ ـ **هل** تعتبر شريك حياتك أفضل شريك فى الوجود ؟

١٤ ـ **هل** تعامل أولادك وبناتك جميعا على قدم المساواة ؟

١٥ ـ **هل** تعتقد أن أخلاق شريكك تغيرت بعد زواجكما ؟

١٦ ـ **هل** تسخر من ألسنة الناس الشريرة التى تتناول سلوك شريك حياتك واخلاصه لك بالشك أوالاتهام ؟

١٧ ـ **هل** تتبادل وشريك حياتك عبارات التدليل كثيرا ؟

١٨ **هل** تعرف بالضبط نوع العمل الذى يؤديه شريك حياتك فى مهنته ؟

١٩ ـ **هل** أنت مستعد لان تتبع شريكك الى أى قطر أجنبى اذا كان يرى فى ذلك خطوة حاسمة فى سبيل مستقبل أفضل ؟

٢٠ ـ **هل** تكره أن تسمع الآخرين يشكون من أزواجهم ؟

٢١ ـ **هل** تسر حين يدخل شريك حياتك غرفة تكون أنت فيها منهمكا فى عمل ؟

٢٢ ـ **هل** يفهم كلاكما الآخر فيمايتصل بالمسائل الجنسية ؟

٢٣ ـ **هل** تشيح دائما بوجهك فورا حين يشرع شريك حياتك فى ابدال ثيابه ؟

٢٤ ـ **وأخيرا ، هل** أنت مولع بتأثيث بيتك كماينبغى ؟

◆ والآن ، هل فرغت أيها الزوج ، أو الزوجة ، من الاجابة بصراحة على كل سؤال من هذه الاسئلة الاربعة والعشرين ؟.. اذا كنت قد فعلت فضع لنفسك خمس درجات مقابل كل اجابة بـ « نعم » .. وثلاث درجات مقابل كل اجابة بـ « ليس دائما » .. ودرجة واحدة مقابل كل اجابة بـ « لا » .

وليس من المعقول أوالمطلوب أن تحصل على الحد الاقصى لمجموع الدرجات أى ١٢٠ درجة ـ واذا حدث ذلك فيحسن أن تعيد امتحان نفسك مرة أخرى !

أما اذا حصلت مثلا على درجة تتراوح بين (١٠٠ ـ ١١٥) فدعنا نهنئك بزواجك المثالى !.. واذا حصلت على درجة تتراوح بين ٨٠ و١٠٠ فانت فى زواجك ناجح بتفوق لا بأس به !.. واذا حصلت على درجة تتراوح بين ٦٠ و٨٠ تكون نسبة النجاح والفشل فى زواجك متعادلة .. أما اذا حصلت على أقل من ٦٠ درجة فانت فاشل فى زواجك ، اما لانك قد أخطأت فى اختيار شريك الحياة الذى يناسبك ، أو لانك لم تنضج بعد الى الحد الذى يمكنك من القبض على ناصية الدعائم الرئيسية للزواج السعيد .. وفى هذه الحالة لاتبتئس ، بل اختبر نفسك من جديد ، لعلك تنجح في امتحان الدور الثاني .. ولو بفضل « لجنة الرأفة » !

محتويات الكتاب

الموضوع — صفحة

أبو الهول ٠٠ امرأة : قصة مصرية للمحرر ٩
أبو هول ٠٠ بلا سر : قصة للكاتب الخالد اوسكار وايلد ٢٠
كليوباترة : الملكة ٠٠ والعاشقة ٢٩
فى سبيل الحب : من روائع المسرح العالمى ٤٩
لعل لها عذرا : قصة فكهة من الادب الامريكى ٦٢
كيف تغالب شقاءك : كتاب علم النفس ، لبرتراند رسل ٦٧
ليدى هاملتون : المرأة التى خلقت من « نلسون » بطلا ٨٧
مختار : قصة حياته وكفاحه فى سبيل الفن ١١٧
رودان : المثال الذى نظم من الاحجار شعرا ! ١٣٥
مراهق : قصة كبرى لالبرتو مورافيا ١٣٩
الاوديسة : هوميروس ١٦٥
الشيطان على الارض : برتراند رسل ١٧٩
الليلة الثانية عشرة : شكسبير ١٨٧
امتحن زواجك : اختبار نفسانى ١٩٤

الصور

طريق الكافور : للفنان « جارو هلبرت » ٣
القبلة : للمثال « رودان » ٤
عروس النيل (منظر جانبى) للمثال المصرى « مختار » ٣٥
عروس النيل (منظر كامل) للمثال المصرى « مختار » ... ٣٦
أصل كل الشرور : للدكتور رولان صيداوى ١٦٧
الاخطار الثلاثة : للاستاذ رمزى زقلمة ... ١٦٨
وداعة ٠٠ : للاميرالاى الدكتور نا جى يسى ٢٠١
السيدة « ت » : للفنان ادمون صوصة ٢٠٢

أعضاء بالجمعية العربية للتصوير الفوتوغرافى

مجلس بلدي بورسعيد

تقبل العطاءات بمجلس بلدي بورسعيد حتى ظهر يوم ٦/١٨ سنة ١٩٥٣ عن مزايدة تاجير مزرعة البادية لمدة سنة من ١٩٥٣/٩/١٧ وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٢٠٠ مليم خلاف اجرة البريد للنسخة وكل عطاء لا يرفق به تامين ابتدائى قدره ٢٪ من قيمته لايلتفت اليه .

٤٧١٣

اعلان

تعلن كلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول عن حاجتها لشغل وظيفتى استاذين احدهما لقانون المرافعات والثانى للقانون التجارى والبحرى (الدرجة المالية لكل منهما استاذ ج بمرتب من ٨٤٠ - ٩٦٠ جنيها سنويا) ويشترط فى الطالب :

١ - ان يكون حاصلا على درجة دكتور من احدى الجامعات المصرية او على درجة تعتبر معادلة لها من جامعة اجنبية او معهد معترف بهما .

٢ - ان يكون قد شغل وظيفة استاذ مساعد مدة اربع سنوات فى احدى كليات الجامعات المصرية أومعهد علمى من طبقتها .

٣ - ان يكون قد قضى اثنتى عشرة سنة فىخدمة الحكومة او مضت عليه اربع عشرة سنة على حصوله على درجة الليسانس فى الحقوق .

٤ - ان يكون له ابحاث علمية قيمة ومبتكرة .

وتقدم الطلبات باسم حضرة الاستاذ عميد الكلية فى موعد ينتهى فى آخر يونية سنة ١٩٥٣ .

٤٦٥٦

وزارة الشئون البلدية والقروية .

الادارة الهندسية القروية بسوهاج

تعيد الاعلان عن عمل الاسوار بمجموعات اولاد حمزه - الشيخ مرزوق - اولاد يحيى بحرى لغاية الساعة ١٢ منظهر يوم ١٩٥٣/٦/٦

وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة ٥٠ مليما للحصول على نسخة واحدة من الشروط والمواصفات وذلك نظير مبلغ جنيه واحد بخلاف ١٠٠ مليم اجرة البريد . ويمكن الاطلاع على الرسومات بمكتب الادارة الهندسية القروية بسوهاج - مع ملاحظة ان كل عطاء يصل الادارة مصحوب بتامين ابتدائى يقل عن ٢٪ سوف لايلتفت اليه .

٤٦٨٧

مجلس مديرية الجيزة

يعيد مناقصة : (١) توريد الاغذية للمؤسستين لمدة سنة من اول يوليو ١٩٥٣ (٢) الملابس والمفروشات وخامات اشغال الابرة (٣) ادوات المائدة والمطابخ (٤) خامات لورش المؤسستين (نجارة - نسيج - احدية - خيزران - سجاد - نقش) وتطلب الشروط من المجلس على ورقة تمغة فئة خمسين مليما نظيرخمسمائة مليم للاولى وعشرين مليما لكل من الثانية والثالثة وثلاثين مليما للرابعة يضاف ستون مليما اجرة البريد وتحدد ظهر يوم ١٩٥٣/٦/٨ لفتح المظاريف .

٤٧٢٤

بنك مصر

أسس شركاته الكبرى
التى وظف بها خصائص البلاد واستغل
مرافقها فاذا بها الدعائم التى قام عليها التصنيع
القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عامًا فدل على الكفاية المصرية
وتفوق العقل المصرى فى مضمار ...
الحياة العملية

هرفى شكرى
خطاط ورسام

يقدم أرفع الفنـــون .. فى :

- أبدع اللافتات
- وأبرع الدعاية
- وأروع اللوحات الزيتية

٣٢ شارع اسماعيل ـ مصر الجديدة

معباه بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش.م.م

القوة التي وراء سيارتك !

ان الاتقان المدهش فى التشحيم باستعمال كالتكس ر.ب.م يطيل عمر السيارة، وعمل الموتور بنظافة وكفاءة يعنى بلوغ السيارة أقصى قوتها وقيامها بالعمل كأنها سيارة جديدة . وهو يساعد على قطع مسافات أطول بكل جالون من البنزين. وبإزالة مادة الكربون وخفضه الاستهلاك يقلل تكاليف الصيانة .

كالتكس ر.ب.م
ذى بريميوم موتور أويل

يستعمل كالتكس ر ب م من اليوم فى محطات الخدمة لشركة الغاز المصرية وعملاء كالتكس

الوكلاء الوحيدون بمصر : شركة الغاز المصرية - ش.م.

تصوير الاميرالاى الدكتور ناجى يسى

وداعة ..

(على طريقة الرسام رومنى)

« السيدة ت » بريشة الفنان ادمون صوصة

تصوير ستوديو (بيلا)

كتابي

السادس عشر

لوحة الغلاف : ليدى هاملتون

وقد تصورها الرسام الانجليزى "جورج رومنى" فى هيئة كاهنة معبد الاله (باكوس) اله الخمر عند الرومان - ويسميه اليونان (ديونيسوس) - وكانت هذه الكاهنة تؤدى شعائر عبادتها بالرقص شعثاء الشعر وقد توج رأسها باكليل من اللبلاب وحملت فى يدها غصن صنوبر وراحت تطلق صرخات ناشزة !